دراسات أكاديمية
في تاريخ كردستان الحديث

الدكتور
سعدي عثمان هروتي





دراسات أكاديمية

في تاريخ كردستان الحديث

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2012/8/845)

هروتي، سعدي عثمان

دراسات اكاديمية في تاريخ كردستان الحديث"، سعدي عثمان هروتي
عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012

( ) ص

ر.أ: (2012/8/845).

الواصفات:/ التاريخ /

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-555-48-1



تلاع العلي شارع الملكة رانيا العبدالله مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس: 5353402 6 962 + خلـــوي: 95667143 7 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن E-mail: darghidaa@gmail.com

دراسات أكاديمية

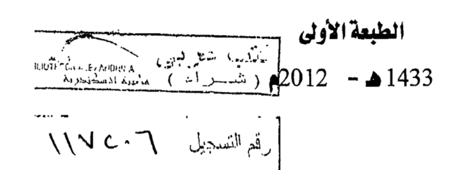
في تاريخ كردستان الحديث

الدكتور
سعدي عثمان هروتي

استاذ التاريخ الحديث المساعد
كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين – اربيل

الطبعة الأولى

1433 هـ - 2012م



الفهرس

الدراسة الثالثة

(سمات كردستان السياسية في المؤلفات التاريخية العراقية خلال العهد العثماني)

كلمة لابدّ منها

يشكل تأريخ كردستان الحديث الممتد عبر اربعة قرون (1514-1914)، مجالاً خصباً للدراسات الأكاديمية. وذلك لعدم كفاية الدراسات التي انجزت حتى الآن، وقلة المتخصصين المعنيين في هذا المجال. وانطلاقاً من هذه الحقيقة، ركّزنا اهتمامنا في الدراسات التأريخية الأكاديمية على هذه الحقبة من تأريخ كردستان المليئة بالأحداث والمتغيرات. وهذه الدراسات الثلاث التي نقوم بنشرها في هذا الكتاب، تندرج ضمن هذا الاطار. اذ تتناول جميعها نفس الحقبة التأريخية، ولكنها تتباين من حيث مواضيعها. فالدراسة الأولى تتناول جوانب من التأريخ الأقتصادي والاجتماعي. اذ تحمل عنوان (الأزمات الأقتصادية والصحية في كردستان خلال العهد العثماني). اما الدراسة الثانية، فتندرج ضمن التأريخ السياسي. فهي محاولة للبحث في جذور امارة بابان الكردية وتاريخ تأسيسها. اما الدراسة الثالثة والأخيرة فتطرقت الى موضوع التدوين التأريخي، وذلك بمحاولتها الوقوف على سمات كردستان السياسية في المؤلفات التأريخية العراقية خلال العهد العثماني.

نظراً لأننا كتبنا مقدمة لكل دراسة من تلك الدراسات في حينها، لذلك لاحاجة بنا الى كتابة مقدمة مطولة لهذا الكتاب. ولكن من الضروري الأشارة الى ان الدراستين الاولى والثانية كانتا قد كتبتا في الاصل باللغة الكردية ونشرتا في المجلات الأكاديمية التي تصدر في اقليم كردستان العراق. فقمنا لاحقاً بترجمتها الى العربية، وذلك دون ان نزيد او ننقص منها شيئاً. ولكن تجنبنا الترجمة الحرفية التي قد تخلّ بمعاني الجمل والتعابير. فالمعروف ان لكل لغة تعابيرها الخاصة وصياغاتها المختلفة. اما

الـدراسة الثـالثـة، فمكتـوبة اصـلاً بالعـربية. وقد جمعنـا تـلك الـدراسات محاوليـن نشـرها في مجلـد واحـد، حرصـاً منّا علـى وقــوف قـرّاء اللـغة العـربية الجميـلة علـى جـوانب مـن تـأريـخ بلـدنا خـلال تـلك الحـقبة الـزمنيـة. فـآمـل ان يكـون عمـلي هـذا مفيـداً ويـنال الـرضـى والأسـتحسان.

والله ولي التوفيق.

د.سعدي هروتي
اربيل – اقليم كردستان العراق
2011/11/29

(الدراسة الاولى)

الازمات الاقتصادية والصحية
في كردستان
خلال العهد العثماني

(الدراسة الاولى)
الازمات الاقتصادية والصحية في كردستان
خلال العهد العثماني(*)

مقدمة:

ان العهد العثماني في كردستان والذي استمر حوالي اربعة قرون، قد شهد العديد من التغييرات والتطورات المهمة، لكنه كان مليئاً بالاحداث والكوارث الفظيعة والمؤلمة ايضاً. وقد تركت تلك الاحداث والكوارث تأثيرات ملحوظة وطويلة الأمد في كردستان. كما كانت لها دور مؤثر في تحديد مستقبل تلك البلاد، بحيث يمكننا القول بان الاحوال التي سادت في كردستان خلال القرن العشرين (والاوضاع الحالية ايضاً الى حد ما) إنما كانت وليدة تغييرات واحداث العهد العثماني.

لقد كتبت ونشرت في السنوات الأخيرة عدد من المقالات والكتب وكذلك البحوث الاكاديمية حول تأريخ كردستان في العهد العثماني، وبذلك تم القاء الضوء على بعض صفحات هذا التأريخ، وخاصة الجانب السياسي منه. ولكن جوانب اخرى كثيرة لازالت تنتظر الدراسة والتقصي، وخاصةً الجوانب الحضارية والحياتية في المجتمع الكردي.

أن اهمية هذا الدراسة تكمن في إنه يحاول ازالة الغبار عن أحد الجوانب التي لم تكرس لها أقلام وتفكير الكتاب والباحثين. وهذا الجانب الذي نعني به الضائقات

(*) كانت هذه الدراسة قد نشرت باللغة الكردية في مجلة (زانكؤ)/ مجلة العلوم الانسانية لجامعة صلاح الدين- اربيل، عدد (42) في عام 2009.

الاقتصادية والأزمات الصحية، يتعلق بدرجة اكبر بحياة الناس الاعتياديين وليس الحكام والمتنفذين. ومن المعروف ان الحصول على المعلومات التأريخية حول تلك الأحداث يحتاج جهداً كبيراً و تركيزاً دقيقاً، لذلك لم ينل هذا الموضوع الاهتمام الذي يستحقه من لدن المؤرخين والباحثين.

عندما كنا نحاول جمع المصادر لانجاز رسالة الماجستير وكتابة أطروحة الدكتوراه كانت اخبار تلك الازمات والكوارث تبرز امام اعيننا وتجلب أهتمامنا، وكان ذلك حافزاً لجمع قدر اكبر من المعلومات والمصادر حول هذا الموضوع. ولكن مواد هذا الدراسة لم تكتمل الا بعد مرور عدة سنوات.

ونظراً لان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لها مدى أطول ولاتتأثر او تتغير مسارها كالأوضاع السياسة بالاحداث المفاجئة، لذلك تدخل قرون العهد العثماني الاربعة ضمن إطار هذا الدراسة. وكذلك كانت الازمات الاقتصادية والكوارث الصحية متزامنتين في العديد من الاحيان، أو بالاحرى تقع واحدة تلو الاخرى -كما سنرى فيما بعد - لذلك جمعنا في هذا الدراسة بين الحالتين.

أعتمدنا في هذا الدراسة المنهج التحليلي بالدرجة الاساس، وخاصةً في تحديد عوامل ظهور الازمات ونتائجها، وكذلك اثناء تحديد تلك التدابير والسبل التي اتبعت للوقاية أو العلاج من الازمات. أما عند تناول الأحداث واستعراض الأزمات فقد تم اعتماد اسلوب السرد أو ما يشبه الحوليات، كما لجأنا الى التحليل والاستنتاج عند ضرورة.

لأنجاز هذا الدراسة كان لزاماً علينا مطالعة المصادر التأريخية بدقة كبيرة والدراسة بين الاسطر والكلمات، لأنه في ظل عهد كان المؤرخون يهتمون بالأحداث السياسية بالدرجة الاساس، لا يكون الحصول على المعلومات المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية امراً هيناً. وخاصةً ان تلك المعلومات تخص تأريخ كردستان الذي يعاني اصلاً من قلة المصادر. واصبح ذلك عاملاً ادى الى اطالة مدة جمع المصادر الضرورية لهذا الدراسة. ولكن الامل كان موجوداً طوال هذه المدة، فأصبح الدراسة اغنى مما كنا نتصور، كما تجاوز الحدود الاعتيادية للبحث من حيث الحجم وعدد الصفحات.

اعتمد الدراسة على مصادر متعددة ومختلفة من حيث النوع واللغة التي كتبت بها. ولكن الوثائق الرسمية العثمانية تشكل اهم تلك المصادر. اذ تتحدث بعض تلك الوثائق عن الازمات الاقتصادية التي حلّت بالمنطقة كما توضح مواقف الدولة تجاهها. وقد تمت الاستفادة من معظم تلك الوثائق عن طريق كتاب (Osmanli Arşivi Daire Başkanliği: Musul – Kerkuk ile ilgili Arşiv Belgeleri) الذي نشر نصوص وصور العديد من الوثائق العثمانية. اما سالنامات ولاية الموصل التي تعدّ ضمن المطبوعات الحكومية، فأنها احتوت على معلومات مهمة حول مستوى الخدمات الصحية التي كانت موجودة في الولاية المذكورة التي تضم الجزء الاعظم من كردستان الجنوبية. ولم تكن جريدة الـ (موصل) التي كانت تصدر باللغة التركية في الموصل خلال العهد العثماني، اقل اهمية من السالنامات

المذكورة. لأنها سجلت في وقتها العديد من الحوادث والكوارث، الى جانب التدابير الوقائية التي اتخذت.

ومن المؤكد ان اية دراسة مختصة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العهد العثماني، لاتستطيع تجاهل كتب ومدونات الرحالة الاجانب. لأن اولئك الرحالة الذين زاروا المنطقة خلال فترات مختلفة (مثل: كارستن نيبور1766،دومنيكو لانزا 1754-1761و 1764-1770، ايفز1758، اوليفييه 1794-1796،كلوديوس جيمس ريج 1820، جيمس برانت 1838، هنري بنديه 1895)، قد لاحظوا اساليب الحياة وظروف معيشة السكان فدوّنوا معلومات مهمة حولها. وتتمتع الكتب التأريخية التي كتبت من قبل المؤرخين المحليين بأهميتها ايضاً (مثل: رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء- عثمان بن سند الوائلي، مطالع السعود- حسين ناظم بيك، تاريخ الامارة البابانية- ياسين العمري، غاية المرام، غرائب الاثر، زبدة الآثار، منية الادباء) لأنها دونت من قبل اشخاص عاصروا ذلك العهد وكانوا شهود عيان لأحداث المنطقة في بعض الاحيان. والى جانب تلك المصادر الأصلية، تمت الاستفادة من بعض المراجع الحديثة ايضاً (مثل: ستيفن لونكريك،اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث- عباس العزاوي، تارخ العراق بين احتلالين)، لأنها كانت ضرورية للحصول على بعض المعلومات او للأشارة الى آراء وتحليلات كتّابها. كما لجأنا الى مصادر اخرى ادرجناها في قائمة المصادر.

اسباب وقوع الأزمات الاقتصادية والصحية:

رغم ان الاقتصاد والصحة يشكلان مجالين مختلفين في الحياة الانسانية، ولكن هناك علاقة عضوية ومتينة بينهما. فمن الواضح ان الغذاء يعدّ عاملاً مهماً لبناء الصحة، والصحة الجيدة تهيء بشراً فاعلين ومنتجين لميدان النشاط الاقتصادي. ولذلك نرى بأن عوامل وقوع الازمات الاقتصادية والصحية مشتركة في بعض الاحيان، وتؤدي الواحدة الى الاخرى في احيان اخرى. لنبدأ اولاً بالازمات الاقتصادية ونرى كيف كانت المجاعة والغلاء والقحط والكساد تقع أو تنشر:

لاشك أن الزراعة والمنتجات الزراعية تعد مصدراً رئيساً للغذاء ومعيشة الانسان، رغم أن التجارة والنشاط الحرفي لهما دور في هذا المجال أيضاً. لذلك فان اي قحط او نقص في المنتجات الزراعية كان يعد عاملاً مهماً لحدوث الضائقة الاقتصادية وتهديد الاحوال المعاشية، وخاصة في مجتمع زراعي كمجتمع كردستان في العهد العثماني.

وفي ذلك العهد كانت الزراعة والموارد الزراعية تتأثر بعوامل عدة، كان البعض منها عوامل طبيعية ولها علاقة بالطقس والاحوال الجوية، وخاصة الأمطار. لأن الزراعة في كردستان كانت في ذلك العهد ـ وفي العهد الحالي أيضاً ـ تعتمد بدرجة اساسية على هطول الامطار، أي إنها كانت ديمية.[1] لذلك كان القحط وعدم تساقط الامطار أو شِحّتها في إحدى المناطق، يؤدي الى شِحّة المحاصيل أو

(1) كلوديوس جيمس ريض، طةشتي ريض بؤ كوردستان 1820، و: محةمةد حةمة باقي، ض1، تةوريز 1992،ل79، كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ت:د.محمود امين حسين،مراجعة وتعليق: سالم الآلوسي، بغداد1965،ص91.

القضاء عليها. فيحدث الغلاء ولاتتوفر المواد المعاشية الاساسية وقد يؤدي الى المجاعة ووقوع كوارث انسانية فضيعة. ففي عام 1756 على سبيل المثال، ادى عدم تساقط الامطار إلى مجاعة كبيرة في الموصل والمناطق المجاورة[1] وشملت دياربكر أيضاً.[2] وفي عام 1786 نشب الغلاء والمجاعة في المنطقة نتيجة العوامل ذاتها وبالشكل نفسها.[3] وكانت قلة الغيث أو عدم تساقطه تتكرر بين فترة واخرى طوال القرن التاسع عشر وبدايات القرن التالي فتجلب معها الغلاء وشحة المحاصيل وكوارث المجاعة،[4] لذلك كانت اخبار سقوط الامطار أو عدم تساقطه تنال الاهتمام وتنشر في الصحف.[5]

(1) دومنيكو لانزا، الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لانزا، ت: القس روفائيل بيداود،ط2، الموصل 1953،ص99-100(ملحق رقم-4- مذكرات الخطاط يونس بن عبدالعزيز)، ستيفن همسلي لونكريك،أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط6، بغداد 1985،ص206.

(2) ستيفن لونكريك، م. س،ص.206.

(3) محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، ج1، تحقيق: سعيد الديوه جي،مطبعة الجمهورية، الموصل 1967،ص194، ستيفن لونكريك، م. س،ص243، عباس العزاوي،تأريخ العراق بين احتلالين، مج6، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1954،ص97.

(4) ينظر على سبيل المثال: عباس العزاوي، م.س، مج6، ص14، 16. وكذلك:
Osmanli Arşivi Daire Başkanliği: Musul – Kerkuk ile ilgili Arşiv Belgeleri (1525- 1919), Ankara – 1993,s.540,576.

(5) ينظر: موصل (جريدة)،نومرو(742)، 2محرم1322ه/ 1904م،نومرو(744)، 19 صفر 1322هـ/ 1904م،نومرو(769)،29 شوال1322ه/ 1904م.

رغم ان التأثير السلبي للمناخ على الاوضاع الاقتصادية كان يتمثل في القحط على الاغلب، ولكن قساوة الاحوال الجوية كالبرد القارص وتساقط البرد والثلوج كانت لها اثاراً سيئة ايضاً. لان وقوع البرد والصقيع والبرودة الشديدة التي تصاحبها كانت تؤدي الى اتلاف الزروع والبساتين بل الثروة الحيوانية ايضاً في بعض الاحيان. ففي شتاء عام 1757 اجتاحت موجة برد وصقيع بلاد الشام حتى دياربكر وماردين والموصل، وقضت على المحاصيل الزراعية ونسبة كبيرة من الثروة الحيوانية، فكانت مجاعة شديدة وأهوال عظيمة.[1] وفي عام 1797 أدى تساقط البرد الى الاضرار بحقول (70) قرية في شرقي الموصل والقضاء على نسبة كبيرة من الانتاج الزراعي في المنطقة.[2] وأصابت كارثة مماثلة منطقة (عقرة/ ئاكريَ) في السنة التالية واتلفت مزروعات حوالي (100) قرية مع بعض حيواناتهم.[3]

وكانت الحشرات الضارّة وخاصة الجراد تعد عاملاً اخر للازمات الاقتصادية، لانها كانت تضرّ مباشرة بالموارد والمحاصيل الزراعية، فعندما كانت اعداد هائلة من الجراد تتوجه على شكل موجات البحر الى احدى المناطق، كان

---

(1) دومنيكو لانزا، م.س، ص42-43، جعفر الخياط، مشاهدات الدكتور ايفز بين بغداد وكركوك والموصل، الاقلام (مجلة) ج (12)س (2) آب 1966، بغداد، ص47، ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى، زبدة الاثار الجلية فى الحوادث الارضية، انتخب زبدته: د. داود الجلبي، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الاداب، النجف 1974، ص114.

(2) ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى،غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مطبعة أم الربيعين، الموصل 1940،ص41، ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى،منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق ونشر: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل 1955،ص191.

(3) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص46.

الفلاحون يفقدون الامل في حصاد مزروعاتهم و جمع ثمار جهدهم وتعبهم. ولا شك ان هجوم الجراد الذي كان يتكرر كل عدة سنوات، لم يكن يشمل منطقة محددة فحسب، بل كانت موجات الجراد تنتقل من منطقة الى اخرى. فقد تعرضت القرى المحيطة بالموصل لمجيء الجراد في سنة 1795، وشمل الهجوم في نفس الفترة قرى بغداد ثم منطقة كركوك وأتوا على معظم الزروع والنباتات. بل كان هناك نوع من الجراد من الحجم الكبير يأكل الحنطة في البيادر حسب القول مؤرخ معاصر.[1] وبعد ثلاث سنوات تعرضت معظم مناطق كردستان الشمالية والاناصول الى الغلاء والمجاعة نتيجة مجيء الجراد، ولم تمضِ فترة طويلة حتى عانت مناطق الموصل من هذه الكارثة ايضاً.[2] وقد شهدت كردستان حتى اواخر العهد العثماني هجمات الجراد لمرات عدة، فأضرت كثيراً بمنتجاتها الزراعية.[3]

وهنا يجب ان لاننسى العامل البشري أيضاً وخاصة الحروب والحملات العسكرية، التي كانت تخلق ازمات الاقتصادية خانقة الى جانب الكوارث الانسانية التي تصاحبها. وذلك بفعل الحصار والتدمير والنهب والضرب والقتل والاضرار بالنشاطات الاقتصادية. وأوضح دليل يمكن ان يشار اليه في هذا المجال هو حملات

---

(1) ياسين العمري، زبدة الاثار،ص176.

(2) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص45-46.

(3) ينظر على سبيل المثال: سالنامه ولايت موصل 1312هـ، موصل ولايتى مطبعه سنده باصلمشدر،ص274، موصل (جريدة)، نومرو(741)، 14محرم1322ه/ 1904م، وانظر ايضاً نص تقرير وكيل قائمقام كويه (كويسنجق) حول اوضاع المنطقة في سنتي 1916-1917 وذلك في : د.خليل علي مراد(ترجمة وتعليق)، مختارات من كتاب الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية، السليمانية 2005،ص158.

نادر شاه[1] التدميرية الى مناطق كردستان العثمانية وحصار الموصل في عام 1743م. اذ ان جيش نادرشاه الذي لم يتوانى عن القتل والتدمير والنهب والاعتداء على النساء،[2] قد خلّف وراءه حالة سيئة من المجاعة والويلات. أحد قسيسي قرية (قره قوش) كان شاهداً على تلك الاحداث لذلك يصور لنا تلك الحالة المأساوية بقوله: "كل ماوجد في القرية قد سلب او احرق وكذلك جرى في جميع الاماكن في الجبال. فصعب هذا على الناس فحصل من جراء ذلك جوع عظيم في هذه الاماكن المنكوبة".[3] ويشير (ياسين العمري) بأن الغلاء والمجاعة قد حدثت في ماردين خلال عام 1810 نتيجة حروب وانتهاكات العشائر من جهة، ونهب المحاصيل الزراعية من قبل قوات بغداد من جهة اخرى.[4]

والى جانب حدوث اعمال النهب وحرمان الناس من وسائل عيشهم، كانت الحروب والحملات العسكرية تسبب الازمة الاقتصادية بسبل اخرى في بعض الاحيان. وخاصةً عندما يؤدي الخوف من اعتداءات الجيش المهاجم الى تجمع

---

(1) نادرشا : هو مؤسس الحكم الافشاري في ايران، وحكم تلك البلاد خلال سنوات 1730-1747 بعد ان انهى الاحتلال الافغاني لايران، لمزيد من المعلومات ينظر: ميزرا مهدى خان استرابادى، جهانكشاى نادرى، تهران 1331هـ.

(2) حول ذلك ينظر: محمد امين العمري،م. س، ج1،ص150-153، وكذلك: د.سعدي عثمان حسين،كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية والادارية والاقتصادية مع ايالتي بغداد والموصل، اربيل 2006، ص311-316.

(3) سهيل قاشا، حملات نادر شاه على العراق في وثائق سريانية/ ق2، (كاروان) ع(75) ايار 1989،ص155.

(4) غرائب الاثر،ص100.

حشود مختلفة من سكان تلك المناطق المجاورة في احدى المدن او القلاع التي تتعرض بدورها للحصار. ففي تلك الحالة كان تأمين المواد الغذائية لهذا الحشد الكبير يصبح امراً صعباً، مما كان يؤدي الى الغلاء والمجاعة.[1]

اما فيما يتعلق بالأزمات الصحية التي كانت تتمثل في انتشار الاوبئة والامراض الفتاكة كالطاعون والكوليرا، فكانت هناك عوامل اخرى. وهنا نستطيع ان نؤكد بأن معظم تلك الامراض والاوبئة التي انتشرت خلال الفترة المعنية في كردستان، لم تكن وليدة بيئة وظروف تلك البلاد اصلاً. بل كانت تأتيها من الاقاليم والبلدان الاخرى. وذلك رغم ان كردستان كانت تصبح في بعض الاحيان جسراً لأنتشار تلك الامراض في مناطق اخرى، مثل ذلك الطاعون الذي اصاب مناطق كردستان الجنوبية في عام 1772 وما بعده، ثم أنتشر في بغداد و وصل حتى البصرة،[2] اذ كان هذا الطاعون قد ظهر اول الامر في استانبول ثم انتقل الى الاناضول ومن هناك تفشى نحو الجنوب.[3]

ولكن وباء الكوليرا قد اتخذ اتجاهاً عكسياً في عام 1820، فقد ظهر في الهند في البداية ومنها انتشر حتى وصل البصرة، ثم صعد بأتجاه الشمال حتى بغداد

---

(1) ينظر: رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت(د.ت)،ص300.

(2) ياسين العمري، زبدة الاثار،ص137.

(3) د.علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، مطبعة الارشاد، بغداد 1969،ص159، يجدر بالذكر ان مصدراً آخر يتحدث عن انتشار هذا الوباء في كردستان وبغداد والبصرة، ولكنه يقول بأن بدايتها كانت في (وقعة البندر) ينظر: محمد امين العمري، م.س،ج1،ص186.

ليشمل كردستان ايضاً.[1] وفي عام 1830 نرى بأن مرض الطاعون يأتي من ايران نحو كردستان ومنها ينتشر الى بغداد.[2]

وهنا يلفت نظرنا رأي عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي) الذي لاحظ ارتفاع نسبة انتشار الاوبئة والامراض الفتاكة في العراق خلال العهد العثماني، اذ يخمّن معدل الاصابة بها بمرة واحدة في كل (10) سنوات تقريباً. اما فيما يتعلق بأسباب هذه الظاهرة فيشير المذكور الى وقوع العراق على طريق الحج بالنسبة لبعض البلدان الاسلامية. وكذلك وجود العتبات المقدسة فيها، مما ادى الى مجيء اعداد كبيرة من سكان البلدان المجاورة الى هذه البلاد لزيارة تلك العتبات. وكان ذلك يعني بأن اي وباء كان ينتشر في تلك البلدان فأنه كان يصيب العراق عاجلاً او آجلاً.[3]

وفي بعض المصادر التأريخية الخاصة بالموصل يشار الى انتقال وباء الطاعون من كردستان الى مدينة الموصل. مثل طاعون عامي 1758[4] و1799.[5] ولكن تلك المصادر لاتحدد المصدر الرئيس للوباء.

والى جانب ماذكرنا يجب الاشارة الى عامل المناخ ايضاً، حيث كان المناخ في بعض مناطق كردستان يعدّ سبباً لأنتشار بعض الامراض. ففي عام 1821 تعرض

---

(1) رسول الكركوكلي، م.س،ص298، عباس العزاوي،م.س،مج6،ص278-279.

(2) ستيفن لونكريك، م.س،ص318.

(3) لمحات اجتماعية...، ج1، ص20.

(4) دومنيكو لانزا، م.س،ص52.

(5) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص54.

جنود بغداد المعسكرين في وادي (تانجَرو/ تانجةرِؤ) القرية من السليمانية، الى وباء شديد انتشر في صفوفهم بحيث كان يموت (15) جندياً تقريباً في كل يوم. اما الذين بقوا على قيد الحياة فمعظمهم كانوا منهكّين وخائري القوى. وذلك نتيجة الاختلاف المفرط في درجات الحرارة بين الليل والنهار، وعفونة هواء هذا الموقع.[1] كما يزودنا المقيم البريطاني (ريج) ببعض المعلومات حول هذا الموضوع، حينما يقول: "منطقة شهرزور التي يزرع فيها الرز بكثرة مناخها حار وغير صحي، ومليئة بالذبّان والبراغيث". ويشير المذكور في السليمانية الى ان سكان هذه المدينة قد تعرضوا لمرض الملاريا ويقول: "هذه الحمّى تظهر في الربيع غالباً ومن يصاب بها لايتعافى الا نادراً".[2] وعندما يتوجه مع مرافقيه في الرحلة الى قرية (بيستان)[3] يصاب (ريج) مع معظم افراد جماعته بحمّى شديدة يسميها هو بـ (الحمى الصفراء) ويقول بأنها وباء انتشر بين اهالي القرية المذكورة.[4] وفيما يتعلق بذلك تقول

---

(1) رسول الكركوكلي، م.س،ص297، عباس العزاوي،م.س،مج6،ص273، جدير بالذكر ان مؤرخاً كردياً يقول بأن الجنود اصيبوا بهذا المرض لأنهم كانوا يأكلون الثمار غير اليانعة الموجودة في هذا الموقع كما كانوا يأكلون الثلج ويشربون المياه الصاقعة، ينظر: حسين ناظم بيط، تاريخ الامارة البابانية، ت: شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس، ط1، هةولێر 2001،ص316.ولكن يبدو ان ذلك غير صحيح لأن مرضاً يأتي بهذه الطريقة لايتفشى بهذا الشكل المذكور.

(2) طةشتي ريض...،ل133،157.

(3) بيستان: قرية كبيرة تقع على الطريق بين السليمانية و سنه (سنندج)، وكانت تابعة الى منطقة (قزلجة). محمد بن احمد الحسيني المنشيء البغدادي، رحلة المنشيء البغدادي، ت: عباس العزاوي، بغداد 1948،ص70.

(4) طةشتي ريض...، ل189.

زوجة (ريج): "ارتحلنا الى مكان غير صحي وممرض، وهذه الحمى التي تنتشر خلال هذا الفصل [الصيف] نسبياً في كردستان [تقصد مناطق بابان] ، كانت قد اصابت هذا الموقع بشدة."[1] ويشير احد المسؤولين البريطانيين في شمال كردستان الى صعوبة المناخ وانتشار الامراض وتأثيرهما في ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال.[2]

كنا قد ذكرنا في بداية هذا الدراسة بأن الضائقتان الاقتصادية والصحية كانتا متلازمتين في كثير من الاحيان، بمعنى ان احداهما تصبح سبباً لوقوع الاخرى. ولذلك كانت الازمتان تتواليان في مرات كثيرة وتحدثان كارثة كبيرة. ففي نهايات القرن السابع عشر عندما احاطت المجاعة بكردستان وبغداد، لم تمضي مدة طويلة حتى تفشى وباء الطاعون في هذه المدينة. وذلك لأن اعداداً كبيرة من الناس قد توجهت من كردستان والمناطق الاخرى الى بغداد فأمتلأت الزقة بجثث الموتى.[3] وعندما وقع الغلاء العظيم في عام 1757 اعقبه انتشار الامراض السارية والاوبئة الفتاكة.[4] ولاشك ان هذه الظاهرة كانت تحدث عندما كان سكان المناطق المبتلية بالمجاعة يضطرون تحت وطأة الجوع الى تناول الاغذية غير الصحية والمحرمة شرعياً، او يأكلون مواداً غير قابلة للتناول البشري كما نرى من رواية احد المؤرخين

---

(1) م.ن، ص186.

(2) جيمس برانت، رحلة المستر جيمس برانت الى المنطقة الكردية عام 1838،ت: حسين احمد الجاف،مطبعة الجاحظ،بغداد 1989،ص86.

(3) ستيفن لونكريك، م.س،ص119، عباس العزاوي،تأريخ العراق بين احتلالين، مج5، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1952،ص129.

(4) دومنيكو لانزا، م.س،ص44، جعفر الخياط، صور من تأريخ العراق في العصور المظلمة، ج1، ط1، دار الكتب، بيروت 1971،ص162.

المعاصرين للاحداث. وذلك عندما يتحدث عن تفشي الامـراض والاوبئـة بـسبب الغلاء والمجاعة التي حدثت في عام 1786.[1] وكان انتشار الرائحة المنبعثة من الجثث المتعفنة له تأثير واضح في انتشار الاوبئة ايضاً وخاصةً الطاعون.

لذا يمكننا ان نضيف الغلاء والمجاعة وسوء التغذية الى العوامل الاخـرى الـتي كانت تسبب الازمات الصحية.ولكننا يجب ان نعرف في ذات الوقت بأن الامـراض والاوبئة كانت تؤدي في بعض الاحيان الى الغـلاء وانتـشار المجاعـة ايـضاً، وخاصـةً عندما كانت القوافل التجارية التي تنقل الغلال والسلع الغذائية الى المناطق المنكوبـة تقل او تنقطع. كما ان اصابة نسبة كبيرة من سكان احـدى المنـاطق بـالمرض كانـت تؤثر سلباً على النشاط الاقتصادي والعملية الانتاجية. الامر الـذي كـان يـؤدي الى شحة المواد الغذائية. مثل الطـاعون الـذي اصـاب الموصـل في عـام 1800، اذ جـرّ الطاعون وراءه الغلاء والمجاعة.[2]

ان ماذكرناه يمثل تلك العوامل الـتي كانـت تـؤدي مباشـرة الى وقـوع الغـلاء والمجاعة وتفشي الامراض والاوبئة، في الوقت الذي كانت هناك عوامل اخرى غـير مباشرة تمهد السبيل لحدوث تلك الازمات والكـوارث او تـساعد علـى انتـشارها، وخاصةً الازمات الصحية. ان احد تلك العوامل يتعلق بأسلوب الحيـاة او ظـروف معيشة الفرد في المجتمع الكردستاني خلال ذلك العهد، ويمكن ان نسميه بقلة الوعي

---

(1) عثمان بن سند الوائلي البصري،مطالع السعود بطيب اخبـار الـوالي داود/ تـاريخ العـراق مـن سـنة 1188 الى سـنة 1242هـ(1774-1826م)، تحقيـق: د. عمـاد عبدالـسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، دار الحكمـة للطباعـة والنـشر، الموصـل 1991،ص170، وانظـر ايضاً: رسول الكركوكلي،م.س،ص184،عباس العزاوي، م.س،مج6،ص97.

(2) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص54، جعفر الخياط، صور...،ص200.

الصحي. وقد لفت هذا الجانب انظار الرحالة الاجانب وسجّلوا ملاحظاتهما حول ذلك. ففي نهايات القرن التاسع عشر كتب احد الرحالة الفرنسيين بتعجب عن احدى القرى الواقعة في شمالي العمادية (ئاميّدي) ما نصه: "ينام الفلاحون بجانب مواقد النار دون مراعاة تأثير تلك الليالي الباردة ودون ادنى وقاية، واطفالهم الذين يعانون من نقص الكسوة استسلموا لنوم عميق على الارض، لذا يجب ان لاتتعجب عندما ترى بأن عدداً كبيراً من هؤلاء الاطفال يموتون، ولايبقى الا اولئك الذين يتمتعون بصحة جيدة."[1] وعندما مرّ احد المسؤولين الانكليز بقرية كردية قرب مدينة (موش) في عام 1838، لاحظ كثرة عدد الاطفال الذين "غالبيتهم كانوا اما عراة تماماً او نصف عراة بملابس مرقعة ورثة". وتنبأ بأن سوء التغذية والالبسة غير النظيفة والمناخ القاسي والامراض السارية المستوطنة والحرمان من الاسعافات الطبية تؤدي كلها الى زيادة الموت الطبيعي بين الاطفال.[2] ان ارتفاع نسبة الوفيات بين الاطفال بسبب انخفاض الوعي الصحي في كردستان، مثّلَ ظاهرة اشار اليها معظم الرحالة الاجانب في كتبهم.[3]

كما ان وسائل التدفئة والانارة وتهوية الغرف وخاصةً اثناء الليالي كانت غير صحية ومساعدة لنشوء وانتشار الامراض. يصف الرحالة الفرنسي (هنري بنديه) حالة الغرفة التي نزل فيها في احدى قرى اقليم هكاري ويكتب بأنهم "يشعلون النار في الداخل. فأمتزجت رائحة الاطعمة مع الرائحة الكريهة المنبعثة من

(1) هيَنري بيَندةر، سةفةرنامةي هيَنري بيَندةر/ كوردستان،ميزؤثؤتاميا،ئيَران،و:ئةبوبةكر خؤشناو،سليَماني 2006، ل250.

(2) جيمس برانت، م.س،ص86.

(3) د.بدرخان السندي، المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي،ط1، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل2002،ص494.

الاشخاص الموجودين في الداخل، وليست للغرفة ابواب وشبابيك [من المؤكد انه يقصد بأن الغرفة ليست لها ابواب وشبابيك كافية، لأنه من غير المعقول ان لايكون للغرفة باباً واحداً على الاقل] لذلك انتشرت رائحة نتنة وكريهة.[1] ويبدو ان النفط الخام (او النفط الاسود) كان يستعمل للانارة في بعض المناطق وخاصةً في المناطق الجنوبية من كردستان. وكان بعض الفئات وخاصةً الفقراء يغمسون الروث اليابس في النفط و يوقدونها. اما الاغنياء فكانوا يستعملون هذا النفط كوقود لمشاعل ذات فتائل قطنية. وفي كلتا الحالتين كانت تنبعث منها دخان ورائحة كريهة جداً، بحيث تجعل هواء الغرفة غير صحياً. وخاصةً انهم لم يهيئوا المداخن لخروج الدخان والرائحة غير المرغوبة فيها.[2] ويشير عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي) الى ظاهرة اخرى تدخل في اطار انعدام الوعي الصحي ايضاً، وهي التزام الناس الصارم بغسل وتكفين الموتى حتى في حالات تفشي الاوبئة الفتاكة كالطاعون.[3] اذ كانت هذه العملية تؤدي الى انتقال العدوى من الجثة الى القائمين بالدفن.

ومن العوامل الاخرى غير المباشرة يجب الاشارة الى تخلف الدولة العثمانية وتقصير مسؤوليها في توفير الخدمات. وخاصةً الخدمات الصحية التي يمكن القول بأنها كانت معدومة في معظم اقاليم الدولة خلال القرون الاولى من الحكم

(1) سةفةرنامةي هيَنري بيَندةر، ل240.

(2) كارستن نيبور، م.س، ص83، ويقول اوليفييه بأنهم كانوا يستعملون القار بدلاً من النفط في بعض الاحيان، ينظر: رحلة أوليفييه الى العراق 1794-1796، ت: د. يوسف حبى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1988،ص68-69.

(3) لمحات اجتماعية...، ج1،ص272، يقول المذكور هنا بأنه من الغريب ان الناس كثيراً ما يخالفون الشريعة في حياتهم اليومية ولا يأبهون، في الوقت الذي يحرصون على تطبيق التعاليم الشرعية كاملةً في مسألة الموت ودفن الموتى، حتى وان اصابهم الضرر في ذلك.

العثماني، وكانت ذات مستوىً متدني في القرن التاسع عشر ايضاً.[1] لأن بداية تلك الخدمات كانت في ذلك القرن، فقد تأسست اول مدرسة طبية حكومية في عام 1827، وذلك في استانبول العاصمة وكان لغرض عسكري. وبعد مرور عدة سنوات افتتحت مدارس مماثلة في مراكز الولايات مثل بغداد والموصل.[2] مما يعني ان تقديم الخدمات الصحية قد ابتدأت بعد التأريخ المذكور، وفي الحقيقة ان بداية اهتمام الدولة العثمانية بالجانب الصحي تعود الى عام 1838 ومابعده.[3] ويبدو ان ذلك الاهتمام لم يكن بالمستوى المعقول، ففي الرسالة التي بعثها الى حكومته، كتب القنصل الفرنسي في بغداد حول وباء الكوليرا في عام 1846: "بدأت الكوليرا بالتفشي والانتشار بين الاهالي الجهلاء بصورة مرعبة...فأرتاعوا منها كل الارتياع نظراً لأنهم محرومون ممن يرشدهم ارشادات صحية...."[4]

وحتى نهايات القرن التاسع عشر لم تكن توجد في الولايات الثلاث بغداد والبصرة والموصل - وكانت كردستان الجنوبية تشكل الجزء الاعظم من الولاية الاخيرة – سوى مستشفى عامة واحدة وكانت في بغداد.[5] ولم تؤسس المستشفيات في بعض المدن الاخرى في المنطقة حتى العقد الاخير من القرن المذكور، كما سنرى

---

(1) حول هذا الجانب ينظر: ابراهيم خليل احمد، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق1258-1921، مجلة آداب الرافدين، كلية الاداب/ جامعة الموصل،ع(16)،1986،ص250.

(2) http;www.islamonline.net/Arabic/history/1426/06/article04.SHTML

(3) عباس العزاوي، م.س، مج7، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1955،ص41، جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، ط2،بغداد 2001، ص399.

(4) د.علي الوردي، م.س، ج2، مطبعة الارشاد، بغداد1971،ص144.

(5) ستيفن لونكريك، م.س،ص380، وقد افتتحت هذه المستشفى في عام 1872 بجهود والي بغداد المصلح مدحت باشا(1869- 1872)، ينظر: جميل النجار، م.س،ص404.

فيمابعد. يجدر بالذكر ان مستشفى مدينة بغداد المشار اليها كانت قد تأسست باموال التبرع ومساهمات الخيّرين.[1] لأن الحكومة لم تكن تخصص مبالغ تذكر للخدمات الصحية. فخلال عام 1305هـ (1887-1888) لم يتم صرف الا (600) قرشاً[2] للجانب الصحي في جميع ولاية الموصل. وقد انحصر هذا المبلغ في سنجق (لواء) السليمانية، في الوقت الذي لانجد بين مصروفات سنجقي الموصل وشهرزور (كركوك) اية مبالغ خصص لهذا الغرض.[3] وفي قائمة مصروفات سنة 1310هـ (1892-1893م) لهذه الولاية نلاحظ نفس المبلغ المذكور.[4]

ونتيجة هذا الاهمال تولّد اليأس لدى اهالي كردستان من الاطباء والخدمات الصحية الحكومية، اذ كانوا يقولون بأن الطبيب هو الله وهو الذي يرسل الداء والدواء.[5] لذلك عندما كانوا يصيبون بالمرض يذهبون الى الشيوخ والملالي

---

(1) جميل النجار، م.س، ص402-403.

(2) القرش: عملة فضية عثمانية، ضربت لأول مرة في عهد السلطان سليمان الثاني (1687-1691)، لتحل محل عملة اوربية كانت تستخدم في الدولة العثمانية لذلك جاء اسمها من هذه الطريقة ايضاً. كان وزنها في البداية (6) درهم (قرابة 3غم)، ولكنها شهدت تغييرات كثيرة فيمابعد. لمزيد من المعلومات يراجع: هاملتون جيب وهارولد بوين،المجتمع الاسلامي والغرب، ت: عبدالمجيد حسيب القيسي، ج1،ق2، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق1997،ص62-63.

(3) سالنامه ولايت موصل 1308هـ مكتوبي ولايت سعاد تلو حسن توفيق افندي معرفتيله ترتيب اولنمشدر،ص107.

(4) سالنامه ولايت موصل 1312هـ ص296.

(5) مةلا مةحمودي بايةزيدي، داب و نةريتي كوردةكان، و: د. شوكرية رةسول، بةغدا 1982، ل33، كاميران عبدالصمد احمد الدوسكي، كوردستان العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر،ط1،دار سثيريز،دهوك 2002،ص33.

ويزورون الاضرحة وقبور الاولياء والصالحين، كما كانوا يتوجهون في بعض الاحيان الى الاعشاب والاطباء الشعبيين.[1] وذلك في الوقت الذي كان لهم ثقة مطلقة بالاطباء الاوربيين. فقد دعى الامير الباباني في عام 1767 قساً ايطالياً من الموصل الى قلاجوالان لمعالجة اخيه.[2] اما الناس البسطاء فكلما كانوا يرون احد الرحالة الاوربيين – حتى وان لم يكن طبيباً -كانوا يجتمعون حوله ويطلبون العلاج والادوية منه. وكانت ثقتهم بهؤلاء كبيرة في بعض الاحيان الى درجة انهم كانوا يعتقدون بأن هذا الاوربي يشخص المرض لهم حتى وان لم يفصحوا عمّا يشتكون منه.[3] بل ان بعض الاشخاص كانوا على اعتقاد بأن الاوربيين يستطيعوا انقاذ المريض من الموت الحتمي، مثل تلك الام التي استنجدت بقافلة تضم مسافرين اجانب طالبة الشفاء لطفلها الذي كان فاقداً للوعي نتيجة سقوطها من سطح البيت.[4] ان تلك الحالات تدل على مدى الحرمان واليأس الذي كان المجتمع يعاني منهما في ظل تلك الظروف الصحية المتردية.

وفيما يتعلق بعدم توفر الخدمات وتخلف الدولة العثمانية ايضاً، يجب الاشارة الى تخلف وسائط النقل ورداءة الطرق الذين كانا يساعدان على زيادة تأثير الازمات، وخاصةً الازمات الاقتصادية. لأن هذين العاملين كانا يصبحان عائقاً

---

(1) تومابوا،مع الاكراد، ت: آواز زنطنة، مطبعة دار الجاحظ، بغداد 1975،ص93-96، كاميران الدوسكي، كوردستان العثمانية...، ص33.

(2) دومنيكو لانزا، م.س،ص60.

(3) ينظر: هێنري بيَندةر، س. ث، ل263،254،230.

(4) بدرخان السندي، م.س،ص496.

امام استيراد السلع الغذائية من المناطق البعيدة[1] والقضاء على المجاعة، او هجرة الناس الجياع الى المناطق الاخرى والتخلص من الازمة. فخلال مجاعة عامي 1756 و 1757 مات عدد كبير من الناس في الطرق الخارجية التي تربط بين المدن ولم يصلوا الى مكان يسدّون فيها رمقهم.[2]

وفي نهاية تلك العوامل وخاصةً تلك المتعلقة بالضائقات الاقتصادية يجب ان نتحدث عن ذلك النزيف الاقتصادي الذي كانت تعاني منها كردستان طوال العهد العثماني بطرق واساليب عدة. في مقدمتها تلك الضرائب الباهضة التي كانت الدولة تجبيها بشكل تثقل كاهل اهالي المناطق المختلفة في الامبراطورية العثمانية. وذلك دون ان تقدم ازائها خدمات تذكر الى تلك المناطق.[3] وعلاوةً على ذلك كان الكرد يتعرضون لتعسف الجباة وظلم المسؤولين العثمانيين، الذين كانوا يأخذون في بعض الاحيان نسبة اكبر من التي حددتها القوانين العثمانية. وكانت نسبة الضريبة تخمّن في بعض الفترات وفق مساحة الارض الزراعية دون ان يراعوا كمية المنتوج وحالة الزراعة في تلك السنة. لذلك كان الرحالة الاجانب يسمعون شكاوي السكان هنا وهناك من فداحة الضرائب وتنوعها.[4]

---

(1) سليمان صائغ الموصلي، تأريخ الموصل، ج1، المطبعة السلفية، مصر 1923،ص290، عباس العزاوي، م.س، مج7،ص82.

(2) دومنيكو لانزا، م.س،ص43-44.

(3) جعفر الخياط، صور...،ص15، عبدالفتاح علي يحيى (ترجمة وتقديم)، الكورد وكوردستان في رسائل الفيلد مارشال هيلموت فون كارل مولتكة، مجلة (الاديب الكردي/ نووسەری كورد)،ع (4) بغداد، تموز 1992، ص27.

(4) عبدالفتاح علي، م.س، ص26، وكذلك: جيمس برانت، م.س، ص25، 46، 72-73.

والى جانب ذلك كانت الدولة تجمع الاموال والموارد من الاهالي في العديد من الاحيان، بأسم الاعانة العسكرية والمساهمة في تأمين احتياجات الحملات العسكرية.[1] ففي وثيقة عثمانية تعود الى عام 1567 تظهر بأن احدى العشائر الكردية قدمت شكواها الى السلطان، لأن المسؤولين اخذوا منهم مبلغاً كبيراً من المال لتأمين تكاليف حملة عسكرية موجهة نحو جنوب العراق. وذلك في الوقت الذي شاركت العشيرة المذكورة بمقاتليها ايضاً في تلك الحملة.[2]

ان اسلوباً آخر للنزيف الاقتصادي في كردستان كان يتمثل في تلك الحملات العسكرية التي كانت السلطات العثمانية توجهها الى المناطق الكردية.لأسباب وحجج مختلفة.[3] ففي اطار تلك الحملات العسكرية وخاصةً تلك التي كانت العوامل المادية ورائها، كانوا يمارسون النهب والسلب وفي العديد من الاحيان كانوا يتعمدون التدمير والتخريب بشكل واسع. ففي الحملة التي شنتها ايالة بغداد على يزيديي سنجار في عام 1715 تم نهب قرى عديدة وسلبت مواشي وأموالاً كثيرة جداً.[4] وقامت قوات الموصل في عام 1893 بنهب وحرق ثمانية قرى في المنطقة

---

(1) نظمي زاده مرتضى افندي، كلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف 1971،ص297، جعفر الخياط، صور...،ص135.

(2) د.عماد عبدالسلام رؤوف، دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم، ط1،اربيل 2008،ص245.وكانت هذه العشيرة هي عشيرة (البرازي) التي كانت تتواجد في الجزء الشمالي من بلاد مابين النهرين. لمزيد من المعلومات ينظر: م.ن، ص244-245.

(3) حول ذلك ينظر: د.سعدي عثمان هروتي، كوردستان والامبراطورية العثمانية/ دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان، مؤسسة موكرياني للنشر- اربيل، مطبعة خاني، دهوك 2008،ص115-124.

(4) ياسين العمري، زبدة الاثار،ص81.

ذاتها.[1] وفي حملة اخرى لأيالة بغداد في عام 1802 تم نهب جميع مواشي قبيلة (بلباس) التي كانت وقتذاك تتواجد في المنطقة الواقعة بين اربيل وكويه (كويسنجق).[2] وفي هذه الحملة ايضاً استولت تلك القوات على بعض قرى سنجار ونهبت جميع الاموال والمؤن فيها ثم دمّروا البساتين والحقول.[3] وفي بعض المرات لم تكن تلك الحملات العسكرية أقل شدة من هجمات الجراد من حيث نتائجها الكارثية. اذكان سكان المناطق المنكوبة يحرمون من موارد اراضيهم في كلتا الحالتين. فعندما يتحدث (ياسين العمري) عن حملات ولاة الموصل على مناطق اليزيديين يورد عبارة "أكل زروعهم" مراراً.[4] وكان يعني مايقول فعلاً، اذ انهم قاموا في عام 1793 بحصاد حقول ثمانية قرى وأخذوا اكثر من (20) الف طغار من الحبوب.[5]

ان هذا النهب والتدمير قد شمل معظم مناطق كردستان خلال فترات مختلفة، ففي عام 1838 يتحدث (مولتكة) – وهو ضابط الماني كان يخدم في الجيش العثماني– في اقصى شمال كردستان عن تخريب البساتين والحقول وحرق وتدمير القرى، ثم يضيف بأن الكرد يخبأوون النقود والاشياء الثمينة تحت الارض خوفاً

---

(1) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص31.

(2) ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى،غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات البصري، مطبعة دار البصري، بغداد 1968،ص202، عباس العزاوي، م.س، مج6، ص154. جدير بالذكر ان المصدر الاول يؤكد بأن عدد المواشي كان (96) الف رأس، (85) الف من الاغنام و(11) الف من الابقار.

(3) رسول الكركوكلي، م.س،ص223.

(4) ينظر: ياسين العمري، غرائب الاثر،ص31،33.

(5) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص172، يساوي الطغار (270) كغم. ينظر نفس المصدر والصفحة (الهامش).

من النهب.[1] ومن المؤكد ان هذا الشعور بأنعدام الامان وعدم الاستقرار كان يشكل عائقاً امام استثمار كافة قوى الانتاج والاستفادة من جميع الاراضي الزراعية.[2]

وكان جزء آخر من موارد كردستان يذهب الى الخارج عن طريق الاوقاف ويتم حرمان اهل البلاد منه، وكمثال على ذلك نشير الى دفتر الطابو العائد الى سنتي 1539-1540. حيث جاء فيه ان مايقارب (2) ألف آقجة[3] من منطقة العمادية و (12) ألف من منطقة العقرة، تعدّ من واردات الوقف على الحرمين الشريفين.[4] وكانت هناك اوقاف مماثلة في منطقة كركوك ايضاً.[5] وكانت واردات تلك الاوقاف ترسل الى الحجاز.[6]

---

(1) عبدالفتاح علي، م.س، ص26،27.

(2) م.ن، ص27، كلوديوس ريض، س.ث، ل114.

(3) آقجة (ئاقضة): عملة فضية عثمانية كانت تعدّ وحدة النقد القياسية في الدولة العثمانية، تعود بداية ضربها الى النصف الاول من القرن الرابع عشر. كان وزنها يبلغ في البداية ربع مثقال أي (6) قراريط. ولكنها شهدت تغييرات كثيرة فيمابعد، لمزيد من المعلومات يراجع:
Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri Ve Termleri Sozlugu, Istanbul 1993, cilt 1, s.32.

(4) Başvekalet Arşiv Dairesi(BAD),Tapu Defteri,Ozel sayi 534,no.195 Musul لوحة رقم (79)

(5) خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1638-1750/ 1048-1164هـ رسالة ماجستير، كلية الاداب جامعة بغداد/ 1975،ص307-308.

(6) علي شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر/ دراسة في أوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب جامعة الموصل/ 1992،ص104.

ومن البديهي ان كل ذلك كان يقلل من قدرات كردستان الاقتصادية ويؤدي الى انتشار الفقر والحرمان من ضروريات الحياة. فعندما يتحدث أحد المؤرخين عن نتائج احدى الحملات العثمانية الموجهة نحو منطقة كردية يكتب نصاً: "احلّ بأهله الدمار ونهب وسلب وقتل وعطب حتى أذلهم وافقر غنيهم."[1] بل ان هذا المؤرخ نفسه يذكر بعض حوادث الغلاء والمجاعة التي وقعت خلال عام 1805 في مناطق عدة (منها: دياربكر وعقرة والعمادية وماردين)، وذلك بسبب "جور الولاة ونهب اموال العباد وقتل النفوس الجياد" حسبر تعبيره.[2]

ان حالة الفقر التي كانت منتشرة بين الكرد في ظل الحكم العثماني لم تكن خافية حتى على الرحالة الاجانب.[3] وفي بدايات القرن العشرين وصلت الحالة الى الحد الذي اضطر الناس في منطقة بادينان الى تقديم بناتهم الصغار للمسؤولين الحكوميين بدلاً من الضرائب، اذ يروي احد شهود العيان هذه الحادثة ويصور لنا الحرمان والامراض التي اصابت اهالي المنطقة بشكل تراجيدي.[4]

ان الفقر الذي يعني بحدّ ذاته حياة تعيسة، كان يمهد السبيل في كثير من الاحيان لأنتشار المجاعة والضائقة الاقتصادية. كما كان يمهد الارضية لنشوء الامراض، اذ ان سوء التغذية كان يؤدي الى نقص الفيتامينات ثم نقص المناعة في الجسم.

---

(1) ياسين العمرى،غاية المرام، ص177.

(2) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص67-68.

(3) ينظر: هينري بيندقر، س.ث،ل253-254، جيمس برانت، م.س، ص36، 46، 101، بدرخان السندي، م.س،ص341.

(4) صديق الدملوجي، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية، ط2، مراجعة وتقديم: عبدالفتاح علي يحيى، اربيل 1999،ص45.

اعمال الوقاية والمعالجات:

خلال مراحل التأريخ المختلفة ادت غريزة البقاء بالأنسان الى التفكير في وسائل الوقاية ازاء تهديدات الزمن. وهذا الامر نفسه يدفع الانسان كي ينأى بنفسه عن الازمات والكوارث، ولكن اذا صادفته تلك الازمات يحاول ايجاد المعالجة ليخلص نفسه منها. ان محاولات الوقاية والمعالجات كانت تختلف بين حالتي الضائقة الاقتصادية والازمة الصحية. حيث ان مواجهة كل حالة تتطلب تدابير معينة.

نبدأ اولاً بالضائقات الاقتصادية، لذلك يجب ان نتناول اولاً تلك الجهود الفاعلة والمستمرة التي كان الكرد يبذلونها في ميدان الانتاج للحصول على حاجات المعيشة اليومية وتأمين المؤن والارزاق الضرورية للأيام القادمة. ومن اجل ذلك كانوا بحاجة الى زيادة نسبة الانتاج، ولذلك تغلبوا على التضاريس الصعبة والعوائق الجغرافية في كثير من المناطق من اجل استثمار اراضيها للزراعة. وقد لفتت تلك الجهود انظار الرحالة الاجانب. منهم على سبيل المثال (هنري بنديه) الفرنسي الذي كتب في اقليم هكاري: "الاكراد مشغولون بالزراعة في المناطق المحيطة بقراهم بشكل بدائي ولكن بجدية، حيث يحاولون استحصال الاراضي الزراعية في تلك المناطق الوعرة. انهم يضعون الحجارة بعضها فوق البعض ثم يملئون جانبها بالتربة لأيجاد الاراضي".[1] ويكتب هذا الرحالة في مكان آخر: "الماء قد نظّم بدقة وتم توزيعه بمهارة على المزارع، بحيث لايبقى في الجدول قطرة ماء عندما يعبر القرية".[2] وفي عام 1838 دوّن أحد المسافرين الانكليز في شمال كردستان بأعجاب: "علمت

---

(1) سةفةرنامةي هيَنري بيَندةر، ل234.

(2) م.ن، ص 238.

بأن الزراعة العلمية واتباع اساليب دقيقة في الحراثة تطبق بشكل واسع جداً في هذا الجزء من الريف."[1]

كما ان مسألة تأمين الارزاق وخزنها لأيام القحط والغلاء كانت لها تأثير على نوع المحاصيل التي تتم زراعتها، لذلك تؤكد معظم المصادر بأن المحاصيل المعاشية كانت تمثل المتوج الزراعي الرئيس في كردستان، وخاصةً الحبوب وعلى رأسها القمح والشعير.[2] لاشك ان الحبوب (وخاصةً القمح) كانت تمثل المادة الغذائية الاساسية في كردستان.[3] كما انها تتمتع بخاصية اخرى وهي امكانية خزنها لفترات طويلة. وكان خزن الحبوب وخاصة بطريقة وضعها في الحفر وتسوية الارض فوقها، والتي كانت تمثل عادة سائدة في كردستان،[4] يعدّ اسلوباً من اساليب الوقاية من الغلاء والجاعة. ولم تكن اهمية هذه الطريقة تكمن في عملية الخزن فقط، بل ان عملية الاخفاء كانت مهمة ايضاً وذلك لحفظ الحبوب من النهب والسلب.

---

(1) جيمس برانت، م.س، ص138.

(2) أوليفييه، م. س،ص28، كلوديوس ريض، س.ث،ل150، موصل ولايتي سالنامۀ رسميسيدر(1330هـ)، عزتلو صفوت بك معرفتيلة ترتيب و دردنجي دفعة اولة رق موصل مطبعة سندة اولنمشدر،ص302.

(3) هادي رشيد الجاوشلي، الحياة الاجتماعية في كوردستان، مطبعة الجاحظ، بغداد 1970،ص98.

(4) ينظر: كلوديوس ريض، س.ث،ل69.

رغم ان خزن المؤن كان يشمل الحبوب على الاكثر، ولكنهم كانوا يحفظون بعض انواع الفاكهة والمنتجات الحيوانية والبقوليات ايضاً. وذلك بطرق واساليب مختلفة ولفترات طويلة نسبياً، وخاصةً بطريقة التجفيف.[1]

اضافةً الى ذلك يمكننا القول بأن ممارسة الاقتصاد المختلط والذي كان قائماً خلال ذلك العهد في كردستان،[2] تمثل شكلاً آخر من اشكال الوقاية من الازمات الاقتصادية. لأن الماشية ومنتوجاتها تصبح وسيلة جيدة للخروج من الفاقة والمجاعة وخاصةً في مواسم الكساد الزراعي. واذا رجعنا الى عوامل ظهور الازمات الاقتصادية والتي تطرقنا اليها في الموضوع السابق، لوجدنا بأن معظم تلك العوامل (كالجراد والقحط والبرد والصقيع) كانت تؤثر على الزراعة بصورة مباشرة، في الوقت الذي كانت الثروة الحيوانية تتعرض لتأثيرات تلك العوامل بشكل غير مباشر، وذلك حينما تقلّ الكلأ والعلف.

وقد ادى كل ذلك الى اعتماد كردستان على نفسها اقتصادياً بحيث تؤمّن معظم احتياجاتها الغذائية بنفسها، وهو مايسمى بالاكتفاء الذاتي.[3] ولاشك ان

---

(1) منها على سبيل المثال: الزبيب والتين المجفف.ينظر: ئةوليا ضةلةبي، كورد لةميَذووي دراوسيَكانيدا(يان ـ سياحةتنامةي ئةوليا ضةلةبي) و: ناكام، بةغدا 1988، ل84، ابي طالب خان، رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربه سنة 1213هـ/ 1799م، ت: د. مصطفى جواد، مطبعة الايمان، بغداد(د.ت)،ص354، هادي الجاوشلي، م.س،ص98.

(2) ب.م.دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط،ت: د. معروف خزندار،بيروت 1981،ص175، مارتين ظان برونسن، ئاغا و شيَخ و دةولةت، و: كوردؤ(سةروةت محمدامين)، بنكةى ضاثةمةنى رؤذ، سويد 1996،ل40.

(3) جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد في 1834،ت:جعفر الخياط،ط1،مطبعة المعارف،بغداد1964،ص20، ميريلا غاليتي، التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين، ت: د. يوسف حبي، (طؤظارى كؤرِى زانيارى عيَراق – دةستةى كورد) مج(8) 1981،ص283.

ذلك كان له تأثير في ابعاد اهل تلك البلاد عن الغلاء والمجاعة في معظم الاحيان، بل انهم كانوا يسعفون الاقاليم المجاورة اثناء بعض الشدائد.[1]

رغم كل تلك المحاولات للأبتعاد عن الضائقات الاقتصادية، كان سكان المناطق الكردية يتعرضون بين آونة واخرى للغلاء والمجاعة، مثل سكان الأقاليم والولايات الاخرى في الامبراطورية العثمانية. ولكنّهم حتى في تلك الظروف كانوا مضطرون للاعتماد على انفسهم للخروج من تلك الشدائد. وفي هذا الاطار كان التجار وحتى الناس الاعتياديين يتوجهون في بعض المرات الى المدن والمناطق المجاورة لشراء الحبوب والمؤن وجلبها الى المناطق الكردية المتضررة. فعندما شملت المجاعة المناطق الجنوبية من كردستان في نهايات القرن السابع عشر، توجه رجال القبائل الكردية الى تجار بغداد للحصول على المؤن.[2] ولكن يبدو انهم لم يفلحوا في هذه المحاولة، لأن تلك الضائقة قد اصابت ولاية بغداد ايضاً.[3] اما في ذلك الغلاء العظيم الذي حدث في عام 1756 فقد بيعت كمية حبوب كبيرة من لموصل الى المناطق الكردية.[4] كما تغلب اهل اورفة على ذلك الغلاء الكبير الذي حدث في عام 1793 عندما توجهت قوافل الحبوب والمؤن من الموصل ومناطقها المجاورة الى تلك المدينة.[5]

---

(1) ينظر على سبيل المثال: سعدي عثمان حسين،كوردستان الجنوبية...،ص347-349.

(2) ستيفن لونكريك، م. س، ص119.

(3) م.ن،ص119.

(4) دومنيكو لانزا، م.س، ص40.

(5) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص171، جدير بالذكر ان هذا المؤرخ نفسه في كتاب (غرائب الاثر،ص31) يقول بأن هذا التدبير كان بناءً على مبادرة والي اورفة.

وفي بعض الحالات الاخرى كانت المجاعة تفقِدَ الناس صبرهم، فيرحلوا مضطرين الى الاقاليم والبلدان المجاورة لعلهم يحصلون هناك على مايسدّ رمقهم. فعندما احاطت المجاعة ببعض مناطق كردستان والموصل في عام 1689، سافر اناس كثيرون الى بغداد. ويبدو ان اغنياء هذه المدينة لم يقصروا في ايواء هؤلاء الجياع واطعامهم.(1) وفي سنتي 1756 و 1880 لجأ بعض سكان كردستان الى بغداد ايضاً هرباً من القحط والمجاعة، رغم ان هذه المدينة لم تكن في حالة ميسورة ايضاً.(2) كما جاء خلق كثير من دياربكر وماردين ومناطق الموصل المجاورة الى مدينة الموصل في عام 1757 هرباً من الجوع.(3)

ولكنّ هؤلاء الجياع لم يكونوا يحصلون في بعض الاحيان على مبتغاهم في تلك المناطق التي يلجأوون اليها، لأن الضائقة كانت تنتشر او تشتدّ فيها مع توارد عدد كبير من الناس اليها. لذلك كانوا يطردون من هذا المكان. فيتوجهون الى البراري ويموت معظمهم على الطرق الخارجية، كما سنرى فيمابعد.

في خضم محاولات ايجاد الحلول لهذه الازمات الاقتصادية والتصدي لأسباب وقوعها في كردستان، لانقف على دور يذكر للسلطات العثمانية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.(4) ولكنّ تلك السلطات كانت تهتمّ بهذه المسألة الى

---

(1) عباس العزاوي، م.س،مج5،ص 219.

(2) ستيفن لونكريك، م. س، ص206، ريجارد كوك، بغداد.. مدينة السلام، ت: فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد، ج2، ط1، مطبعة شفيق، بغداد 1967،ص91.

(3) دومنيكو لانزا، م.س، ص43، جعفر الخياط، صور...،ص160.

(4) في حادثة فريدة قام والي بغداد سليمان باشا الكبير (1780- 1802) اثناء غلاء عام 1793 في بغداد، بأخراج بعض الغلال من المخازن لبيعها الى الناس بأسعار منخفضة، وذلك لتخفيف الغلاء عن كاهلهم. ينظر: عثمان بن سند الوائلي، م.س،ص170،رسول الكركوكلي، م.س،ص183، عباس العزاوي، م.س، مج6،ص97.

حدما في نهايات العهد العثماني. منها على سبيل المثال ان الدولة قد منعت تصدير الحبوب والمؤن الى الخارج عندما تعرضت المنطقة في عام 1872 الى القحط والكساد الاقتصادي.[1] وفي عام 1892 اصدر المسؤلون قراراً مماثلاً حول ولاية الموصل.[2] وفي بعض الحالات الاخرى كانوا يرفعون الضريبة عن تلك الحبوب التي تنقل الى المناطق المنكوبة. فقد اتخذوا خطوة من هذا القبيل فيمايتعلق بولايتي بغداد والموصل عندما تعرضتا للقحط والغلاء في عام 1879.[3] وعندما واجهت الولاية الاخيرة ازمة مشابهة في عام 1898، اصدرت السلطات العليا في الدولة قراراً بنقل الحبوب من المناطق المجاورة وخاصةً دياربكر وبدليس الى تلك الولاية المنكوبة، حسبما تظهر من بعض الوثائق العثمانية.[4]

كما كانت السلطات تبدأ حملة ابادة الجراد اذا تعرضت المنطقة لهجوم هذه الحشرة الضارية، رغم ان تلك الحملة لم تكن ذات جدوى في كثير من الاحيان.[5] ولكنها كانت تقلل الخسائر على الاقل. ففي عام 1905 شمل هجوم الجراد بعض مناطق اربيل والموصل، ولكن تم وضع حد لهذا الخطر بفضل اتخاذ الاستعدادات والبدء بحملة ابادة.[6] ويبدو ان الاشتراك في تلك الحملات كان ضمن واجبات

(1) عباس العزاوي، م.س، مج8، بغداد 1957،ص14.

(2) Başbakanlik Osmanli Arşivi(BOA),Meclis-i Vükalâ Mazbatsi,nr.70/73, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği,A.G.E,s.540.

(3) BOA.İrâde Dâhiliye,nr.64292,A.E,s.502-503.

(4) BOA.İrâde Dâhiliye,nr.20/Ca.1316, A.E,s.576-579.

(5) عباس العزاوي، م.س، مج8،ص18.

(6) موصل (جريدة)،نومرو(785) 14 ربيع الاول 1323هـ/ 5 مايس 1905م،ص2.

الجندرمة (اي: الشرطة).[1] ولكن كان على الفلاحين محاولة القضاء على الجراد عندما تقوم الحكومة بأنذارهم مبكراً. فقد وجهت اصابع الاتهام بالتقصير الى اهالي المنطقة عندما اوقع الجراد اضراراً بليغة بحقول زاخو ودهوك والشيخان ومنطقة برده رش في عام1904.[2]

فيما يتعلق بالوقاية والعلاج اثناء الازمات الصحية، لانرى اية محاولة من قبل الدولة في كردستان خلال القرون الاولى من العهد العثماني. وكان الامر كذلك بالنسبة للاقاليم والمناطق الاخرى ايضاً. وكان ذلك يعود الى عدم وجود الخدمات الصحية في الدولة العثمانية –كما رأينا في الموضوع السابق– اذ كانت الدولة لاتعتبر تأمين تلك الخدمات ضمن مهامها اصلاً.[3]

وتزامناً مع ذلك كان الوعي الصحي لدى السكان في مستوىً منخفض – كما ذكرنا سابقاً – وخاصةً ان غالبيتهم كانوا أميين.[4] وفيما يتعلق بذلك يجدر

---

(1) ينظر ملاحظات وكيل قائد الجندرمة في الموصل على تقرير وكيل قائمقام كويه حول اوضاع المنطقة في سنوات 1916-1917 في : د.خليل علي مراد، مختارات من كتاب...،ص158.

(2) موصل (جريدة)، نومرو(741)، 14محرم1322هـ/ 1904م، كاميران عبدالصمد احمد الدوسكي، بهدينان في اواخر العهد العثماني (1876-1914)/ دراسة تاريخية، اربيل 2007،ص341.

(3) فيما يتعلق بمهام الدولة وفق المنظور العثماني ينظر: د.خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية / من النشوء الى الانحدار، ت: د. محمد.م.الارناؤوط، دار المدار الاسلامي، ط1،بيروت 2002،ص103-109.

(4) فيما يتعلق بذلك يمكننا الاستفادة من تلك المعلومات التي يوردها (لونكريك) حول نسبة المتعلمين في العراق، اذ يقول المذكور بأن تلك النسبة كانت في عام 1850 حوالي 0.5% بين سكان المدن، وفي عام 1900 ارتفعت الى 5-10%، اما بين العشائر فكان المتعلمون=

بالقول ان الكوليرا كان وباءً مجهولاً في المنطقة في بدايات القرن التاسع عشر ايضاً. فحينما انتشر هذا الوباء في عام 1821 دوّن الكركوكلي : "وفد في بداية هذه السنة على العراق من الهند مرض لايعرف اسمه ولا دواؤه."[1] ولهذا السبب اتخذ هذا الوباء عدة تسميات مثل (الهواء الاصفر، الهيضة).

وكان هذا الجهل مع عدم وجود العلاج والارشاد الصحي من جانب الحكومة – كما يذكر القنصل الفرنسي في بغداد- لهما تأثير سيء عند ظهور تلك الامراض والاوبئة الفتاكة. اذ كان الناس يسلمون انفسهم الى القدر في معظم الاحيان، وكانوا يعتقدون بأنهم عاجزون عن الخلاص من ذلك الموت المتنقل.[2] ويبدو ان بعض علماء الدين (الذين كانوا يؤلفون الفئة المثقفة في المجتمع خلال ذلك العهد) كان لهم دور في نشر هذا الشعور باليأس، عندما كانوا يضعون اعمال الوقاية من تلك الامراض في اطار محاولة الفرار من الموت. ففي اعقاب تفشي وباء الطاعون في كردستان وكذلك الموصل في عام 1800، اصدر والي بغداد امراً بعدم ورود القوافل التجارية والمسافرين من تلك المناطق الموبوئة الى بغداد. ولكن ياسين العمري – وكان مؤرخاً وعالماً دينياً في الموصل آنذاك- عندما ينقل لنا تلك المعلومة يقول بأن هذا كان "خوفاً من الموت قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرّون منه فانه

يعدون بالافراد. (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص380) ومن المؤكد ان اوضاع كردستان لم تكن بأحسن في هذا المجال.

(1) دوحة الوزراء..، ص298.

(2) من الطريف هنا ان نورد الملاحظة التي يبديها (علي الوردي) حول ذلك حينما يقول بأن الناس عندما كانوا يسمعون بتفشي تلك الاوبئة الفتاكة، فأن معظمهم كانوا يجهزون مواد الكفن لأنفسهم و ويعدّون أنفسهم للموت. وكانوا يعتقدون بأنه اذا ماتوا دون ان يكفنوا فأنهم يلقون في جهنم. ينظر: لمحات اجتماعية...، ج1، ص272-273.

ملاقيكم."[1] وكذلك عندما جاء وباء مماثل من ايران الى كردستان في عام 1830، اعطى طبيب المقيمية البريطانية في بغداد تعليمات (الحجر الصحي) الى والي بغداد للوقاية من هذا الوباء، ولكن بعض علماء الدين "غير العالمين" عدّوا هذا الحجر عملاً ضد الشريعة ومنعوا تطبيقه.[2] ولكن بعض المسيحيين والاوربيين المقيمين في بغداد انعزلوا عن الناس واوصدوا الباب على انفسهم ، وبذلك نجا معظمهم من الوباء.[3] وهذا دليل على ان هذه الطريقة الوقائية كانت معروفة وقد طبقت من قبل البعض حتى وان كانت في حدود ضيقة.

وفي السنوات السابقة ايضاً عندما كانت الاوبئة تجتاح بغداد والموصل كان بعض الاغنياء والاعيان والمتنفذين وبعض الناس البسطاء ايضاً، يتركون المدن والبلدات احياناً ويخيمون في البرية حتى انتهاء الوباء.[4] ولدينا بعض الحوادث التي تثبت بان محاولات من هذا القبيل قد بذلت في كردستان ايضاً. ففي الطاعون الكبير الذي انتشر في المنطقة خلال سنوات 1771-1773 وشمل مناطق بابان ايضاً، هرب أناس كثيرون من اهل تلك المناطق خوفاً من هذا الوباء الى السهول والجبال ولجأ بعضهم الى الكهوف والاماكن النائية الاخرى. وبعد انقضاء الطاعون ظهروا هنا وهناك واعلنوا بقائهم احياء. وابتعد اهالي تلك المناطق عن المراكز الحضرية بنفس

---

(1) غرائب الاثر، ص54، لاشك ان هذا الرأي كان نابعاً من الجهل بالشريعة الاسلامية، اما الآية المذكورة فتقصد الفرار من الموت وليس من المرض والأوبئة.

(2) ستيفن لونكريك، م. س، ص318-319، علي الوردي، م. س،ج1،ص269، ويقول مصدر آخر بأن الوالي هو الذي عدّ ذلك مخالفاً للدين. ريجارد كوك، م.س،ص146.

(3) ستيفن لونكريك، م. س، ص319.

(4) ينظر على سبيل المثال: رسول الكركوكلي، م. س،ص298، ياسين العمري، غرائب الاثر، ص54، علي الوردي، م.س،ج1،ص159.

الشكل عندما تفشى وباء الكوليرا في المنطقة خلال سنتي 1821- 1822.[1] وفي حادثة اخرى يقال بأن اهالي احدى القرى الكردية قد ابعدوا امرأةً اصيبت بداء الجذام، خوفاً من العدوى.[2]

اذا كانت تلك الامثلة مجرد محاولات بدائية قليلة للوقاية من الامراض والاوبئة، فيمكننا القول بأن اول محاولة علمية حديثة لهذا الغرض في كردستان كانت في عام 1820. وذلك حينما نفذت السيدة (ريج) زوجة المقيم البريطاني في بغداد برنامجاً للتلقيح ضد الجدري بين اطفال السليمانية. ولكن البرنامج لم يكن ناجحاً لأنه طبق من قبل اشخاص لم يكن لهم خبرة في هذا المجال.[3] وقد ادى فشل تلك المحاولة الى فقدان الثقة بالمحاولات التي كان يبذلها الطبيب المرافق لـ (ريج) لعلاج المصابين بهذا المرض.[4]

رغم اخفاق تلك المحاولة ، يمكن القول بأن الاطباء الاوربيين المتواجدين في المنطقة خلال تلك الفترة ، كانوا يقدمون المساعدة عموماً لمنع تفشي الامراض والاوبئة واستفحال الكوارث الصحية. ولكن ذلك كان متوقفاً على مدى اخلاص المسؤولين واعتقادهم بهذه المساعدة. فعندما انتشر وباء الكوليرا في عام 1846، كان احد الاطباء الفرنسيين وهو (الدكتور دروز) يعمل في بغداد لصالح الحكومة

---

(1) حسين ناظم بيط، م. س،ص123،320.

(2) ياسين العمري، غاية المرام، ص95، جدير بالذكر ان هذه الحادثة قد رويت في اطار موضوع ذو طابع خرافي، ولكن مسألة الابعاد المشار اليها مهمة لدينا.

(3) كلوديوس ريض، س.ث، ل275.

(4) عندما يتحدث (ريج) عن وفاة احد ابناء الامير البابانى محمود باشا بهذا المرض الذي اصيب به، يقول بأن طبيبه "بذل محاولات كثيرة... ولكنه لم يتمكن من اقناع والديه كي يعطوه الدواء، او يضعوه في مكان معتدل الحرارة". م.ن، ص307.

العثمانية. وقد طلب هذا الطبيب بعض المال لتجهيز الادوية الضرورية المضادة لهذا الوباء، ولكن المسؤولين اهملوا طلبه.[1] وبالمقابل من ذلك نرى بأن بعض المسؤولين الآخرين يطلبون بأنفسهم المعونة من اولئك الاطباء. فخلال كوليرا عام 1821 والذي شمل كردستان ايضاً، طلب والي بغداد داود باشا (1816-1831) بنفسه المساعدة والمعلومات الصحية من المقيمية البريطانية. وقدم طبيب المقيمية بعض الادوية وكذلك الارشادات للوقاية والعلاج من هذا المرض. فترجمت تلك الارشادات الى التركية وارسلت الى الجهات المختصة.[2]

وكان لبعض المسؤولين في المنطقة بعض المبادرات المفيدة اثناء الازمات الصحية السابقة ايضاً. منهم على سبيل المثال سليمان باشا الكبير والي بغداد (1780- 1802) الذي امر في عام 1800 بمنع المواصلات والمبادلات التجارية مع المناطق الواقعة شمال ولايته، لأن الطاعون كان قد تفشى في تلك المناطق،[3] كما اشرنا الى ذلك سابقاً.

بعد مضي عدة قرون و وقوع العديد من الكوارث والويلات وخسارة ارواح عشرات الآلاف في الاقاليم والويلايات العثمانية، بدأت السلطات العثمانية تفكر في هذه المسألة شيئاً فشيئاً، وتحاول منع حدوث تلك الازمات الصحية او تحديدها على الاقل. اذ لم تطبق خطة (الحجر الصحي) في الدولة حتى عام 1838.[4] ومرّت سنتين حتى تم وضع نظام خاص لها وسمي بنظام

(1) علي الوردي، م.س،ج2،ص146. جدير بالذكر ان هذا الوباء كان يتوجه من الجنوب الى الشمال، لذلك اذا كانوا قد تمكنوا من القضاء عليه في بغداد لم يكن يصل الى كردستان.

(2) رسول الكركوكلي، م. س، ص298، عباس العزاوي، م. س، مج6، ص297.

(3) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص54، منية الادباء،ص193.

(4) عباس العزاوي، م.س، مج7،ص41.

(كورنتينا).[1] ولم يتخذ هذا النظام صيغته النهائية حتى عام 1871. وقد اصدرت الدولة في تلك السنة قانوناً خاصاً بالصحة العامة وكيفية الاشراف عليها، وسمي القانون بـ (نظام الادارة العمومية الطبية). بموجب هذا القانون فرض على ادارة بلديات جميع مدن الولايات تعيين طبيب ومعاون له في المدن الكبيرة، لكي يعالجوا المرضى مجاناً في يومين من كل اسبوع. وعدّ هذا الطبيب مسؤولاً عن الصحة العامة في تلك المدينة.[2]

ولكن ليس بالضرورة ان يكون هذا القانون قد طبق بحذافيره في جميع المناطق، ففي سالنامة[3] ولاية الموصل لسنة (1308هـ/ 1890-1891م) نجد طبيباً تابعاً لأدارة البلدية في مدينتي الموصل وكركوك (وكانتا مركزين لسنجقين في ولاية الموصل)، في الوقت الذي كانت السليمانية تفتقر الى هذا الطبيب رغم انها كانت مركزاً لسنجق آخر في نفس الولاية. اما في مدينة اربيل التي كانت مجرد مركزاً لأحد الاقضية التابعة لسنجق شهرزور (كركوك)، فمسألة وجود هذا الطبيب لم تكن مطروحة اصلاً.[4] وفي سالنامة سنة (1312هـ/ 1894م) لنفس الولاية لانجد اثراً لذلك الطبيب التابع لبلدية كركوك، كما لم يكن لهذا الطبيب وجود في السليمانية.

---

(1) Quarantine كلمة انكليزية تعني الحجر الصحي.

(2) جميل النجار، م. س، ص339-400.

(3) سالنامة: مصطلح عثماني مركب من كلمتين وهما (سال) التي تعني السنة و(نامة) التي تعني الرسالة، فيكون معنى المصطلح (الرسالة او التقرير السنوي). اصدرت الدولة العثمانية اول سالنامة لها في عام 1847، فحذت الولايات حذوها فيمابعد، وكانت كل واحدة منها تضم معلومات ادارية واقتصادية وعمرانية وجغرافية وتأريخية مهمة حول تلك الولاية. لمزيد من المعلومات ينظر:حسن دومان،البيبليوطرافيا والفهرس الموحد للسالنامات والنوسالات العثمانية،انقرة 1999،ص39 ومابعدها.

(4) ينظر: سالنامه ولايت موصل 1308هـ ص126،147-150.

وذلك في الوقت الذي نرى في بلدية الموصل طبيباً وجراحاً مع صيدلي.[1] ويستمر هذا النقص في كركوك والسليمانية في سالنامة (1325هـ / 1907) ايضاً، في حين تضم بلدية الموصل هيئة صحية مكونة من مفتش صحي وطبيب بشري وآخر بيطري مع موظفين صحيين.[2]

ولكن الامر المهم هو ان مؤسسات الـ (كورنتينا) كانت فعالة خلال اواسط القرن التاسع عشر،[3] اذ كانت هذه المؤسسة في مدينتي خانقين ومندلي الواقعتين على الحدود مع ايران تمارس نشاطاً مهماً في النصف الثاني من ذلك القرن. حيث كانوا يحجزون اولئك الذين يأتون من ايران لمدة (10) ايام، عند ظهور علامات اي وباء في المدن الايرانية، وذلك قبل ان يسمحوا لهم بالدخول.[4] وكان ذلك لظهور اعراض المرض عليهم اذا كانوا قد اصيبوا به.

وفي هذه الفترة ايضاً نلاحظ بأنهم كانوا يعمدون الى تطويق اية منطقة تظهر فيها علامات الوباء، وذلك لمنع انتشاره الى المناطق الاخرى.[5] وكثيراً ماكانت الاوامر والارشادات تنشر من قبل السلطات بهدف الوقاية. فعندما انتشر الكوليرا في بلاد الشام في عام 1903، نشرت صحيفة الـ (موصل) توصيات واوامر الصدر الاعظم، التي نصت على ان تقوم الولايات المجاورة بأتخاذ احتياطاتها من خلال

---

(1) سالنامه ولايت موصل 1312هـ ص134،162،180.

(2) موصل ولايتي سالنامة رسميسيدر 1325 هـ عزتلو صفوت بك معرفتيلة ترتيب و دردنجي دفعة اول رق، موصل مطبعة سنده طبع اولنمشدر، ص157،209.

(3) سعاد هادي العمري (ترجمة وجمع)، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة، مطبعة دار المعرفة، بغداد 1954،ص89.

(4) جميل النجار، م. س، ص400.

(5) ينظر: عباس العزاوي، م.س، مج8، ص51.

تطبيق التعليمات الصحية والحفاظ على النظافة. كما حددت مهام البلديات ودعت علماء الدين ايضاً لى القيام بدورهم في توعية الناس.[1]

ويبرهن ذلك على ان الصحافة ايضاً بدأت تلعب دوراً في مجال الوقاية من الامراض والاوبئة. ففي عدد آخر من نفس الصحيفة نشر احد الاطباء مقالاً باللغة العربية حول طريقة معالجة مرض الكوليرا.[2] وفي سالنامة الموصل العائدة لسنة (1325هـ/ 1907م) نجد موضوعاً من عدة صفحات كتب من قبل طبيب بلدية الموصل تحت عنوان (الاوضاع الصحية في الولاية)،[3] ويدخل ذلك في اطار مراقبة الصحة والاهتمام بهذا الجانب.

ويجب ان لاننسى ايضاً بأن عدداً من المستشفيات والصيدليات فد افتتحت في بعض المدن خلال تلك الفترة. ففيما يتعلق بجنوبي كردستان مثلاً شهد العقد الاخير من القرن التاسع عشر تأسيس المستشفيات في الموصل وكركوك ودهوك، وتواجدت في الموصل (16) صيدلية وفي كركوك صيدلية واحدة.[4] وتشير سالنامة سنة (1325 هـ/ 1907م) الى وجود مستشفى في مدينة السليمانية.[5]

---

(1) موصل (جريدة)،نومرو(707)،20 ربيع الآخر1321هـ/ 1903م.

(2) موصل (جريدة)،نومرو(756)، 19جمادي الاول1322هـ/ 1904م.

(3) موصل ولايتي سالنامة رسميسيدر 1325 هـ ص108-118.

(4) سالنامه ولايت موصل 1312هـ ص299،286،263.

(5) موصل ولايتي سالنامة رسميسيدر 1325 هـ ص227.جدير بالذكر اننا نتوصل من خلال معلومات نفس السالنامة الى ان مدينة اربيل لم تحتوِ على اية مستشفى حتى تلك الفترة.

وضمن اجراءات الوقاية من بعض الامراض، تم في هذه الفترة تبني طريقة التلقيح ايضاً. ففي عام 1915 قررت الحكومة تلقيح الموظفين ضد مرض (التيفوس/ الحمى النمشية).[1]

بالرغم من كل تلك المحاولات الوقائية ظلّت الحالة الصحية متردية، وذلك بسبب نقص الخدمات الصحية وقلة المؤسسات الصحية وضعف امكاناتها.[2] ولذلك كانت الامراض والاوبئة تنتشر خلال هذه الفترة ايضاً حتى وان كانت بنسبة اقل.

اهم الازمات والكوارث الاقتصادية والصحية:

بعد ان حددنا اسباب حدوث الكوارث الاقتصادية والصحية وكذلك اوضحنا اساليب الوقاية والمعالجات قدر الامكان، يلزم علينا الآن الاشارة حسب السنين الى اهم حوادث الغلاء والمجاعة وكذلك الاوبئة والامراض الفتاكة التي انتشرت خلال العهد العثماني في كردستان، والذي استمر اربعة قرون. ولكن ليس من الضروري ان نحصر في بحث كهذا جميع الازمات الاقتصادية والصحية التي وقعت خلال هذه المدة الطويلة. وخاصةً اننا لانستطيع ان نؤكد بأن جميع الازمات التي وقعت خلال تلك الفترة في كردستان قد سجلت في المصادر التأريخية. ويعود ذلك الى النقص في وجود المصادر التأريخية المحلية الكردية أو الخاصة بكردستان، وخاصةً فيما يتعلق بالقرنين السادس عشر والسابع عشر. ولذلك نضطر في بعض الاحيان الى التدقيق في حوادث المناطق المجاورة من اجل استنباط المعلومات حول تلك الازمات التي حدثت في كردستان، كما يظهر لنا فيما يأتي:

---

(1) عباس العزاوي، م.س، مج8، ص295.

(2) جميل النجار، م. س، ص405.

يشير لونكريك الى ان كساداً عظيماً قد حدث في المناطق الوسطى من العراق خلال سنوات 1574 – 1576، وذلك بسبب عدم نزول الغيث لمدة (30) شهراً.[1] ومن المعلوم ان المقصود بوسط العراق هو ولاية بغداد، ولذلك من البديهي ان يكون ذلك الكساد قد شمل بعض مناطق كردستان الجنوبية على الاقل، لأن المناطق المذكورة كانت قريبة من بغداد. كما ان كساداً من هذا النوع الذي يحدث بسبب القحط، يغطي عادةً بقعة جغرافية واسعة ولاينحصر ببغداد والمناطق المحيطة بها.

وجاء في مصدر آخر بأن الغلاء قد انتشر في بلاد ايران خلال عام 1591 حتى وصل الموصل.[2] ومن المؤكد ان هذا الغلاء كان له تأثير في كردستان العثمانية ايضاً، لوقوعها بين ايران والموصل. وكذلك يبدو ان الخطب كان عظيماً بحيث شمل ايران والموصل معاً.

وفي عام 1688 اصابت مجاعة شديدة مناطق بغداد والموصل وشملت كردستان ايضاً. ان هذه المجاعة التي حدثت بسبب القحط والكساد قد استمرت الى العام التالي ايضاً.[3] ويبدو ان هذه المجاعة كانت خطيرة الى الحد الذي اضطر اهل الموصل الى أكل لحوم الدواب والجِيَف، بالرغم من ذلك مات خلق كثير

---

(1) اربعة قرون...،ص54.

(2) ياسين العمري، زبدة الآثار،ص59.

(3) عباس العزاوي، م.س، مج5، ص129، ريجارد كوك، م. س، ص60–61. جدير بالذكر ان (ياسين العمري) يقول بأن هذا الغلاء قد نشأ في عام 1687 في الموصل بسبب الجراد، واستمر الغلاء في العام التالي بسبب عدم سقوط الامطار.(ينظر: منية الادباء، ص175–176) مما يعني بأن هذا الغلاء كان قد ظهر في الموصل قبل المناطق الاخرى بعام واحد وذلك بسبب مجيء الجراد، لأن احد المصادر الاخرى يؤيد ذلك ايضاً. (محمد امين العمري،م. س، ج1،ص140).

منهم.[1] وفي مناطق كردستان أجبر الغلاء والمجاعة العديد من الناس الى الرحيل الى بغداد بغية اشباع بطونهم الفارغة. الامر الذي ادى الى ارتفاع معدل الغلاء في تلك المدينة، ثم انتشر الطاعون فيها وأودى بحياة عشرات الآلاف خلال بضعة اشهر.[2]

وفي سنة 1737 نزل وباء الطاعون ضيفاً ثقيلاً على الموصل ومناطقها المجاورة – لاشك ان غالبية تلك المناطق كانت كردية– وخلال مدّة تتراوح بين 3-4 شهراً قضى على آلاف السكان.[3]

وخلال سنتي 1732 و1733 ثم في سنت 1743 شهدت المنطقة حوادث الغلاء والمجاعة واعمال التدمير على نطاق واسع، وذلك بسبب حملات نادرشاه. ففي الحملة الاولى تعرضت شهرزور وكركوك واربيل مع معظم مناطق كردستان الجنوبية الاخرى الى حوادث القتل والتدمير والنهب بشدة. فيذكر مؤرخ نادرشاه المرافق للحملة بأن القوات الايرانية استولت في منطقتي سورداش وقلاجوالان على غلال ومؤن كثيرة جداً. ودمّروا ماصادفوه في طريقهم.[4] ويشير احد المعاصرين لتلك الاحداث بأن القوات المهاجمة مارست اعمال القتل والتخريب والاعتداء بشكل فضيع في مناطق قره تبه وكفري وداقوق وخورماتو، وحصلوا على منهوبات كثيرة. وفي طريقهم نحو كركوك كان المهاجمون يخرّبون القرى يساراً

---

(1) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص74، محمد امين العمري،م. س، ج1،ص140.

(2) عباس العزاوي، م.س، مج5، ص129، ريجارد كوك، م. س، ص60.

(3) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص90-91، محمد امين العمري،م. س، ج1،ص149، جدير بالذكر ان هذا الوباء قد جاء في المصدر الاول ضمن حوادث سنتي 1736-1737، في الوقت الذي يشير المصدر الآخر الى سنتي 1737-1738.

(4) ميزرا مهدى خان استرا بادى، دره نادره، تصحيح: ميرزا عبدالوهاب، شيراز 1271هـ ص140-144.

ويميناً.[1] ومن البديهي ان يكون ذلك النهب قد اثر بشكل خطير على السكان الذين سلموا من القتل. لأنه كان يؤدي الى حرمانهم من المؤن والاغذية فيعانون من الجوع وعدم الحصول على القوت. وفي هذه الحملة ايضاً وقعت بغداد تحت الحصار لمدة عدة اشهر، فعاش السكان – وكان بينهم نسبة من الكرد- تحت وطأة الغلاء والمجاعة المهلكة. اذ كان الجوع مؤثراً الى درجة اضطر الناس الى اكل لحوم الدواب والكلاب والقطط والجيَف وشرب الدماء. وكان من الطبيعي ان تؤدي تلك الاعمال الى انتشار الامراض والاوبئة الخطيرة فمات عدد كثير من السكان، كما تشير المصادر المعاصرة لتلك الاحداث.[2]

وخلال حملة عام 1743 واجهت المناطق الكردية المذكورة نفس الكوارث ايضاً. وشمل النهب والتخريب هذه المرة المناطق الواقعة الى الشمال من الزاب الكبير ايضاً، كمناطق الكرد اليزيديين وقرى منطقة عقرة وبرده رش وضواحي الخازر وكذلك زاخو، بل وصلت ايادي التدمير والنهب الى منطقة جزيرة (بوتان) ايضاً واحرقت او دمّرت معظم حقولها وبساتينها.[3] وفيما يتعلق بذلك يقول احد المعاصرين: 'ارسل العدو جنده الى الجبال والبقاع من اجل جلب القوت والاغذية لعساكره فلم يتركوا شيئاً الا نهبوه من حنطة وشعير وخشب وتبن ودبس وعسل

---

(1) نرسيس صائغيان، صفحة منسية من تأريخ نادر شاه، لغة العرب(مجلة)، ج(5)، س(7)، بغداد 1929،ص380-381.

(2) م. ن، ص382، رسول الكركوكلي، م. س، ص30-31.

(3) د. سيار كوكب علي الجميل، حصار الموصل/ الصراع الاقليمي واندحار نادر شاه، مطبعة الجمهور، ط1، موصل 1990،ص142-143، سعدي عثمان حسين، كوردستان الجنوبية...،ص312-315.

وجميع مايصلح للأكل فوصلوا حتى الجزيرة". ويشير هذا الشخص ايضاً الى ان هـذه الحملة أدت الى حدوث "الجوع والغلاء الذي عمّ كل مكان".[1]

وبسبب بعض العوامل الطبيعية وقعت كارثـة عظيمـة في كردستان والمنـاطق المحيطة بها خلال سنتي 1756 و1757. وتعدّ هذه الكارثة من الكوارث الكبيرة الـتي حدثت في المنطقـة خـلال تأريخها الحـديث. اذ حـدث القحـط والكـساد في اقلـيم دياربكر والمناطق المجاورة لها في اول الامر، ثم شمـل الموصـل تـدريجياً.[2] فقـد بـاع اهل الموصل في البداية كمية كبيرة من الحبوب والغلال الى المناطق الكرديـة، ولكـن لم يلبث ان جاء الجـراد في نفـس الـسنة (1756) وقـضت علـى معظـم مزروعـات مناطق الموصل.[3] فأنتشر غلاء شديد ومجاعة خطيرة في معظم المنـاطق خـلال هـذه السنة. وبصدد تلـك الاحـداث يقـول (ياسـين العمـري): "أشـتدّ الكـرب، وعظـم الخطب، وعمّ الغلاء العجم والعرب وحلّ في جميع البلاد".[4]

ولم تتوقف الكارثة عند هذا الحد بل جاءت موجة برد شديدة في شتاء 1757 وغطّى الجليد والصقيع منطقة واسعة. ان هذه الموجة الباردة التي لم يكن لها مثيل في تأريخ المنطقة، كانت من الشدّة بحيث انخفضت درجة الحـرارة الى مـستوىً تجمـدت فيه نهر دجلة وكان الناس والدواب يمشون عليه.[5] وقد أدى استمرار هـذه الموجـة لمدّة (20) يوماً، الى هلاك نسبة كبيرة من الحيوانات البرية والداجنة، كما قضى على الحقول والبساتين. فأشتدّ الغلاء والمجاعةنتيجة لـذلك، وخاصـةً في منـاطق مـاردين

(1) سهيل قاشا، م. س، ص154-155.

(2) ستيفن لونكريك، م. س، ص206.

(3) دومنيكو لانزا، م.س،ص40، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص110.

(4) زبدة الآثار، ص112.

(5) م. ن، ص114، ياسن العمري، منية الادباء، ص183-184، دومنيكو لانزا، م.س،ص42.

ودياربكر. لذلك توجه عدد كبير من اهالي تلك المناطق نحو الموصل التي كانت حالتها احسن نسبياً. ولكن توارد عدد كبير من الناس الجياع على هذه المدينة ادى الى تدهور حالتها.[1] ويصور لنا أحد شهود العيان هذه الحالة ويقول: آل بهم الحال الى بيع الآباء اولادهم والازواج نسائهم لمدّ حياتهم مدّة قصيرة ثم لايعتمون ان يفقدوها هالكين من آلام الجوع التي تزيد فيها قسوة الشتاء. وكانت جثثهم تبقى على قوارع الطرق بلا دفن الى ان يأتي من اهل الخير من يلقيها في دجلة غالباً.[2] ويدعم احد المؤرخين المعاصرين هذه الصورة القاتمة ويشير الى فناء عدد كبير من الناس بسبب الجوع. ذلك الجوع الذي اجبرهم على أكل لحوم الدواب الميتة، وطحال ومصران الاغنام، كما كانوا يأكلون الدم ايضاً بعد تجميده، بل أدى الجوع ببعض الناس الى ارتكاب جرائم بشعة.[3]

وعندما تزايدت ويلات هذه المدينة بهذه الصورة، قرر أولوا الامر في الموصل اخراج اولئك الغرباء الجياع من المدينة. فتوجه هؤلاء نحو السهول والبراري وسلكوا طرق قلاجوالان وكركوك وبغداد دون ان يتزودوا بزاد السفر. لذلك خارت قوى معظمهم في الطريق وهلكوا جوعاً. فتناثرت جثث اولئك المسافرين البائسين على الطرق الخارجية.[4]

رغم ان وطأة الغلاء والمجاعة قد خفت على الموصل في اعقاب طرد الغرباء منها، ولكن بينما كان أهل هذه المدينة يترقبون بفارغ الصبر نضوج المحاصيل، جاءت هجمة جراد كثيفة الى المنطقة وقضت خلال عدة ايام على الحقول

---

(1) دومنيكو لانزا، م.س،ص43، جعفر الخياط، صور...،ص159-160.

(2) دومنيكو لانزا، م.س، ص43.

(3) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص112-113، وكذلك: منية الادباء، ص183.

(4) دومنيكو لانزا، م.س، ص43-44، جعفر الخياط، صور...،ص160-161.

والمزروعات واصابت سكان الموصل وضواحيها بيأس شديد. لذلك هم الذين توجهوا هذه المرة الى الاقاليم والولايات المجاورة وسلكوا الطريق تحت ضغط الجوع، ولكن مصيرهم لم يكن بأحسن من السابقين.[1] اما الذين بقوا في الموصل فكان يموت منهم عدد كبير يومياً من أثر الجوع. وكانت جثث معظمهم تبقى في الشوارع والازقة فتأكلها الكلاب أو تلقى بها في النهر. ولكن بعض الموتى كانوا يدفنون ولكن بدون غسل وتكفين.[2] ومما زاد الطين بلةً ان الامراض الخبيثة قد انتشرت في المدينة طوال عام 1757 "فأمتلأت البيوت بالمرضى والمقابر بالموتى".[3]

بالرغم من ذلك وصل بعض المسافرين الجياع الذين بدأوا رحلتهم من الشمال الى بغداد، ولكنهم جاؤوا بالفقر والجوع معهم الى هذه المدينة. لأن تجمع هذا الحشد هناك قد أدى الى الغلاء وشحة المواد الغذائية. ولكن لم يلبث ان ولّت الازمة في تلك المدينة.[4] في الوقت الذي كانت الضائقة في دياربكر على اشدها.[5] ولكن يبدو ان هذه الكارثة المستديمة قد انتهت في السنة التالية، اي في 1758، رغم بقاء تأثيرها على تلك المناطق خلال هذه السنة ايضاً.[6]

يبدو ان هذه الكارثة الكبيرة لم تشمل المناطق الجنوبية من كردستان، لأن بعض المصادر التأريخية المعاصرة لتلك الفترة تذكر بأن تجار الموصل كانوا يستوردون الغلال والاغذية من المناطق البعيدة (مثل: قلاجوالان) خلال تلك

---

(1) دومنيكو لانزا، م.س،ص44، سليمان صائغ، م. س، ص290.

(2) دومنيكو لانزا، م.س،ص44، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص115.

(3) دومنيكو لانزا، م.س،ص44.

(4) ستيفن لونكريك، م. س، ص206، ريچارد كوك، م. س، ص91.

(5) ستيفن لونكريك، م. س، ص206.

(6) جعفر الخياط، مشاهدات الدكتور ايفز...، ص47.

الضائقة.[1] كما يتحدث أحد الذين عايشوا تلك الازمة في الموصل عن استيراد القمح والشعير من كويه وشهرزور وكركوك.[2] ولكن يبدو ان مناطق اربيل وبادينان لم تكن بمنأىً عن تلك الضائقة الاقتصادية، على اعتبار ان تلك المناطق أقرب الى الموصل ولذلك من البديهي ان تكون العوامل الطبيعية التي سببت الضائقة قد شملتها ايضاً. واذا كانت الغلال متوفرة في تلك المناطق لم يكن تجار الموصل يتوجهون الى شهرزور وقلاجوالان البعيدتين عن الموصل قياساً الى اربيل وبادينان.

ولكن (ريج) عندما يستعرض بأيجاز الحوادث والكوارث التي تتعلق بتأريخ كردستان (ويقصد مناطق بابان) في ملحق كتابه، يشير ضمن حوادث سنة 1171هـ / 1757- 1758 الى انتشار طاعون كبير.[3] ووردت تلك الحادثة في مصدر آخر معاصر للأحداث ايضاً. وجاء في ذلك المصدر بأن هذا الوباء قد قضى على عدد كبير من سكان كردستان ثم انتقل في عام 1758 الى الموصل، ولكن لم يكن ضرره كبيراً هناك لأنه لم يدم طويلاً.[4] ويظهر بأن هذا الوباء قد شمل منطقة واسعة من كردستان حتى وصل الى الموصل.

وضيّق طاعون آخر الخناق على المنطقة خلال سنوات 1771-1773، ويسميه (ريج) بالطاعون "الصغير" ويقول بأنه أصاب امارة بابان في عام 1773.[5]

---

(1) دومنيكو لانزا، م.س،ص44، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص113.

(2) دومنيكو لانزا، م.س،ص100(ملحق رقم-4- مذكرات الخطاط يونس بن عبدالعزيز سنة1757).

(3) طةشتي ريض...، ل431.

(4) دومنيكو لانزا، م.س،ص52.

(5) طةشتي ريض...، ل431.

ولكن هذا الطاعون كان في الواقع طاعوناً كبيراً وخطيراً، لأن مدى انتشاره كان واسعاً. فعندما انتشر هذا الوباء من استانبول نحو الجنوب،[1] اصاب دياربكر بشدة في سنة 1771،[2] وفي هذه السنة انتقلت العدوى الى ماردين ونصيبين ومدينة جزيرة والموصل.[3] وفي السنة التالية اشتد الوباء على الموصل وشمل مناطقها المجاورة فقضى على آلاف الاشخاص.[4] بل ان بعض الاشخاص كانوا يعقون ارضاً بينما كانوا يؤدون صلاة الجنازة على الموتى في المساجد، ثم يموتون بعد برهة.[5] وهذا دليل على شدة الوباء وقوة تأثيره بحيث كان يقضي على الضحية في مدة وجيزة.

وفي سنة 1772 شمل هذا الوباء المتنقل مناطق ومدن اربيل وكركوك وتكريت وبغداد ومعظم مناطق ايالتي بغداد والبصرة. وفي السنة التالية ضيّق الخناق على اهالي اربيل وقراها واباد جمعاً كثيراً من الناس. وفي كركوك وبغداد كان الطاعون مؤثراً بحيث كان يقضي في بعض الأيام على ألف شخص.[6] وفي تلك الظروف أخذ الاغنياء والمسؤولون يخرجون مع عائلاتهم من المدن والمراكز الحضرية ويخيمون في العراء حتى انقضاء الوباء. وفي بغداد كان الوالي يلوم في البداية اولئك الذين يهربون من الوباء بهذا الشكل، ولكنه لم يلبث ان اضطر الى ان يحذو حذوهم.[7] وفي مناطق بابان رغم ان العديد من الناس قد هربوا وتفرقوا في

---

(1) علي الوردي، م. س، ج1، ص159.

(2) ياسين العمري، منية الادباء، ص188(الهامش).

(3) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص135.

(4) دومنيكو لانزا، م.س،ص13، محمد امين العمري،م. س، ج1،ص186-186.

(5) محمد امين العمري،م. س، ج1،ص185.

(6) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص137.

(7) علي الوردي، م. س، ج1، ص159.

السهول والجبال، ولكن هذا الوباء قد حصد أرواح السكان ولم يبقَ منهم الا نسبة 40٪ حسب معلومات أحد المصادر. واصابت هذا الطاعون مركز الامارة البابانية قلاجوالان بشدة، لذلك ترك الامير الباباني محمد باشا[1] مركز حكمه الى كويه.[2]

رغم اننا لانعثر في المصادر على معلومات تفيد بأن هذا الطاعون قد شمل اقليم بادينان ايضاً، ولكن ذلك لايعني بأن هذا الاقليم كان بمنأىً عنه، خاصةً وأن طاعوناً كهذا كان قد أصاب العمادية وسكان تلك النواحي خلال سنة 1778 وأودى بحياة الكثيرين.[3] لم تمضي فترة طويلة على تلك الويلات حتى أصاب غلاء عظيم مناطق بغداد والموصل بسبب عدم سقوط الامطار. وهذا الغلاء الذي وقع في عام 1786، قد قضى في بغداد على عدد كبير من السكان وخاصةً الفقراء منهم. اذ مات هؤلاء اما جوعاً او اصابهم المرض نتيجة أكل الاغذية الفاسدة والمواد غير القابلة للاكل فقضوا نحبهم.[4] يقول (العزاوي) بأن هذا الغلاء والمجاعة قد طال لمدة سنتين ونصف وفي النهاية تفشى الطاعون.[5] أما في الموصل ومناطقها المجاورة فقد استمر الغلاء الى السنة التالية ايضاً، فهجرت العديد من القرى وارتحل الكثيرون الى المناطق الاخرى بحثاً عن لقمة العيش. واودى الجوع بحياة بعض الفقراء والمعوزين كما هلكت نسبة من الحيوانات.[6] ان هذه الكارثة التي غطت

---

(1) محمد باشا الباباني: هو ابن خالد باشا الاول، اصبح اميراً على بابان بعد مقتل اخيه سليمان باشا في عام 1768، وقضى عهداً مليئاً بالصراعات مع اخويه (أحمد و محمود). لمزيد من المعلومات ينظر: حسين ناظم بيط، م. س،ص121 ومابعدها.

(2) م. ن،ص123.

(3) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص145.

(4) عثمان بن سند الوائلي، م.س،ص170،رسول الكركوكلي، م.س،ص183-184.

(5) تاريخ العراق...، مج6، ص97.

(6) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص154-155، 160، محمد امين العمري،م. س، ج1،ص194.

مساحة واسعة بحيث أمتدت من مناطق بغداد الى الموصل، لابدَّ وانها أصابت بعض المناطق الكردية ايضاً، وذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة. وخاصةً القرى الكردية المحيطة بالموصل. ولكن يبدو ان غالبية المناطق الاخرى من كردستان الجنوبية كانت بمنأىً عنها، لأن (محمد امين العمري) الذي كان من اهل الموصل، يقول بأن الغلال كانت تردنا من مناطق شهرزور واربيل والجبال المجاورة ويقصد بها اقليم بادينان.[1]

لقد حدثت أزمة اخرى بعد مدة قصيرة، حيث انتشر الطاعون في كردستان خلال سنة 1792. ولكن هذه المرة اصاب الشمال، اذ تعرضت دياربكر لهذا الوباء بقسوة، فكان يفتك بأرواح (150) شخصاً يومياً، ولكنه استمر لشهرين وانتهى. الا انه ظهر في اورفة خلال السنة نفسها، فأمات الآلاف من السكان.[2] رغم ان مدينة اورفة قد تخلصت من هذا الوباء قبل انتهاء العام. ولكن نكباتها قد بدأت من جديد في العام التالي. لأنها تعرضت لقحط شديد جداً بحيث كان يموت عشرات الاشخاص يومياً من الجوع، ولكن المجاعة قد انتهت فيما بعد عندما استوردوا الحبوب من الموصل.[3]

ولم تمضي مدة طويلة حتى اصيبت مناطق جنوبي كردستان بالقحط والغلاء ايضاً. وذلك عندما توجهت هجمات الجراد في عام 1795 الى تلك المناطق الكردية و وصلت الى مناطق بغداد والموصل. فخلال شهر شباط أكل الجراد ثلث مزروعات الموصل، وذلك في الوقت الذي اتى على جميع المحاصيل من بغداد حتى كركوك. وبعد الحصاد ظهر الجراد في مناطق الموصل مرة اخرى وكان يأكل الحنطة

(1) منهل الاولياء، ج1، ص194.

(2) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص26-27.

(3) م. ن، ص31، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص171.

في البيادر هذه المرة. وفي السنة نفسها حرم أهالي العديد من القرى المجاورة للموصل من مواردهم الزراعية بسبب وقوع البرد وسقوط الامطار في غير وقتها واندلاع الحريق في الحقول.[1] وفي السنة التالية تكرر هجوم الجراد على نواحي الموصل وأكل حقول الحنطة والشعير والقطن المزروع في تلك النواحي مرتين متتاليتين. فبدأ الغلاء جراء ذلك في تلك المنطقة.[2] وفي السنة التالية (1797) تعرضت حقول حوالي (70) قرية في شرقي الموصل حتى تصل الى نهر الخازر، لسقوط البرد وتضررت كثيراً.[3] وفي عام 1798 أصيبت منطقة عقره بنفس النكبة وأتلفت مزروعات عشرات القرى. كما قتلت امرأة وبعض الحيوانات والطيور، لأن حبات البرد كانت كبيرة جداً.[4] ولاشك ان تلك الاحداث كانت قد أدت الى انخفاض الانتاج الزراعي والاضرار بمصادر معيشة الناس عامةً والفلاحين خاصةً. ولابد ان ذلك قد ساهم في وقوع الضائقة الاقتصادية في تلك المناطق المنكوبة.

كما واجهت المناطق الشمالية من كردستان العديد من الكوارث خلال تلك الفترة. ففي عام 1797 أمسك طاعون كبير بخناق مدينة (موش) وكان يأخذ أرواح العشرات يومياً. وفي العام التالي توجهت موجات الجراد نحو تلك الانحاء وشملت الفاجعة سيواس وتوقات ودياربكر وخربوط ومناطق اخرى، حيث أفنت معظم المزروعات وساد الكساد والغلاء في تلك المناطق. وعندما يروي (ياسين العمري) تلك الاحداث يقول بأنه لم يعهد منذ القديم هجوم الجراد الى تلك الجهات.[5] وقد

---

(1) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص37-38، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص176-177.

(2) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص40.

(3) م. ن، ص41، ياسين العمري، منية الادباء، ص191.

(4) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص46.

(5) م. ن، ص43، 45.

شملت هذه النكبة منطقة الموصل ايضاً، وكذلك انحاء قارس وارضروم كما يبدو، لأن الغلاء قد عمّ تلك الانحاء بحيث كانوا يأكلون حبّ القطن، لذلك اصيبوا بالمرض.[1]

ان خطورة وهول تلك الكوارث كانت تكمن في انها لم تكن تنحصر بمنطقة محدودة في بعض الاحيان، بل كانت تشمل من اقصى الشمال الى اقصى جنوب كردستان. مثل ذلك الطاعون الكبير الذي جاء في نهايات القرن الثامن عشر. فقد ظهر هذا الوباء في عام 1799 في مناطق ارضروم وقارص و وان وسيواس وتوقات ودياربكر. كان يموت في البداية عدة اشخاص في اليوم، ولكن الموتى وصلوا فيما بعد الى حوالي (100) شخص يومياً في مدينة دياربكر. واشتد الوباء كثيراً في السنة التالية، بحيث لم يتمكنوا من دفن جميع الجثث. لذلك كانت الكلاب تأكل بعضها. وفي نفس السنة (1800) انتقلت العدوى الى ماردين وجزيرة والموصل. ولم يكتفي هذا الوباء القاتل بحصاد ارواح آلاف الاشخاص في تلك المدن، بل انتشر بين اهالي القرى ايضاً ولم ينجو الا قليلاً منهم. وبقيت قطعان عديدة من الماشية بدون الرعاة والمالكين.[2]

في عام 1801 كان الطاعون يحيط بقسوة بسكان الموصل. فكان يقتل اكثر من (100) شخص يومياً حسب التعداد الذي كان يقوم به حراس بوابات المدينة. ويقول (ياسين العمري) الذي عاصر تلك الاهوال، بأن معظم الموتى كانوا من النسوة والاطفال.[3]

---

(1) م. ن، ص46.

(2) م. ن، ص50، 52، 54.

(3) م. ن، ص54، ياسين العمري، منية الادباء، ص192.

اضافة الى هذه النكبة العظيمة، ضيّق الغلاء والمجاعة الخناق على الموصل،لأن القوافل التجارية المنطلقة من المناطق الكردية وبغداد لم تكن تتوجه الى هذه المدينة خوفاً من الطاعون.[1] بالرغم من هذه المحاولة الوقائية يمكننا القول بأن الوباء قد زحف بأتجاه الجنوب وشمل مناطق امارة بابان[2] وكذلك بغداد.[3] ومن المؤكد انه تفشى في المناطق الكردية الاخرى ايضاً، ولكننا نفتقر الى المصادر التي تثبت ذلك.

لم تمضي بضعة سنوات على هذه الكارثة العظيمة، حينما ظهر القحط والغلاء في عام 1805 نتيجة عوامل مختلفة كأستبداد الحكام ونهب وتعديات القبائل وكساد المنتوج. وخاصةً في دياربكر والموصل وعقره والعمادية وماردين ونصيبين. وتكررت تلك الحادثة في ماردين خلال عام 1810.[4]

ومن الامور الملفتة للنظر في خضم استعراض تلك النكبات، ان احدى الازمات الصحية التي وقعت خلال تلك الفترة في السليمانية كانت بسبب محاولة وقائية. فعندما وصل (ريج) في عام 1820 الى تلك المدينة في اطار رحلته، حاولت زوجته تقديم احسان لأهل المدينة بتنفيذ حملة تلقيح ضد مرض الجدري للاطفال. رغم ان هذه الحملة كانت كما تبدو اول حملة من نوعها تشهدها المنطقة، الا ان اهالي السليمانية رضوا بتلقيح اطفالهم بسبب ثقتهم بالامكانات الطبية الاوربية. ولكن المحاولة انقلبت عكسياً واصيب جميع الاطفال الذين لقحوا بالمرض المذكور. بأستثناء طفل أو طفلين. ويبدو ان هذا المرض كان فتاكاً، لأن (ريج) يشير الى موت

(1) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص54، وكذلك: منية الادباء، ص193.
(2) كلوديوس ريض، س.ث،ل429، ستيفن لونكريك، م. س، ص250.
(3) رسول الكركوكلي، م. س، ص216، علي الوردي، م. س، ج1، ص188.
(4) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص67-68، 100.

بعض اطفال امراء بابان نتيجةً لذلك.[1] ومن المؤكد ان اعداداً اخرى من الاطفال قد ماتوا ولكنه لايتحدث عنهم لأنهم كانوا ابناء عامة الناس ولم يكونوا ابناء الامراء. ومن الواضح ايضاً ان المذكور يريد رفع مسؤولية هذه الكارثة عن كاهل زوجته، لذلك يكتب: "أن الفشل كان بسبب جهل وخطأ ذلك الرجل الذي أخذ المهمة على عاتقه. وكان اللقاح فاسداً ايضاً والجرعات لم تكن مضبوطة."[2]

وفي سنتي 1821- 1822 ابتليت المنطقة بمرض آخر لم تكن معروفاً من قبل، وهو مرض الكوليرا الذي كان مرضاً وبائياً. جاء هذا المرض من الهند و وصل عن طريق البصرة وبغداد الى كردستان، بعد ان ترك وراءه آلاف الضحايا في الاماكن التي حلّ فيها. فقد وصل الوباء الى كركوك بعد بغداد واستمر هناك (20) يوماً، هلك خلاله حوالي ألف شخص. ثم سرى الوباء مسرعاً نحو السليمانية ومناطق بابان.[3] وفي تلك المناطق وخاصةً السليمانية أحدث الوباء كارثة عظيمة وكان يفني مئات الاشخاص يومياً. وترك اناس كثيرون مناطقهم الاصلية خوفاً من الوباء وتفرقوا في الاقاليم الاخرى. فتناقص عدد السكان بشكل ملحوظ نتيجةً لذلك. كما ترك تأثيراً سلبياً على القدرة العسكرية لأمارة بابان.[4]

(1) طةشتي ريض...، ل275، 304.

(2) م. ن، ص275.

(3) عباس العزاوي، م.س، مج6، ص278-279، علي الوردي، م. س، ج1، ص245.

(4) حسين ناظم بيط، م. س،ص320، بسبب تدني القدرة العسكرية لقوات بابان اضطر الامير البابانى محمود باشا الى ترك السليمانية لعمه عبدالله باشا الذي جاء بمساعدة القوات الايرانية لأحتلال السليمانية. ينظر: م.ن، ص320، وكذلك: نةوشيَروان مستةفا ئةمين، ميرايةتى بابان لة نيَوان بةرداشى رؤم و عةجةمدا، ض2، سليَمانى 1998،ل146-147.

ان هذا الكوليرا كان متفشياً في منطقة شهرزور بحيث لم يقتصر الاصابة به على السكان فقط، بل انتقل العدوى الى الجيش الايراني الذي كان معسكراً في المنطقة خلال تلك الفترة. فلقي العديد من الجنود الايرانيين حتفهم بسبب هذا الوباء الذي قضى على قائدهم ايضاً وهو الشهزادة محمد علي ميرزا ابن فتح علي شاه القاجاري (1797- 1834).[1] وكان هذا المرض يعدّ مرضاً خطيراً في ذلك العهد لأنهم كانوا يجهلون اسبابه وعلاجه، حتى ان اطباء المنطقة كانوا حائرين امامه. لذلك عدّه بعضهم نوعاً آخر من الطاعون.[2] لأن القيء كان من احدى علاماته. ولكن والي بغداد داود باشا طلب المساعدة من المسؤولين الانكليز في المنطقة فزودوه بالمعلومات والارشادات وكذلك بعض الادوية، كما ذكرنا سابقاً. وهذا دليل على ان هذا الداء وكذلك دواؤه كان معروفاً في اوربا.

لم يكتمل مرور (10) سنوات على هذه الكارثة الصحية حتى عاد الوباء الخطير السابق الى المنطقة مرة اخرى. فمنذ تموز 1830 كانت اخبار تفشي الطاعون في تبريز تصل الى مسامع الناس. وبعد شهرين بلغت مخالب هذا الموت المتنقل الى كركوك واصيبت بضعة اشخاص بهذا الوباء في البداية، ولكنه انتشر فيما بعد و وصل السليمانية ومناطق بابان. كما كان يزحف نحو الجنوب حتى بلغ بغداد، حيث أحدث كارثة عظيمة هناك واباد الآف الناس. فمن بين عشرين شخصاً مصاباً نادراً ماكان ينجو واحد منهم.[3] ويؤكد احد المصادر بأن نصف سكان بغداد قد ابيدوا بهذا الطاعون.[4] ومن المرجح ان الوباء كان له تأثير مشابه في

---

(1) ستيفن لونكريك، م. س، ص295-296.

(2) عثمان بن سند الوائلي، م.س،ص338-339، حسين ناظم بيط، م. س،ص320.

(3) ستيفن لونكريك، م. س، ص318-320.

(4) ريجارد كوك، م. س، ص149.

كردستان ايضاً، رغم ان المصادر التأريخية لاتمدنا بمعلومات تذكر في هذا المجال. ولكن (لونكريك) يذكر بأن معظم جنود قوات بغداد التي كانت حينذاك في كركوك ماتوا بهذا الطاعون.[1] ولذلك من البديهي ان يكون معظم سكان كركوك قد قضوا نحبهم بسببه.

وانتشر وباء الطاعون مرةً اخرى في سنة 1845 وشمل بغداد ومناطق اخرى كثيرة. وبعد سنتين عانى أهالي المنطقة من القحط والغلاء كثيراً.[2]

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت الازمات والكوارث تتكرر بين مدة واخرى، ولكن يمكن القول بأنه ابتداءً من اواسط ذلك القرن وبسبب الاصلاحات العثمانية[3] وبناء المؤسسات الحكومية الحديثة، نرى دوراً للدولة في اعمال الوقاية والمعالجة خلال الازمات المذكورة. ولذلك يجب ان ننوه بأن تأثيرات تلك الكوارث والازمات لاتكون على الشاكلة التي كانت عليها سابقاً، كما سيتوضح من سير الاحداث.

في خضم حديثه عن تدهور الحالة الصحية في العراق يشير (لونكريك) في الهامش الى ان وباء الكوليرا قد تفشى في سنوات 1871 و 1889و 1894 و 1899، وانتشر الطاعون خلال سنوات 1877 و 1881 و 1882.[4] ومن المحتمل ان تكون تلك الاوبئة قد شملت المناطق الجنوبية من كردستان ايضاً، لأن المذكور عندما

(1) اربعة قرون...، ص322.

(2) عباس العزاوي، م.س، مج7، ص77، 82.

(3) حول تلك الاصلاحات ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، (الترجمة العربية)، اعداد وتحرير:ابراهيم زكي وأحمد الشنتناوى و د. عبدالحميد يونس، القاهرة(د.ت)، مج10، مادة: تنظيمات (كرامرز).

(4) اربعة قرون...، ص380.

يتحدث عن العراق يقصد العراق المعاصر بمناطقه الكردية ايضاً. ويكرر (العزاوي) معظم تلك الحوادث، رغم ملاحظة بعض الاختلاف في السنوات وذلك بسبب تغيير السنوات الهجرية الى الميلادية.[1] ولكن المؤرخ الاخير يذكر بعض حوادث الغلاء والمجاعة ايضاً، كما نوردها فيما يأتي:

في عام 1871 اصيب الفقراء والاغنياء معاً بأزمة الغلاء والأمراض وكانوا في مشقة عظيمة.[2] وقد استمر هذا القحط والغلاء الى السنة التالية بسبب عدم نزول الغيث. وعندما حاول التجار استغلال تلك الازمة واحتكار الحبوب والغلال، منعت الحكومة تصدير الغلال الى الخارج. ولكن يبدو ان هذا الغلاء قد استمر على الرغم من ذلك الى السنة التالية ايضاً (1873) في العديد من المناطق بسبب مجيء الجراد.[3]

وتشير الوثائق العثمانية ايضاً الى ان الغلاء قد وقع نتيجة القحط خلال سنة 1879 في ولايتي الموصل وبغداد، اللتين كانتا تضمان مناطق كردستان الجنوبية. ولذلك قررت السلطات العليا في الدولة رفع الضرائب عن كميات القمح والشعير التي تستورد من الهند والبلدان الاخرى الى الولايتين المذكورتين وذلك عبر ايران والبصرة.[4] ولكن يبدو ان هذا الاجراء لم يؤدي الى دفع هذا البلاء، لأن المجاعة في هاتين الولايتين ضربت اطنابها بشكل اقوى في السنة التالية (أي: 1880). بحيث كانت الجثث ملقاة في الطرقات وبيعت البنات والبنين من اجل الخبز. ان التأثيرات السلبية لهذه المجاعة واضحة جداً في المناطق الكردية التابعة لهاتين الولايتين. وخاصةً

(1) تاريخ العراق...، مج8، ص34، 51، 93، 122.

(2) م. ن، مج7، ص255.

(3) م. ن، مج8، ص14، 18.

(4) BOA.İrâde Dâhiliye,nr.64292, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği,A.G.E,s.502-503

وان هذه الكارثة كانت تعرف في بغداد بغلاء "برسيمه" وفق اقوال (العزاوي). وذلك لأن عدداً ملحوظاً من الكرد كانوا قد تركوا مناطقهم في تلك الظروف العصيبة وتوجهوا الى تلك المدينة. وهناك كانوا ينادون جوعاً بأستمرار ويقولون "برسيمه" أي جوعان.[1]

كما توضح الوثائق العثمانية بأن القحط والغلاء قد أصاب ولاية الموصل والمناطق المجاورة مرة اخرى في عام 1892، وذلك بسبب عدم تساقط الامطار ومجيء الجراد. لذلك تقرر منع خروج الحبوب من هذه الولاية.[2] وتعرضت الولاية المذكورة الى تلك الضائقة في عام 1898 ايضاً، مما دفع بالمسؤولين في الدولة الى معالجة هذه الأزمة،[3] كما تحدثنا عنه في الموضوع السابق.

كانت الأزمات الاقتصادية سرعان ماتتكرر في المنطقة خلال تلك الفترة وتترك تأثيرات واضحة على معيشة السكان. اذ لم تمر الا بضعة سنوات على الازمة الاخيرة، حتى جاءت موجات الجراد الى المنطقة لستين متتاليتين وأضرّت بجهود الفلاحين. في عام 1904 شملت الهجمة مناطق دهوك وزاخو والشيخان وبرده رش. فتركت تأثيرات سيئة على المحاصيل الزراعية، رغم ان الفلاحين بذلوا جهداً كبيراً لمواجهة الهجمة وابادة الجراد.[4] أما هجمة عام 1905 فقد أصابت في البداية منطقة آلتون كوبري والقرى التابعة لأربيل وأضرت كثيراً بالحقول الزراعية. الامر الذي أدى بالسلطات وسكان المناطق الاخرى الى اتخاذ الاستعدادات، ولذلك

(1) تاريخ العراق...، مج8، ص49.

(2) BOA,Meclis-i Vükalâ Mazbatsi,nr.70/73, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği,A.G.E,s.540.

(3) BOA.İrâde Dâhiliye,nr.20/Ca.1316, A.E,s.576.

(4) موصل، نومرو(741)، 14محرم 1322هـ/ 1904م.

حينما ظهر الجراد في منطقة الموصل لم يكن الضرر كبيراً هناك.[1] كما وصلت الهجمة الى منطقة عقره بعد بضعة ايام وشملت معظم الاراضي، ولكن لم تكن لها خسائر ملحوظة ايضاً.[2]

بعد استعراض معظم الازمات الاقتصادية والصحية التي أصابت كردستان خلال العهد العثماني، نلاحظ بأن الخط البياني لتلك الازمات كان في تصاعد. وتلك الازمات التي حدثت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت أكثر بكثير قياساً الى أزمات القرنين السابقين. ورغم ان ذلك قد يعود الى المصادر التأريخية التي تمدنا بمعلومات قليلة حول قرون الحكم العثماني الاولى، قياساً الى مصادر القرنين الأخيرين التي تتميز بتعددها واحتوائها على معلومات أكثر حول تلك الحوادث. ولكننا يجب ان نعلم ايضاً بأن الدولة العثمانية نفسها كانت في القرون الاولى تتمتع بأمكانيات أفضل في جميع الجوانب، ومنها الجانب الاقتصادي. في الوقت الذي كانت في تدهور تدريجي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ومن الواضح ان هاتين الظاهرتين (أي: التدهور وكثرة الازمات) متلازمتين أو تؤثر احداها على الاخرى.

آثار ونتائج الازمات الاقتصادية والصحية:

ان كل تلك الازمات الاقتصادية والصحية التي ذكرناها، قد تركت آثاراً ونتائج خطيرة في معظم المجالات وأدت الى كوارث كبيرة في كردستان طوال العهد العثماني. ولكن يمكننا القول بأن تأثير تلك الازمات على الجانب الاجتماعي كان

(1) موصل، نومرو(785)، 14 ربيع الاول 1323هـ/ 1905م.

(2) موصل، نومرو(786)، 28 ربيع الاول 1323هـ/ 1905م.

اكبر و اوضح قياساً الى الجوانب الاخرى. فقد رأينا من خلال استعراض أحداث الازمات والكوارث بأن معظمها قد تركت ورائها مئات وبعضها آلاف الضحايا. منها على سبيل المثال وباء الكوليرا في عام 1821 الذي أودى بحياة مايقارب من ألف شخص في كركوك خلال (20) يوماً.[1] وكانت هذه المدينة نفسها قد فقدت عدداً مماثلاً من سكانها بسبب طاعون عام 1772. وأباد هذا الطاعون عدداً كبيراً من سكان مدينة اربيل وقراها أيضاً، بحيث "أفنى اكثرهم وسلم أقلهم"، حسب تعبير (ياسين العمري).[2]

ان نسبة الضحايا كانت تزداد مع ازدياد حجم المدينة وعمرانها، وذلك بسبب أزدحام السكان وكثرة اختلاطهم في المدن الكبيرة. ففي مدينة مثل (موش) التي كانت أكبر من اربيل وكركوك، كان طاعون عام 1797 يقتل يومياً (300) شخص. اما دياربكر التي كانت تعدّ كبرى مدن كردستان، فقد خسرت (20) ألف من سكانها تقريباً بسبب طاعون سنتي 1799–1800، وذلك وفق معلومات أحد المصادر.[3] وعندما كانت الازمتان الاقتصادرية والصحية تأتيات معاً وتبقيان لفترة اطول، كانت الخسائر تكون اكبر ايضاً. منها كارثة طاعون وغلاء عامي 1688–1689 التي أدت الى فناء حوالي (100) ألف من سكان الولايات التي تشكل العراق الحالي.[4]

---

(1) عباس العزاوي، م.س، مج6، ص278.

(2) زبدة الآثار، ص137.

(3) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص43، 52.

(4) عباس العزاوي، م.س، مج5، ص129، ريجارد كوك، م. س، ص60.

ان تلك الارقام التي اوردناها كأمثلة، حتى وان لم تكن بمنأىً عـن المبالغـة،[1] فأنها تعطينا الدليل على فناء آلاف الاشخاص في كردستان نتيجة تلـك الكـوارث. وقد تركت تلك الخسائر البشرية الهائلة آثاراً سلبية على زيادة نسبة السكان في تلـك البلاد، وذلك اضافةً الى تأثيراتها على الجوانب الاخـرى، الـتي سـتتحدث عنهـا في مكانها.

أثناء بعض تلك الازمـات والكـوارث كانـت ثمـة عوائـل تتعـرض للابـادة بكامل افرادها. ولكن بعض العوائل الاخرى لم تكـن تبـقَ منهـا الا فـرد واحـد أو افراد قليلون، الامر الذي كان يخلـق مـشكلة اجتماعيـة خطـيرة. وخاصـةً اذا كـان الفرد المتبقي طفلاً أو انثـى ناضـجة. لأنهـم يتعرضـون الى غـدر الايـام ومـشاكلها بسبب عدم وجود من يعيلهم ويشرف عليهم. ففي طاعون عام 1830 يـروي احـد شهود العيان بأن مئات الاطفال الصغار قد انتـشروا في شـوارع وأزقـة بغـداد بعـد فقدان آبائهم وامهاتهم.[2] نعرف بأن هذا الحادث كان في بغداد، ولكـن لاشـك ان مدن كردستان ايضاً قد شهدت أحداثاً مماثلة، ولكننا لانملك المصادر التأريخيـة الـتي تلقي الضوء على أوضاع المدن الكردية خلال تلك الازمات.

---

(1) لقد اوردنا هنا تلك الامثلة التي لاتبدو عليها المبالغة، فلدينا العديد من الامثلة الاخرى التي تظهر عليها المبالغة بوضوح. اذ يقول (دومنيكو لانزا) بأن طـاعون سـنة 1772 قـد أدى الى ابادة أكثر من (100) ألف انسان في مدينة الموصل، ثم يقول بنفـسه ان المدينـة عـامرة رغـم ذلك. ينظر: الموصل في القرن الثـامن عـشر...، ص13. وفيمـا يتعلـق بطـاعون سـنة 1737 يقول (ياسين العمري) بأنه كان يقتل في الموصل (1000) شخص يومياً. زبدة الآثار، ص91.

(2) ان هذا الشاهد هو مبشر بريطاني اسمه (كروفز) وكان يقيم في بغـداد خـلال تلـك الفـترة. ينظر: علي الوردي، م. س، ج1، ص272.

وفي بعض الحالات الاخرى كانت الأم باقية على قيد الحياة ولكن في خضم الضائقة الاقتصادية كان الاطفال او الفتاة الشابة وفي بعض الحالات الزوجة أو الأم تباع من اجل النجاة من الجوع. الامر الذي كان يعني تفكك العائلة أو تشتتها.فقد باع فقراء القرى أولادهم اثناء مجاعة عامي 1756 و 1757.[1] ويؤكد أحد شهود العيان هذه المعلومة ويضيف بأن بعض الازواج اضطروا الى بيع زوجاتهم تحت وطأة الجوع.[2] وفي بعض الاحيان كانت المرأة تبيع نفسها من اجل الحصول على القوت.[3]

وكان التشرد وتجمع أعداد كبيرة من الناس الغرباء في المدن يمثل احدى النتائج السلبية لتلك الازمات من الناحية الاجتماعية. فقد ذكرنا سابقاً بأن اعداداً كبيرة من سكان المناطق الشمالية من كردستان قد توجهوا الى الموصل أثناء غلاء ومجاعة عامي 1756– 1757. كما لجأ أهالي المناطق الكردية مرات عدة الى بغداد هرباً من الجوع. ومن الواضح ان اولئك اللاجئون المتشردون كانوا يواجهون ظروفاً قاسية في تلك الاماكن التي لجأوا اليها وخاصةً بسبب فقدانهم المأوى و وسائل العيش الاخرى. وفي بعض الاحيان كانوا يطردون من تلك الاماكن أو المدن فيتبعثروا في السهول والبراري، كما رأينا في الصفحات السابقة. فبصدد أوضاع اولئك الذين لجأوا الى الموصل في عام 1757، يقول أحد المعاصرين

(1) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص112.

(2) دومنيكو لانزا، م. س، ص43.

(3) رسول الكركوكلي، م. س، ص30.

للاحداث: "فكانت الحالة التي انحطوا اليها من بؤس وشقاء ...تحرك في الانسان الشفقة والعطف".[1]

وتتمثل احدى الاثار الاجتماعية السلبية الاخرى لتلك الازمات في انتشار ظاهرة النهب والسرقة. لاشك ان العوز والجوع كانا يشكلان في جميع العصور عاملاً مهماً لظاهرة السرقة. لذلك تشير المصادر الى ان الظاهرة المذكورة قد وجدت خلال معظم الازمات التي تحدثنا عنها.[2]

ومن الجدير بالملاحظة ان تلك الاثار والنتئج كانت تصيب الفقراء والمعوزين بنسب اكبر قياساً الى الاغنياء والمرفهين. أي ان تأثير المجاعة وكذلك الامراض والاوبئة كان أكثر وضوحاً على الفقراء. فحينما تفشى وباء الطاعون في اورفة خلال عام 1792، انتشر في البداية بين الفقراء ثم أصاب الاغنياء.[3] وفي طاعون عام 1801 كانت نسبة الوفاة بين الفقراء اكثر في الموصل.[4] ويعود ذلك الى عدة عوامل، في مقدمتها يجب الاشارة الى قدرة الاغنياء على الخروج من المدينة والابتعاد عن الوباء، مما كان له تأثير في هذا المجال.[5]كما ان المقاومة الجسدية لدى الاغنياء كانت أحسن، بسبب عدم معاناتهم من سوء التغذية. أما الفقراء فكانوا لايستطيعون المؤن والاغذية أثناء الضائقات الاقتصادية بسبب شحتها وأرتفاع

---

(1) دومنيكو لانزا، م.س،ص43.

(2) م. ن، ص45، علي الوردي، م. س، ج1، ص270.

(3) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص27.

(4) م. ن، ص54، ياسين العمري، منية الادباء، ص192.

(5) ينظر على سبيل المثال: علي الوردي، م. س، ج1، ص159.

اسعارها. وكذلك كـان الاغنيـاء يعمـدون الى خـزن المـؤن بنـسب أكـبر قياسـاً الى الفقراء. بل ان معظم الفقراء كانوا في أيام اليسر يحصلون على قوتهم يوماً بيوم ولا يبقى لديهم الفائض لخزنه. ولذلك كانت الضائقات الاقتصادية تـترك ضـرراً أكـبر على الفقراء كما رأينا من حوادث الازمات.

وكانت الازمات والكوارث لها نتائج خطيرة على الجانب الاقتـصادي أيـضاً، وفيما يتعلق بذلك يجب الاشارة قبل كل شيء الى ان فناء ذلـك العـدد الكـبير مـن السكان كان يعني خسارة نسبة كبيرة من الامكانات البشرية وضـياع آلاف الأيـدي العاملة، التي كانت تشكل قوى الانتاج الرئيسة. ومن البديهي ان يكون لذلك تـاثير سلبي على النشاطات الاقتـصادية، وخاصـةً اذا كانـت تلـك الايـدي العاملـة تمتـع بالمهارة. اذ يشير (لونكريـك) الى ان كـثيراً مـن المهـن انقـرض مـع مـن مـات مـن القليلين البارعين فيها وذلك بسبب طاعون عام 1830.[1]

وكان لهذا الجانب تاثير واضح على الزراعة والرعي ايضاً وخاصةً ان العديـد من القرى كانت تبيد عن بكرة ابيها وتصبح خراباً اثناء تلك الكوارث، بسبب فنـاء كامل سكانها أو هجـرتهم وتـشتتهم الى امـاكن اخـرى. فبموجـب أقـوال (ياسـين العمري): 'خربت اكثر القرى' خلال غلاء عام 1786.[2] ونتيجة الموت الجماعي بين سكان القرى بسبب الامراض والاوبئة، كان العديد من قطعـان الماشـية تبقـى بـلا صاحب و راع.[3] وفي بعض الاحيـان كانـت الكارثـة تـصيب الحيوانـات وتقـضي

(1) اربعة قرون...، ص320.

(2) زبدة الآثار، ص154، وانظر ايضاً: محمد امين العمري، م. س، ج1،ص194.

(3) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص54.

عليهم بنسب كبيرة. فقد رأينا بأن اعداداً كبيرة من الحيوانات قد ابيدت أثناء موجة البرد والتجمد في عام 1757. ومن المؤكد ان ذلك كان يشكل خسارة اقتصادية كبيرة تكبدتها أهالي المنطقة. جدير بالذكر أن الكلاب في دياربكر قد أفنيت أيضاً أثناء طاعون عام 1800، وذلك لأنها أصيبت بداء الكلب بسبب أكل لحوم الموتى. فكانت تهاجم الناس وتقتل بعضهم، لذلك قررت السلطات ابادة الكلاب في تلك الارجاء.(1)

وكان النشاط التجاري يتعرض لضربات مؤثرة في بعض الاحيان أيضاً. فكان من البديهي ان يتم غلق الدكاكين والاسواق اثناء معظم الازمات وخاصة عند تفشي الاوبئة والامراض الفتاكة.(2) وفي بعض الاحيان كانت القوافل التجارية تتوقف في اطار انقطاع المواصلات بين المناطق المنكوبة وغير المنكوبة خوفاً من الوباء. مثلما حدث خلال طاعون عام 1801، كما مرّ بنا سابقاً. ولاشك ان فقدان الاموال والثروات كان له تاثير سلبي على التجارة ايضاً، اذ كان ذلك يحدث اثناء بعض الازمات. ففي حملة عام 1743 عمد نادرشاه في اعقاب احتلال كركوك الى سلب: "الذهب والفضة وأموالاً كثيرة وكل ماوجده فيها". وقام بعمل مماثل في اربيل.(3)

وكانت تلك الازمات والكوارث بمجملها تؤدي الى تخلف المنطقة من الناحية الحضارية ايضاً، لأن الامراض والاوبئة الفتاكة كانت لها تأثيرات كبرى على المدن بعكس القرى والارياف. ومن الواضح ان فناء أعداداً كبيرة من سكان المدن كان

---

(1) م. ن، ص52.

(2) عباس العزاوي، م.س، مج8، ص93.

(3) سهيل قاشا، م. س، ص153.

يشكل عائقاً امام استمرار الحضارة وتطورها.[1] وكانت الكوارث تؤدي في بعض الاحيان الى القضاء على العلماء والشخصيات المثقفة.[2] ومن المعلوم ان هؤلاء كانوا يعدّون عنصراً مهماً في البناء الحضاري.

ويجب ان لاننسى ايضاً بأن وفاة عدد كبير من السكان و وقوع جثثهم في الطرقات وتعفنها، كان يؤدي الى تلوث البيئة وتعفن الهواء. وقد وقعت احداث من هذا القبيل في العديد من الحالات، كما رأينا من خلال استعراض حوادث الازمات والكوارث.

واضافةً الى كل ذلك كانت الازمات المعنية في بعض المرات تترك تأثيراً خطيراً على الجيش والحملات العسكرية. فعندما تحدثنا عن اسباب وقوع الازمات، تطرقنا الى اصابة قوات بغداد بوباء أثناء اقامتهم في جهات السليمانية في عام 1821. فمات العديد من الجنود وتمرض كثيرون. وقد أثر ذلك سلباً على قدرتهم القتالية بحيث "صار الاحياء منهم شبه أموات لضعفهم وهزالهم وعجزهم التام عن الهجوم أو الدفاع" وأخيراً اندحروا أمام عدوهم "بسبب مايعانون من امراض".[3] كما ان وباء الكوليرا الذي تفشى في المنطقة خلال تلك الفترة قد سرى الى الجيش الايراني، وأدى الى اخفاق حملة الشهزاده (محمد علي ميرزا) وفشل مشاريعه العسكرية في المنطقة ثم فقدانه لحياته.[4]

---

(1) ينظر: علي الوردي، م. س، ج1، ص20-21.

(2) ينظر: محمد امين العمري، م. س، ج1،ص186.

(3) رسول الكركوكلي، م. س، ص297، وحول تاثير ذلك المرض يقول مؤرخ آخر:"مات أكثرهم، وبقي بالامراض عليلاً ايسرهم". عثمان بن سند الوائلي، م.س،ص336. لمزيد من المعلومات حول هذا الحادث وتأثيره يراجع المصدرين المذكورين.

(4) حول تفاصيل تلك الحوادث ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص298-300، ستيفن لونكريك، م. س، ص294-296.

الأستنتاجات

توصل هذا الدراسة بموجب مواضيعه الرئيسة الى الاستنتاجات التالية:

أولاً: عوامل ظهور الازمات الاقتصادية والكوارث الصحية:-

أ- فيما يتعلق بالضائقات الاقتصادية التي تمثلت في حوادث الغلاء والمجاعة ، كانت العوامل المباشرة تكمن في القحط وعدم سقوط الامطار أو شحتها. وكذلك سقوط البرد وموجات البرد القارس والصقيع والتجمد. مما كانت تؤثر سلباً على المحاصيل الزراعية التي كانت تشكل المصدر الرئيس لمعيشة السكان. كما كان الجراد يؤدي الى تلف المزروعات في كثير من الاحيان. وذلك الى جانب الحروب واعمال النهب والتدمير التي كانت تؤدي أحياناً الى وقوع الغلاء والمجاعة ايضاً.

ب- أما الكوارث الصحية التي كانت عبارة عن تفشي الامراض والاوبئة القاتلة (وخاصةً الطاعون والكوليرا)، فكانت تقع نتيجة عوامل مباشرة عدة: وفي مقدمتها العدوى ومجيء الوباء من البقاع المجاورة. وبسبب المناخ غير الصحي في بعض الحالات المحدودة. كما كانت المجاعة تؤدي في كثير من الاحيان الى ظهور الامراض وذلك بفعل سوء التغذية وانتشار رائحة الجثث المتعفنة.

جـ- وكان هناك بعض العوامل غير المباشرة ايضاً والتي كانت تساعد على ظهور أو توسيع نطاق الازمات والكوارث: مثل تدني الوعي الصحي والفقر وتدهور الاوضاع المعاشية. وكذلك تخلف الدولة العثمانية وتقصيرها في تأمين الخدمات العامة، وخاصةً في المجال الصحي.

ثانياً: ان محاولات الوقاية والمعالجات كانت تتغير وفق طبيعة الازمة، وذلك بالشكل الآتي:-

أ- ازاء الضائقات الاقتصادية:

1- للوقاية من تلك الضائقات كان الكرد يظهرون فعالية واضحة في مجال الانتاج، وذلك لتأمين المنتوج الفائض وخزن المؤن. وفي هذا الاطار كانوا يمارسون نظام الاقتصاد المختلط (أي: الزراعة والرعي معاً) كما كانوا يزرعون المحاصيل المعاشية بصورة رئيسة، وخاصةً القمح والشعير وذلك لأمكانية خزنهما.

2- أما عند وقوع تلك الضائقات فكانوا يحاولون استيراد الغلال من البقاع المجاورة، وفي بعض الاحيان كانوا يرحلون مضطرين الى الاقاليم الاخرى للنجاة من المجاعة.

3- ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر نرى للحكومة بعض الدور للتغلب على الضائقات الاقتصادية: مثل منع تصدير الحبوب من المنطقة المنكوبة، او تنفيذ حملات الابادة ضد الجراد.

ب- أثناء الكوارث الصحية:

1- لم تكن الدولة في القرون الاولى من الحكم العثماني تبذل جهداً من اجل منع الكوارث الصحية أو ايجاد الحلول لها. وفي ظل غياب الخدمات الصحية كان اليأس يتملك السكان أثناء الكوارث الصحية. فيسلمون انفسهم للقدر. ولكن بعض الاغنياء والمتنفذين كانوا يبتعدون عن المدن ويذهبون الى العراء تجنباً للعدوى.

2- طبق التلقيح كطريقة وقائية في كردستان في عام 1820 ، ولكنه لم يأتي بالنتائج المرجوة.

3- بدأت السلطات الحكومية منذ اواسط القرن التاسع عشر تبدي اهتماماً بمواجهة الازمات الصحية. اذ تم اتباع نظام الحجر الصحي (كورنتينا) اثناء تفشي الاوبئة. كما تقرر تعيين الاطباء في البلديات لعلاج الامراض ومراقبة الحالة الصحية. كما كانت الدولة تحاول تطويق المناطق المصابة وتنشر التعليمات عند تفشي الامراض والاوبئة. وأخيراً تم تنفيذ برامج التلقيح.

ثالثاً: لقد وقع العديد من الكوارث الاقتصادية والصحية طوال العهد العثماني.

فجلبت ويلات كثيرة الى كردستان والمنطقة عموماً. وخاصةً في القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر. حيث وقع العديد من حوادث الغلاء والمجاعة المهلكة، اضافةً الى الامراض والاوبئة الفتاكة التي شملت رقعة جغرافية واسعة. كمجاعة سنتي 1756- 1757 التي شملت منطقة واسعة تمتد من دياربكر الى المناطق الجنوبية من كردستان، ثم جلبت معها الامراض والاوبئة. وكذلك طاعون سنتي 1771- 1773 الذي ضيّق الخناق على السكان من أقصى الشمال الى اقصى جنوب كردستان. وفي السنوات الاخرى كانت تلك الكوارث تتكرر كل (10) سنوات تقريباً.

رابعاً: ان تلك الازمات والكوارث قد تركت آثاراً خطيرة في مختلف الجوانب وذلك بالشكل الآتي:-

أ- في المجال الاجتماعي:

1- أدى معظم تلك الازمات الى ابادة المئات وبعضها الآلاف من الاشخاص، وكان عدد الضحايا يزداد مع ازدياد ازدحام المدن والمناطق السكانية. وكان ذلك يؤثر على زيادة نسبة السكان.

2- كانت تلك الكوارث تؤدي في بعض الاحيان الى تفكك الاسر أو انحلالها، وذلك عندما كان الاطفال يبقون بدون عائل بعد فقدان ابويهم. او عندما كان الأب يضطر تحت وطأة الجوع الى بيع أطفاله أو زوجته.

3- كانت الهجرة والرحيل من أجل القوت تؤدي الى التشرد وتجمع حشد كبير من الناس الغرباء في المدن.

4- ان بعض الممارسات الاجتماعية السلبية مثل النهب والسرقة كان يظهر في ظروف الغلاء والمجاعة.

5- كان الفقراء يتعرضون لتأثير تلك الكوارث بنسب أكبر، وخاصةً خلال الازمات الاقتصادية.

ب- من الناحية الاقتصادية:

1- ان ضياع آلاف الايدي العاملة نتيجة تلك الكوارث كان له تأثير سيء على النشاط الاقتصادي. بل ان بعض الحرف قد انقرض نتيجة موت الحرفيين الوحيدين المشتغلين بها.

2- ان موت اعداد كبيرة من القرويين الى الحد الذي كان يصل في بعض الاحيان الى خلو بعض القرى من قاطنيها، كان يؤدي الى اضرار بليغة بالزراعة والثروة الحيوانية.

3- كانت التجارة تتعرض لضربات مؤثرة في العديد من الاحيان،وذلك عندما كانت الاسواق والدكاكين تتعرض للاغلاق بسبب تفشي الاوبئة والامراض، او نتيجة انقطاع المبادلات التجارية مع المناطق الموبوئة.

ج- كانت تلك الكوارث تؤثر سلباً من الناحية الحضارية ايضاً.

لأنها كانت تشمل المدن على الاغلب. ومن المعروف ان المدينة كانت ولازالت تشكل مركزاً حضارياً مهماً.

د- تلوث البيئة نتيجة انتشار رائحة الجثث المتعفنة في الهواء، وذلك عندما كان الناس يموتون بأعداد كبيرة بحيث لايستطيع الاحياء دفن جميعهم.

هـ - وفي بعض الحالات المحدودة كانت الكوارث تترك تأثيراً سلبياً على الجيش والحملات العسكرية.

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق:

أ- غير المنشورة:-

- Başvekalet Arşiv Dairesi(BAD),Tapu Defteri,Ozel sayi 534,no.195 Musul.

ب- المنشـــورة:-

- Osmanli Arşivi Daire Başkanliği: Musul – Kerkuk ile ilgili Arşiv Belgeleri (1525- 1919), Ankara – 1993.
- د.خليل علي مراد(ترجمة وتعليق)، مختارات من كتاب الموصل وكركوك في الوثائق العثمانية، السليمانية 2005.
- د.عماد عبدالسلام رؤوف، دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم، ط1،اربيل 2008.

ثانياً: المطبوعات الحكومية:

- سالنامه ولايت موصل 1308هـ، مكتوبي ولايت سعاد تلوحسن توفيق افندي معرفتيله ترتيب اولنمشدر.
- سالنامه ولايت موصل 1312هـ، موصل ولايتى مطبعه سنده باصلمشدر.
- موصل ولايتي سالنامة رسميسيدر 1325 هـ، عزتلو صفوت بك معرفتيلة ترتيب و دردنجي دفعة اول رق ، موصل مطبعه سنده طبع اولنمشدر.
- موصل ولايتي سالنامة رسميسيدر(1330هـ)، عزتلو صفوت بك معرفتيلة ترتيب و دردنجي دفعة اوله رق موصل مطبعة سنده اولنمشدر.

ثالثاً: الصحف:

- موصل ، ولايتك هفتده بر دفعه نشر اولنور جريده رسميه سيدر.
- نومرو(707)، 20 ربيع الآخر1321هـ/ 1903م.
- نومرو(741)، 14محرم1322هـ/ 1904م.

- نومرو(742)، 2محرم1322هـ/ 1904م.
- نومرو(744)، 19 صفر 1322هـ/ 1904م.
- نومرو(756) ، 19جمادي الاول1322هـ/ 1904م.
- نومرو(769)،29 شوال1322هـ/ 1904م.
- نومرو(785) 14 ربيع الاول 1323هـ/ 1905م.
- نومرو(786)، 28 ربيع الاول 1323هـ/ 1905م.

رابعاً: كتب الرحلات:

أ- باللغة الكردية:-

- ثةوليا ضةلةبي، كورد لةميَذووي دراوسيَكانيدا(يان: سياحةتنامةي ثةوليا ضةلةبي) و: ناكام، بةغدا 1988.
- كلوديوس جيمس ريض، طةشتي ريض بؤ كوردستان 1820، و: محةمةد حةمة باقي، ض1، تةوريز 1992.
- هيَنري بيَندةر، سةفةرنامةي هيَنري بيَندةر/ كوردستان ،ميزؤثؤتاميا،ئيَران،و:ئةبوبةكر خؤشناو،سليَماني 2006.

ب- باللغة العربية:-

- ابي طالب خان، رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربه سنة 1213هـ/ 1799م، ت: د. مصطفى جواد، مطبعة الايمان، بغداد(د.ت).
- أوليفييه، رحلة أوليفييه الى العراق 1794-1796، ت: د. يوسف حبى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1988.
- جيمس برانت، رحلة المستر جيمس برانت الى المنطقة الكردية عام 1838 ،ت: حسين احمد الجاف ،مطبعة الجاحظ ، بغداد 1989.

- جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد في 1834،ت:جعفر الخياط،ط1،مطبعة المعارف،بغداد1964.
- دومنيكو لانزا، الموصل في القرن الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لانزا، ت: القس روفائيل بيداود،ط2، الموصل 1953.
- كارستن نيبور، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ت:د.محمود امين حسين،مراجعة وتعليق: سالم الآلوسي، بغداد1965.
- محمد بن احمد الحسيني المنشيء البغدادي، رحلة المنشيء البغدادي، ت: عباس العزاوي، بغداد 1948.

خامساً: الكتب:

أ- باللغة الكردية:-

- مةلا مةحمودي بايةزيدي، داب و نةريتي كوردةكان، و: د. شوكرية رةسول، بةغدا 1982.
- مارتين ظان برونسن، ئاغا و شيَخ و دةولةت، و: كوردؤ(سةروةت محمدامين)، بنكةى ضاثةمةنى رؤذ، سويد 1996.
- نةوشيَروان مستةفا ئةمين، ميرايةتى بابان لة نيَوان بةرداشى رؤم و عةجةمدا، ض2، سليَمانى 1998.

ب- باللغة العربية:-

- ب.م.دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط ،ت: د. معروف خزندار ،بيروت 1981.
- د.بدرخان السندي، المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي،ط1، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل2002.
- تومابوا،مع الاكراد، ت: آواز زنطنة، مطبعة دار الجاحظ، بغداد 1975.

- جعفر الخياط، صور من تـأريخ العـراق في العـصور المظلمـة، ج1، ط1، دار الكتب، بيروت 1971.
- جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد، ط2،بغداد 2001.
- حسين ناظم بيط، تاريخ الامارة البابانية، ت: شكور مـصطفى و محمـد الملا عبدالكريم المدرس، ط1، هةوليَر 2001.
- د.خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية / من النـشوء الى الانحـدار، ت: د. محمد.م.الارناؤوط، دار المدار الاسلامي، ط1،بيروت 2002.
- رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت(د.ت).
- ريجارد كوك، بغداد.. مدينة السلام، ت: فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد، ج2، ط1، مطبعة شفيق، بغداد 1967.
- ستيفن همسلى لونكريك،أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط6، بغداد 1985.
- سعاد هادي العمري (ترجمة وجمع)، بغداد كما وصفها السواح الاجانـب في القرون الخمسة الاخيرة، مطبعة دار المعرفة، بغداد 1954.
- د.سعدي عثمان حسين،كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عـشر والثـامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية والادارية والاقتـصادية مـع ايـالتي بغـداد والموصل، اربيل 2006.
- ــــــــــــــ، كوردستان والامبراطورية العثمانية/ دراسـة في تطـور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردسـتان، مؤسـسة موكريـاني للنـشر- اربيـل، مطبعة خاني، دهوك 2008.
- سليمان صائغ الموصلي، تأريخ الموصل، ج1، المطبعة السلفية، مصر 1923.

- صديق الدملوجي، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية، ط2، مراجعة وتقديم: عبدالفتاح علي يحيى، اربيل 1999.
- عباس العزاوي،تأريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، مج5، بغداد 1952، مج6،بغداد 1954، مج7، بغداد 1955،
- عثمان بن سند الوائلي البصري،مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود/ تأريخ العراق من سنة 1188 الى سنة 1242هـ(1774-1826م)، تحقيق: د. عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسى، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل 1991.
- د.علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الارشاد، ج1، بغداد 1969، ج2، بغداد1971.
- كاميران عبدالصمد احمد الدوسكي، بهدينان في اواخر العهد العثماني (1876-1914)/ دراسة تاريخية، اربيل 2007.
- ــــــــــــــــ، كوردستان العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر،ط1،دار سثيريز،دهوك 2002.
- محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، ج1، تحقيق: سعيد الديوه جي،مطبعة الجمهورية، الموصل 1967.
- نظمي زاده مرتضى افندي، كلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف 1971.
- هادي رشيد الجاوشلي، الحياة الاجتماعية في كوردستان، مطبعة الجاحظ، بغداد 1970.

- هاملتون جيب وهارولد بوين،المجتمع الاسلامي والغرب، ت: عبدالمجيد حسيب القيسي، ج1،ق2، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق1997.
- ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى، زبدة الاثار الجلية فى الحوادث الارضية، انتخب زبدته: د. داود الجلبي، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الاداب، النجف 1974.
- ــــــــــــــــــ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات البصري، مطبعة دار البصري، بغداد 1968.
- ــــــــــــــــــ،غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مطبعة أم الربيعين، الموصل 1940.
- ــــــــــــــــــ،منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق ونشر: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل 1955.

جـ- باللغة الفارسية:-

- ميزرا مهدى خان استرا بادى، دره نادره، تصحيح: ميرزا عبدالوهاب، شيراز 1271هـ.

سادساً: رسائل جامعية غير منشورة:

- خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1638-1750/ 1048-1164هـ رسالة ماجستير، كلية الاداب جامعة بغداد/ 1975.
- علي شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر/ دراسة في أوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب جامعة الموصل/ 1992.

سابعاً: القاموس والبيبليوغرافيا:

- Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri Ve Termleri Sozlugu,cilt 1,Istanbul 1993.
- حسن دومان، البيبليوكرافيا والفهرس الموحد للسالنامات والنوسالات العثمانية،انقرة 1999.

ثامناً: البحوث والمقالات:

- ابراهيم خليل احمد، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق1258-1921، مجلة آداب الرافدين، كلية الاداب/ جامعة الموصل ،ع(16)،1986.
- جعفر الخياط، مشاهدات الدكتور ايفز بين بغداد وكركوك والموصل، الاقلام (مجلة) ج(12) س (2) آب 1966، بغداد.
- سهيل قاشا، حملات نادر شاه على العراق في وثائق سريانية/ ق2، (كاروان) مجلة، ع(75) ايار 1989.
- عبدالفتاح علي يحيى (ترجمة وتقديم)، الكورد وكوردستان في رسائل الفيلد مارشال هيلموت فون كارل مولتكة، (الاديب الكردي/ نووسةري كورد) مجلة، ع(4) بغداد ، تموز 1992.
- ميريلا غاليتي، التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين، ت: د. يوسف حبي، (طؤظارى كؤرِى زانيارى عيَراق – دةستةى كورد) مج(8) 1981.
- نرسيس صائغيان، صفحة منسية من تأريخ نادر شاه، لغة العرب(مجلة)، ج(5)، س(7)، بغداد 1929.

تاسعاً: الانترنيت:

http;www.islamonline.net/Arabic/history/1426/06/article04.SHTML

(الدراسة الثانية)

ظهور الامارة البابانية
دراسة تحليلية حول تأسيس الامارة وأصل البابانيين

(الدراسة الثانية)
ظهور الامارة البابانية
دراسة تحليلية حول تأسيس الامارة وأصل البابانيين(*)

مقدمة:

تعد امارة بابان من الامارات الكردية التي نالت حظاً كبيراً من المقالات والبحوث والكتب، بل يمكننا القول بأنها قد نالت حصة الاسد في هذا المجال. بالرغم من ذلك فانها لم تنل حقها، اذ بقي العديد من صفحات تأريخ هذه الامارة مجهولة، وخاصة تلك المتعلقة بالجوانب الحضارية. كما ان بداياتها التأريخية وخاصة نشأة الامارة لاتزال غامضة لدينا. انطلاقاً من هذه الحقيقة فأننا حاولنا في هذا الدراسة ازالة الستار قدر الامكان عن الحقائق المتعلقة بتأريخ ظهور الامارة المعنية وأصل عائلتها الحاكمة.

ومن المؤكد اننا نضطر الى اعتماد الاسلوب التحليلي للتدقيق في معلومات المصادر وتقصي الحقائق من ورائها. على اننا يجب ان نقف في الوقت نفسه على آراء الكتاب والمؤرخين ووجهات نظرهم المختلفة حول هذا الموضوع. لذلك حاولنا الاطلاع على كافة الكتابات والمصادر التي تعيننا في هذا الدراسة، ولكن المصادر الاساسية تتمتع بأهمية خاصة بدون شك. مثل (الشرفنامة) للمؤرخ الكردي (شرفخان البدليسي) الذي لايزال يعد المصدر الاساسي الاهم لمعظم المؤرخين الذين تناولوا تأريخ الاسرات البابانية الحاكمة الاولى. لكتاب (لشرفنامة) ذيلين مكملين، ولكن الذيل الذي كتبة (محمد ابراهيم الاردلاني) حول تأريخ اردلان يحتوِ معلومات نادرة لهذا الدراسة. ولكتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر

(*) ان هذه الدراسة كانت قد نشرت في مجلة (الاكاديمي)/ مجلة الاكاديمية الكردية، عدد (13) كانون الاول 2009.

والقاهرة) للمؤرخ المملوكي (ابن تغري بردي-ت:874هـ/ 1469م) اهمية مماثلة، علماً ان هذا الكتاب يعد من مصادر القرن الخامس عشر الاصلية. كما يشكل كتابي (رِةوشي كوردان / سير الاكراد) و (مذكرات مأمون بك بن بيطة بك) مصدرين نادرين، لأن الاول قد وضع من قبل شخص باباني وهو (عبدالقادر بن رستم باباني) وذلك في عام 1871م. اما الكتاب الثاني فهو عبارة عن مذكرة كتبها احد الامراء الاردلانيين في القرن السادس عشر بصيغة شكوى قدمت الى السلطان العثماني. وكذلك تمت الاستفادة من وثائق عثمانية عديدة من خلال كتاب (الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف) المعنون (دراسات وثائقية في تأريخ الكرد وحضارتهم) و الدراسة المعنون (التقسيمات الادارية في العراق خلال العهد العثماني) للباحث التركي (خليل ساحلي اوغلو) الذي كتب بحثه باللغة التركية. كما شكلت كتب الرحالة الاجانب وخاصة (رحلة ريج في عام 1820) مصدراً مهماً لهذا الدراسة. واضافةً الى ماذكرنا اظلع الباحث على مصادر اخرى عديدة مصنفة في نهاية الدراسة.

بداية ظهور امارة بابان:-

نظراً لقلة المصادر التأريخية المتعلقة بالكرد وكردستان في القرون الوسطى وبدايات العصر الحديث، وكذلك لأن غالبية الكيانات والامارات الكردية قد ظهرت في البداية على شكل كيانات محلية عشائرية او اقطاعية صغيرة، نجد بأن نشأة العائلة البابانية الحاكمة، او بمعنى آخر بداية تأسيس امارة بابان، غير معروفة لدينا كمعظم الامارات الكردية الاخرى. الامر الذي ادى الى تباين الآراء حول الموضوع.

يتحدث بعض الكتاب والمؤرخين عن عراقة وقدم امارة بابان، بل ان بعضهم يبالغ في ذلك، مثل (جمال بابان) الذي يعيد جذور العائلة البابانية الى عصر ماقبل

الميلاد.[1] او يأتون بمعلومات غير موثقة، مثل (عبدربه ابراهيم الوائلي) الذي يقول نقلاً عن كتاب (عشائر العراق الكردية/ لمؤلفه: عباس العزاوي) بأن (حمدي بك بابان) قد ذكر مانصه: "كان بداية تأريخ البابان هو عام 1400 ميلادية، لكن لم يكن لهم شأن ما يستدعي التدوين عنهم، غير انهم تمكنوا عام 1500 ميلادية من تكوين امارة تتمتع بقوة لابأس بها..."[2] ولكن حينما نعود الى الكتاب المذكور نجد بأن (حمدي بك) قد ذكر فقط بأن بداية العائلة البابانية مجهولة. ولايتحدث مطلقاً عن سنة 1400م.[3] اما (حسين حزني موكرياني) فيقدم وجهة نظر غريبة حينما يجعل من (الامير بوداق بن الامير ابدال) الذي كان اميراً على بابان في بداية القرن السادس عشر،[4] حفيداً لـ (بابا اردلان) الذي يعد الجد الاكبر للاسرة الاردلانية الحاكمة.[5] و بذلك يعيد (الموكرياني) تأريخ تأسيس امارة بابان الى القرن الثالث عشر او الرابع عشر ميلادي، وذلك لأن بابا اردلان قد عاش في تلك الفترة حسبما يذهب اليه معظم المؤرخين.[6] وهذا خطأ تأريخي دون شك اذ لايعقل ان يكون الجد قد عاش في تلك القرون ويكون له حفيد في القرن السادس عشر.

---

(1) جمال بابان، بابان في التأريخ ومشاهير البابانيين، بغداد 1993،ص12-13.

(2) عبدربه ابراهيم الوائلي، تاريخ الامارة البابانية/ 1784-1851،ط1، دار الزمان، دمشق- سوريا 2008،ص90.

(3) ينظر:عباس العزاوي، عشائر العراق، ج2 الكردية، مطبعة المعارف، بغداد 1947،ص99.

(4) حول عهد هذا الامير ينظر: شرفخان البدليسي، شرفنامة، ت:محمد جميل الملا أحمد الروذبياني،ط2، مؤسسة موكرياني، اربيل2001، ص474.

(5) حسين حزنى موكريانى،ئاوريَكى ثاشةوة، ب1(حوكمدارانى بنةمالَةى ئةردةلان و بابان لة شارةزوردا)، رةواندوز 1931،ل30.

(6) حول ذلك ينظر: د.زرار صديق توفيق، كردستان في القرن الثامن الهجري/ دراسة في تأريخها السياسي والاقتصادي، مؤسسة موكرياني، اربيل2001، ص140-143.

رغم ان بعض تلك الآراء قد اتصفت بالارتجالية وافتقر البعض الآخر الى الاسانيد كما اوضحنا سابقاً، ولكن لايمكننا التغاضي عن حقيقة وجود امارة بابان في زمن يسبق القرن السادس عشر. وفيما يتعلق بذلك فأن اكثر ما يجلب انتباهنا هي تلك المخطوطة الفارسية التي تعود الى سنة 1099هـ/ 1677-1688م. اذ توجد في هذه المخطوطة عقد لبيع قطعة عقار يعود تأريخ ابرامه الى عام (775هـ / 1373-1374م)،[1] وما يهمنا في هذا العقد شخصية البائع ولقبه وهو (ميرزا عبدالكريم بن الامير خالد بن الامير احمد البباني). وفي ورقة اخرى هناك معلومة منقولة من كتاب مجهول يحمل عنوان (تذكرة الاجناد في محاربة الاتراك والاكراد) يذكر فيها اسم امير بباني آخر وهو (الامير حمزة البباني)، ويشار الى ان المذكور قد سيطر في اول الامر على دياربكر وحلب، ولكنه تعرض للانكسار اثر خيانة قائد جيشه المسمى (حمدون) فلاذ بالفرار الى (مريوان). واستعاد قوته بعد فترة وتوسع حتى وصل

---

(1) كتب في المصدر المذكور ان عقد البيع قد ابرم في يوم الخميس المصادف للخامس من ربيع الاول سنة 675هـ (ينظر: ضمكيَكى ميَذووى هةورامان و مةريوان/ وهي صفحات ترجمها الى الكردية (محمد ملا كريم) بعد ان قام بأقتباسها من كتاب (نور الانوار)الذي الفه (سيد عبدالصمد التوداري) في عام 1099هـ/ 1688م، ضاثخانةي (سلمان الاعظمي)، بةغدا 1970،ل14-15) ولكن يبدو ان ناسخ المخطوطة قد اخطأ في كتابة السنة لأن السنة الصحيحة هي 775هـ فالخامس من ربيع الاول سنة 775هـ يصادف يوم الخميس، اما الخامس من ربيع الاول سنة 675 هـ فهو يوم الاثنين. (زرار صديق، كردستان في القرن الثامن، ص284) وكذلك لان المخطوطة نفسها تشير الى ان (الشيخ زكريا) -وهو الذي اشترى العقار- قد توفي في سنة 775هـ. (ضمكيَكى ميَذووى هةورامان، ل21) وهذا دليل آخر على عدم صحة سنة 675هـ فمن غير المعقول ان نرى شخصاً عاش عمراً حتى تمكن من شراء قطعة ارض ويعيش بعد ذلك مئة سنة اخرى.

نفوذه الى بعقوبة، فمات مسموماً هناك.[1] رغم ان مؤلف المخطوطة (السيد عبد الصمد التوداري) لايشير الى تأرخ الحادثة الاخيرة، ولكننا بالاستناد الى تأريخ وفاة العالم الديني الذي كان يدرس في احد المساجد الواقعة ضمن مناطق نفوذ هذا الامير- وهو الشيخ ابراهيم المشهور بـ (كابل/ او: كاكه بله)، ت:823 هـ- نستطيع القول بأن تلك الحادثة كما وردت في المخطوطة قد وقعت في نهايات القرن الثامن و بدايات القرن التاسع الهجري.

وبناءً على ذلك فأن معلومات تلك المخطوطة تشير الى وجود امارة كردية بأسم (بابان) في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي على اقل تقدير. على اعتبار أن اشخاصاً من تلك الفترة كانوا يحملون لقب (امير بابان)، وكانت الامارة ذاتها قائماً في بدايات القرن الخامس عشر ايضاً.

ان تلك المعلومات تعتبر اشارات جديدة ومهمة حول البدايات التأريخية لأمارة بابان، ولانجد مثيلاً لها في المصادر الاخرى. ولكن بوسعنا ان نتساءل هل يمكن قبول تلك المعلومات كحقائق تأريخية؟ قبل الاجابة على هذا السؤال يجب ان نعرف بأن مؤلف المخطوطة لم يكن معاصراً لتلك الحوادث التي سجلها لنا، كما انه لم يكن مؤرخاً ولم يكتب تلك الوقائع بدافع تأريخي. بل انه كان من الشخصيات الدينية والّف هذه المخطوطة ليعرف ابنه بسير وكرامات بعض الشيوخ والصلحاء. ولكن يبدو ان المؤلف المذكور قد اعتمد على بعض الوثائق والمصادر التأريخية لتدوين الوقائع السالفة. ففيما يتعلق بمعاملة البيع والشراء التي ورد فيها اسم احد امراء بابان، يشير المذكور الى انه اطلع بنفسه على النص الاصلي لعقد البيع الذي كان في متناول يده. اما لرواية الحوادث المتعلقة بـ (الامير حمزة البابانى) فأنه اعتمد

(1) ضمكيَكى ميَذووى هةورامان، ل14-16، 43.

على مصدر تأريخي ذكرناه آنفاً.[1] رغم اننا لانعرف شيئاً المصدر المذكور، ولم نرى وثيقة العقد الاصلية لكي نتأكد من صحة تلك المعلومات، ولكن ذلك لايصبح دليلاً لرفض تلك المعلومات واهمالها.

ولكن الشك يزداد حول تلك المعلومات حينما لانرى اية اشارة الى امارة كردية بأسم (بابان) في المصادر التأريخية المدونة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. في الوقت الذي يرد اسم العديد من الامارات والكيانات الكردية الاخرى في تلك المصادر ونلاحظ تواجدها في احداث تلك الفترة. لاسيما وان تلك الحقبة التأريخية تعرف بوقائعها وتقلباتها الكثيرة التي ادت الى تناوب قوى سياسية عديدة في السيطرة على المنطقة.[2] ولكن احد مصادر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي يذكر بأن شخصاً اسمه (رضي الدين) ويعرف بـ (البابا) قد نصب حاكماً على الموصل من قبل المغول في سنة 663هـ/ 1264-1265م.[3] ان تشابه لقب هذا الشخص مع كلمة (بابان) امر جدير بالملاحظة دون شك، ولكن مصادر اخرى

(1) المصدر نفسه، ص8، 14، 43.

(2) مثل الدول: الايلخانية والجلائرية والتيمورية والقره قوينلو والآق قوينلو. حول حوادث تلك الحقبة و ورود اسماء بعض الكيانات والامارات الكردية ينظر: عماد احمد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي (من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني)، مطابع التعليم العالي، جامعة القادسية 1990. وكذلك: د.زرار صديق، كردستان في القرن الثامن.

(3) كتاب الحوادث لمؤلف من القرن الثامن الهجري، تحقيق: د. بشار عواد معروف و د.عماد عبدالسلام رؤوف، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1997، ص385. لمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية يراجع: المصدر نفسه، ص393، 401، 435.

تشير الى ان هذا الشخص – ويرد ذكره بأسم (ناصر الدين) ايضاً- ينتسب الى اسرة البكري القزويني.[1] ولذلك يبدو انه ليس كردياً ناهيك عن كونه بابانياً.

حول اسباب عدم ذكر امارة بابان في حوادث ذلك العهد يذكر احد المؤلفين بأن تلك المنطقة التي ظهرت فيها امارة بابان كانت في تلك الفترة عبارة عن مجموعة من القرى والارياف، اما سكانها فكانوا اغلبهم من الرحل على اغلب الظن. وبسبب افتقار المنطقة الى المدن الكبيرة والقلاع المهمة فأن القوى السياسية الاقليمية لم تطمع فيها.[2] ويؤيد احد الباحثين ذلك ويضيف بأن البابانيين كانوا في القرن الخامس عشر يعدون من القبائل الكبيرة، ولكنهم لم يصلوا الى مستوى تكوين العلاقات السياسية مع القوى المهمة في المنطقة.[3]

وفي الحقيقة ان رأياً كهذا لايخرج من دائرة المنطق، وخاصةً فيما يتعلق بمسألة تخلف المنطقة المعنية من الناحية العمرانية، لأن حالتها لم تكن تختلف عن ذلك حتى في النصف الثاني من القرن السادس عشر. ففي وثيقة عثمانية تحمل تأريخ (21 رجب 981هـ/ 1573م) نجد بأن حاكم بابان قد كتب للسلطان العثماني ليبين أن لواءه متأخر من حيث العمران وليس فيه محل يصلح للأقامة، والعشائر يقفون في وجه كل حركة عمرانية فيه ويفضلون الأقامة في الخيام".[4]

---

(1) د.عماد عبدالسلام رؤوف، الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد 1992،ص162، 163.

(2) نەوشیَروان مستەفا ئەمین، میرایەتي بابان لەنێوان بەرداشي رۆم و عەجەمدا، ض2، سلێمانی 1998،ل35.

(3) رابيعة فەتاح شێخ محەمەد، كوردستان لەسەدەي ئازدەي زاينيدا، ضاثكراوەكاني وەزارەتي رۆشنبيري، هەولێر 2005، ل332.

(4) د. عماد عبدالسلام رؤوف، دراسات وثائقية في تأريخ الكرد الحديث وحضارتهم، منشورات وزارة الثقافة،اربيل 2008، ص102.

ومن المؤكد ان كياناً بأسم بابان كان قائماً في القرن الخامس عشر ايضاً، لأننا نقف في مصادر ذلك القرن على هذا الاسم. اذ يتحدث (ابن تغري بردي – ت:874هـ/ 1469م) في كتابه (النجوم الزاهرة) عن رجل صالح يعرف بـ (الشيخ عمر البياني الكردي) ويذكر بأنه توفي في مصر في عام 868هـ / 1463م.[1] ويورد (السخاوي – ت:902هـ/ 1496م) اسم هذا الرجل الصالح ويلقب (البياني الكردي) ايضاً.[2] ويبدو ان هذا الرجل الذي عاش اكثر من (60) سنة كان من اصل باباني "بياني" حسب قول (ابن تغري بردي). وحول لقب البياني فأن المؤرخ الاخير يذكر تارةً بأنهم "طائفة من الاكراد" وفي تارةً اخرى يظن بأنهم "قبيلة من الاكراد". ولكنه يقول في نفس الوقت بأنه "نشأ هناك ثم جاء الى القاهرة"،[3] مما يدل على انه يذكر الكلمة كأسم لموقع. ولكننا نستطيع القول بأن (بابان) كان كياناً سياسياً (امارة) في ذلك العهد بدون شك، فالمؤرخ (شرفخان البدليسي) في كتابه (الشرفنامه) –وهو اهم مصدر حول الامارات الكردية– رغم انه لايذكر الحكام البابانيين الاوائل في خضم كتابة تأريخ امارة بابان، بل يبدأ من (الامير بوداق بن الامير ابدال) الذي كان عهده معاصراً لقيام الدولة الصفوية (1501-1736)، ولكنه لايشير قطعياً الى مايدل على ان هذا الامير كان مؤسساً للأمارة.[4]

---

(1) جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: د. جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت،ج16، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972، ص328-329. لمزيد من المعلومات حول هذا الرجل الباباني الصالح يراجع نفس المصدر والصفحات نفسها.

(2) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج6، ص64.

(3) النجوم الزاهرة،ج16، ص328-329.

(4) ينظر:شرفنامه، ص473-474.

ويظهر من الاسم المذكور ان والد (الامير بوداق) وهو (الامير ابدال) كان اميراً ايضاً، لأن اسمه مقرون بلقب (الأمير). كما ان (شرفخان) نفسه يذكر في السطور الاولى التي كتبها عن هذه العائلة الحاكمة، مانصه: "أن حكام بابان عرفوا بين حكام كردستان وامرائها بكثرة الاشياع والانصار، ووفرة العشائر والقبائل بيد ان ايام حكومة هذه الطبقة لما انتهت الى الامير بوداق بيثي العبر مدلول لقبه عن لفظة بابان والى أخيه [في الحقيقة (ابن أخيه) كما يظهر من الصفحات التالية من الشرفنامة]، وكانا ابترين عقيمي النسل كما سنوضح ذلك، انتقلت الحكومة من اسرتهم العريقة في الحكم الى ملازميهم."[1] ونستدل من هذا النص بأن البابانيين كانوا في ذلك العهد -بداية القرن السادس عشر- يعدون عائلة حاكمة عريقة، وهناك عدد من الامراء كانوا قد حكموا قبل (الامير بوداق) - اي في القرن الخامس عشر- وكانت الامارة البابانية قائمة. ولكن يبدو ان البابانيين لم يمارسوا نشاطاً سياسياً وعسكرياً في تلك الفترة بحيث يؤثروا على الحوادث ويذكر اسمهم وتحركاتهم في المصادر. وللسبب نفسه فأن (شرفخان) ايضاً لايدون اية اخبار عنهم حتى يبدأ (الامير بوداق) بحركاته العسكرية وتوسعاته في المانطق المجاورة.[2]

ولكن للتأكد من وجود امارة كردية بأسم بابان في القرن الرابع عشر، فعلينا ترقب ظهور مصادر ودلائل تأريخية اخرى. وذلك لكي نحدد بداية تأسيس هذا الكيان بصورة قطعية.

اوضاع بابان السياسية في القرن السادس عشر:-

لقد ذكرنا آنفاً بأن اول الامراء البابانيين الذين نمتلك معلومات تأريخية عنهم هو (الامير بوداق بن الامير ابدال)، الذي كان يحكم امارة صغيرة بأسم (بابان) في

(1) المصدر نفسه والصفحات نفسها.

(2) المصدر نفسه، ص474.

شرقي امارة سوران عند بداية القرن السادس عشر.[1] عندما يتطرق شرفخان الى عهد هذا الامير – ويورد اسمه في بعض الاحيان بصيغة (ثير بوداق / اي: الشيخ بوداق)- فأنه لايحدد نطاق حكم الامارة ولايشير الى مركز حكمه. ولكننا بالتمعن في توسعات الامير المذكور يمكننا الجزم بأن اقليم بشدر (ثشدر) وحواليها كان يشكل مركز ثقل بابان في تلك الفترة،[2] لأن هذا الاقليم كان يقع في وسط تلك المناطق التي كان الامير بوداق يتوسع فيها، كما سنرى فيما يلي:

كانت توسعات الامير بوداق بأتجاه كردستان الشرقية في البداية، حيث اقتطع منطقة (لاجان)[3] من عشيرة (زرزا) ومنطقة (سيوى/ او:زيوي)[4] من امارة

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها، د. سعدي عثمان هروتي، كوردستان والامبراطورية العثمانية/ دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان (1514-1851)، مؤسسة موكرياني- اربيل، مطبعة خاني، دهوك 2008، ص29.

(2) ويشير بعض الباحثين الى ان بداية حكم الامير بوداق كان في قرية (دارشمانه) الواقعة في قضاء بشدر، ينظر: عبدربه الوائلي، م. س، ص90، جمال بابان، بابان في التاريخ، ص32). يجدر بالذكر ان الباحث الاخير يذكر (مركه/ مرطة) ايضاً كأحتمال آخر وهي في بشدر ايضاً. ولكننا لانستطيع الاشارة الى قرية معينة، لأفتقارنا الى معلومات دقيقة.

(3) جاء في (الشرفنامه) بصيغة (لارجان)، ولكن من المؤكد انها منطقة (لاجان= لاهيجان) الواقعة في اقليم موكريان في كردستان الشرقية، ينظر: شرفخان، م. س، ص474.

(4) كتب في (الشرفنامه) بصيغة (سيوى)، ولكن مترجم الكتاب (ملا جميل الروزبياني) يظن بأنها منطقة (سماقولي) الحالية او (شنو/ اشنويه) الواقعة في كردستان الشرقية، ينظر: نفس المصدر والصفحة. وذلك في الوقت الذي يذهب كل من (الموكرياني) و (جمال بابان) الى انها (شنو)، ينظر: ئاورێكى ئاشتوة، ل32، بابان في التأريخ، ص32، ولكن الاحتمال الاكثر واقعية هو انها (زيوي) لأنها احدى بلدات المنطقة كما انها اقرب من كلمة (سيوى).

سوران. كما استولى على (سلدوز/ او: سندوس)[1] التابعة للصفويين.[2] ثم قام بتعمير قلعة (ماران)[3] ووضع حاكماً عليها. وحاول بعد ذلك فرض سيطرته على عشائر المنطقة وتمكن من اخضاع قبائل (موكزيان) و (بانه) عن طريق الاستمالة و استعمال القوة.[4] وكان ذلك لترسخ نفوذ امارته في تلك الارجاء. يجدر بالذكر ان الامير بوداق كان يحاول تقوية اواصر العلاقة بين الزعماء ورؤساء القبائل الخاضعين لامارته عن طريق المصاهرة، وذلك لكي يضمن اخلاصهم لنفسه.[5]

يبدو ان تلك الانتصارات قد دفعت بالامير بوداق الى مزيد من التوسع دون ان يخشى من زيادة اعدائه. وقد توجه في هذه المرة الى الجنوب وبتر منطقة (شهربازار/ او: شارباذێر) من امارة اردلان، التي كانت تعد من الامارات القوية والمتمكنة في كردستان خلال تلك الفترة.[6] كما استولى على كركوك التي كانت

---

(1) انها احدى بلدات اقليم موكريان، وتقع في شمال غربي مهاباد.

(2) ينتسب الصفويون الى مؤسس الطريقة الصفوية (الشيخ صفي الدين اسحق الاردبيلي) المتوفي في سنة 1334م. وقد أسسوا دولةً بأسمهم في ايران على يد (الشاه اسماعيل الصفوي 1501-1524)، فحكمت خلال سنوات (1501-1736م).حول تلك الدولة يراجع: راجِر سێظري، ئێراني سەردەمي سەفەوي، و: سەلاحەددين ئاشتي، بنكەي ذين، سلێماني 2006.

(3) انها جبل وعر يقع بين مهاباد و بوكان وفقاً لقول (جمال بابان). ينظر: بابان في التأريخ، ص32.

(4) شرفخان، م. س، ص474.

(5) المصدر نفسه، ص475. وكذلك: عماد عبدالسلام، الاسر الحاكمة، ص248.

(6) ان هذه الامارة كانت تسيطر في تلك الفترة على جزء مهم من مناطق جنوب وشرق كردستان، حول ذلك ينظر:ماهشەرەفخانم مەستوورەى كوردستانى: مێذووى ئەردەلان، و: د. حسن جاف و شكور مستەفا، ض1، بەغدا 1989، ل25-26، ستيفن همسلى لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط6، بغداد 1985،ص61.

تابعة ادارياً الى بغداد.[1] يجدر بالذكر ان المدينة الاخيرة (بغداد) كانت تشكل مركزاً مهماً من مراكز دولة الآق قوينلو حتى عام 1508، ولكنها كانت تحكم من قبل حاكم تابع للدولة الصفوية بدءاً من هذا التأريخ.[2] ولكننا لانعرف تأريخ حادثة الاستيلاء على كركوك حتى ندرك بأن الامير المذكور قد طرد أية قوة اقليمية من هذه المدينة. ولكنه لم يأخذها من العثمانيين قطعاً مثلما يعتقد أحد المؤلفين.[3] لأن العثمانيين لم يدخلوا الى دائرة الصراع على هذه المنطقة خلال تلك الحقبة.[4] مهما كان الامر فيبدو ان ذلك دليل على ان هذا الامير البابانى كان يحكم امارته بصورة مستقلة ولم يعترف بأية سلطة اخرى.اذ انه استولى على مناطق نفوذ الصفويين والآق قوينلو ولم يكن العثمانيين قد كسبوا نفوذاً في تلك الارجاء حتى ذلك الحين، ولذلك لم تكن هناك دولة اخرى في المنطقة حتى يخضع الامير بوداق لنفوذها.

بعد هذه المكاسب حاول الامير بوداق الحاق امارة سوران بكاملها الى مناطق نفوذه. ووفقاً لأقوال شرفخان يبدو انه كان موفقاً في ذلك، وذلك لأن الامير السوراني سيدى بن شاه علي بك لم يتمكن من مجابهة جيش بابان القوي، لذلك

---

(1) شرفخان، م. س، ص475.

(2) عماد الجواهري، م. س، ص55-57. الآق قوينلو: قبيلة تركمانية تمكنت من تأسيس دولة حكمت المنطقة فيما بين سنتي (1467-1508ز)، للمزيد من المعلومات يراجع: المصدر نفسه، ص31 ومابعدها.

(3) يجدر بالذكر ان هذا المؤلف نفسه يظن بأن (شهربازار) المذكورة في الشرفنامه هي (شهرزور)، رغم ان الكلمة مكتوبة بوضوح في المصدر المذكور، ينظر: د. سعد بشير اسكندر، قيام النظام الاماراتي في كردستان وسقوطه/ مابين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، ط2، السليمانية 2008، ص125.

(4) حول تحول اتجاه التوسعات العثمانية نحو الشرق و كسب النفوذ في المنطقة، ينظر: سعدي هروتي، كوردستان والامبراطورية، ص35 ومابعدها.

ترك سلطته ولجأ الى الجبال حتى تسنح له فرصة الانتقام. ولم يستغرق مجيء تلك الفرصة وقتاً طويلاً. حيث ذهب الامير بوداق – وكان غير مبالياً بأعدائه – في يوم من الايام الى الصيد، فوقع في كمين الامير السوراني فقتل مع جميع من كان بمعيته.[1] جدير بالتنويه ان احد المؤرخين يذكر بأن تلك الحادثة كانت في عام 1514 ويشير في ذلك الى الشرفنامه، كما يحدد المؤرخ نفسه تأريخ العديد من الحوادث الاخرى بالاشارة الى المصدر المذكور ايضاً.[2] وذلك في الوقت الذي لايشير شرفخان الى تأريخ هذه الحادثة والعديد من الحوادث الاخرى بأي شكل من الاشكال.

فيما يتعلق بالواقعة الاخيرة يزودنا (الموكرياني) بتفاصيل اخرى وذلك دون ان يعرض مصدراً لأقواله، اذ يقول بأن عيسى بن شاه علي كان الامير الرئيس في امارة سوران، اما الامير سيدى فكان شقيقاً للامير عيسى وكان حاكماً على شقلاوة فقط، والتي استولى عليها (الامير بوداق الباباني). كما يتحدث عن احتلال (حرير) التي كانت حاضرة سوران وذلك عقب مقتل الامير عيسى اثناء مواجهة القوات البابانية. ولكنه يشير الى محاولة استعادة مناطق نفوذ سوران من قبل الامير سيدى عقب مقتل الامير بوداق.[3]

كان الامير بوداق عقيماً – كما ذكرنا سابقاً – وكان قد قتل اخيه رستم لانه دبر مؤامرة ضده، لذلك قام بوداق بن رستم بتقلد زمام الامارة عقب مقتل عمه.

---

(1) شرفنامه، ص475.

(2) ينظر: عبدربه الوائلي، م. س، ص91-93.

(3) تاوريَكى ئاشتةوة، ل33-38.

ولكنه لم يتمكن من حكم الامارة بجدارة ومات بعد حكم دام سنتين، دون ان يعقب وريثاً.[1] وبذلك انتهت مدة حكم العائلة الحاكمة الاولى.[2]

كان الزعماء وحكام مناطق بابان غير خاضعين لحكم الامارة منذ عهد الامير بوداق بن رستم. اما بعد وفاة هذا الامير وانقطاع نسل العائلة البابانية الحاكمة، فقد قام احد ملازميهم واسمه (بير نظر) بألاستيلاء على السلطة وانقاذ الامارة من الانهيار والتشتت. يذكر (الموكرياني) بأن هذا الامير قد تمكن من ممارسة الحكم على جميع المناطق التي كسبها الامير بوداق.[3] ويبدو انه مصيب الى حد كبير وخاصة فيما يتعلق بالمناطق الجنوبية، وذلك لان هذا الامير قد اضاف بلدة (كفري) الواقعة في تلك الارجاء الى مناطق نفوذ بابان ايضاً.[4] جدير بالملاحظة ان (سعد بشير اسكندر) يظن بأن البلدة الاخيرة كانت تابعة الى ادارة والي بغداد العثماني ايضاً.[5] ولكن هذا القول بعيد عن الواقع التأريخي كل البعد، وذلك لان السلطان العثماني سليمان القانوني (1520– 1566م) قام بعد حوالي (20) سنة – اي في عام 1534م – بتجهيز حملة عسكرية الى المنطقة وتمكن من انهاء الحكم الصفوي في بغداد، كما يظهر من (الشرفنامة) ايضاً.[6] وبناءً على ذلك يمكننا القول بأن حادثة الاستيلاء على كفري من قبل بير نظر كان في العقد الثاني من القرن

---

(1) شرفخان، م. س،ص475، 476.

(2) محمد امين زكي، تاريخ السليمانية وانحائها، ت: الملا جميل الروزبياني، بغداد 1951،ص45.

(3) ئاوريَكى ئاشةوة، ل42.

(4) شرفخان، م. س،ص477.

(5) ينظر:قيام النظام الاماراتي، ص125.

(6) شرفخان، م. س،ص477–478.

السادس عشر، اما توسعات الامير بوداق فكانت في العقد الاول من القرن المذكور.

بعد وفاة بير نظر وعدم مجيء شخص آخر من هذه الاسرة الى السلطة، انتهى حكم الاسرة البابانية الثانية ايضاً. ومنذ ذلك الحين تبدأ فترة حكم الاسرتين الثالثة والرابعة. لان الامارة قد انقسمت بين زعيمين محليين، اولهما الامير ابراهيم اما الثاني فهو الامير سليمان. فتولى كل واحد منهم حكم جزء من الامارة. وبعد مضي تسعة اعوام سادت خلالها الوئام والاستقرار نشأ العداء بين هذين الاميرين، فقتل الامير ابراهيم على يد الامير سليمان وتوحد جزئي الامارة.[1] ويمكننا ان نعد تلك الحادثة بمثابة بذرة النزاع الاولى التي زرعت بين امراء بابان، ذلك النزاع الذي مهد للتدخلات الخارجية في شؤون بابان.

وكذلك يبدو ان تلك الواقعة كانت بعد سنة 1524، وذلك لأن حاجي شيخ بن الامير ابراهيم بدأ محاولاته للانتقام واستعادة ارث والده بعد هذه الواقعة مباشرة. ومن أجل ذلك التجأ الى الشاه طهماسب الصفوي الذي حكم بين سنتي (1524-1576). ولكنه لم يحصل منه على اية مساعدة وفق مايذهب اليه معظم المصادر. فأعتمد على قدراته الذاتية وتمكن بعد فترة من اقتطاع منطقتي (نارين) و (دياله) من مناطق نفوذ الامير سليمان واتخذها قاعدة لحكمه. وعندما توفي الامير الاخير بعد حكم دام (15) عاماً بسط حاجي شيخ نفوذه على جميع مناطق امارة بابان.[2] ولكن هناك احتمال ان يكون الامير الاردلاني قد وفّر المأوى لهذا الامير وساعده بعد ذلك للوصول الى السلطة. لأن الامير الاردلاني (مأمون بك بن بيطة بك)

---

(1) المصدر نفسه، ص477.

(2) المصدر نفسه، ص477-478، محمد امين زكي، تاريخ السليمانية،ص46-47، حسين حزنى موكريانى، س، ث، ل46.

عندما يأتي الى ذكر حاجي شيخ يقول مانصه: "ان بين الامراء الكرد الذين رباهم بيطة بك و ولاهم الامر شخصاً يدعى (حاجي شيخ بك)".[1]

ان ذلك النزاع الذي نشب في عهد الامير سليمان، قد ظهر تأثيره في تلك الفترة وساهمت القوى المجاورة (وخاصةً الصفويين والعثمانيين) بتدخلاتهم في توسيع ابعاده. مما ادى الى انحسار النفوذ الباباني وتدهور اوضاع السكان.

عندما انتهز حاجي شيخ الفرصة بعد وفاة الامير سليمان وشن حملة لأكمال السيطرة على امارة بابان، لم يتمكن ابناء الامير المتوفي من الدفاع والتجأوا الى الشاه طهماسب الصفوي بزعامة الامير حسين وكان اكبر الاخوة سناً.[2] يتفق معظم المصادر على ان التأزم والحروب قد هيمنت على العلاقات البابانية – الصفوية خلال تلك الفترة. ولكن هناك اختلاف حول اسباب ذلك: فبموجب احد الآراء ان الشاه قد ساند الامير حسين بن الامير سليمان[3] واتخذ ذلك فرصة سانحة لتسيير الجيوش على المنطقة في اطار الصراع الذي كان قائماً حينذاك مع الدولة العثمانية.[4] ولكن الموكرياني يشير الى ان الشاه طهماسب كان يخشى من اطماع حاجي شيخ في الاراضي الايرانية.[5] اما شرفخان فيقول ان المذكور كان على الدوام تبدر منه الاعمال المخالفة للشاه طهماسب. فأضطر الشاه الى اعلان الحرب

---

(1) مذكرات مأمون بك بن بيطة بك، ت: محمد جميل الروذ بياني وشكور مسته فا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1980،ص33.

(2) حسين حزنى موكريانى، س، ث، ل46، محمد امين زكي، تاريخ السليمانية،ص47.

(3) محمد امين زكي، تاريخ السليمانية،ص47.

(4) نةوشيَروان مستةفا، س. ث، ل37.

(5) تاوريَكى ئاشةوة، ل47.

عليه."[1] وبناءً على ذلك نعرف بأن حاجي شيخ قد توسع فعلاً في المناطق الكردية التابعة للنفوذ الصفوي، كما يظهر من مذكرات مأمون بك الاردلاني ايضاً وذلك من خلال اقوال الشاه طهماسب نفسه.[2]

لقد شنّ الشاه طهماسب ثلاث حملات عسكرية متتالية على مناطق بابان، فتمكن الامير البابانى بألاعتماد على مقاتليه ومع بعض الدعم من سكان الامارة فقط، من مجابهة تلك الحملات واعادتها الى الوراء مهزوماً بعد ان أوقع في صفوفها خسائر جمة. ولاشك ان وعورة مناطق بابان كانت مساعدة للدفاع والاستبسال ايضاً. وخاصةً في الحملة الثالثة التي توجهت الى جبل (طلالة) الواقعة في منطقة جبلية ذات غابات كثيفة، فوقع في صفوف الصفويين (2-3) آلاف قتيل.[3] جدير بالذكر ان الشاه طهماسب قد ثارت حفيظته في اعقاب تلك الهزائم وانتقم من ابناء الامير سليمان الذين كانوا قد التجأوا اليه سابقاً وكانوا مع القوات الصفوية المكلفة بالمهمة. فأمر بحبسهم ولكن اطلق سراحهم فيما بعد فالتجأوا هذة المرة الى السلطان العثماني (سليمان القانوني). فأمر السلطان بأسكانهم في الروميللي (الجزء الاوربي من الدولة العثمانية) بعد تخصيص رواتب لهم.[4]

فيما يتعلق بمصير الامير البابانى حاجي شيخ، يذكر شرفخان البدليسي بأنه عندما احتل السلطان سليمان بغداد اثناء حملة عام 1534 واقام فيها مدة من الزمن، ذهب الامير المذكور الى السلطان لعرض الطاعة عليه. ولكن عندما وصل منطقة

---

(1) شرفنامه، ص478.

(2) مذكرات مأمون بك، ص34.

(3) شرفخان، م. س،ص478، محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ص47. للمزيد من التفاصيل حول هذه الحادثة يراجع المصدر الاول، ص481.

(4) شرفخان، م. س،ص481، محمد امين زكي، تاريخ السليمانية،ص47.

(مرطة)، طلع عليه بعض اهل المنطقة من كمين نصبوه له، فتمكنوا من قتل حاجي شيخ مع اخيه المدعو (امير).[1] ولكن يبدو ان المؤرخ المذكور لم يصب الحقيقة وخاصةً في تحديد تأريخ مقتله، وذلك لأن مذكرات مأمون بك تظهر لنا بأن حاجي شيخ كان حياً يرزق بعد احتلال بغداد من قبل العثمانيين وحتى تنصيب الوالي العثماني الثاني على هذه المدينة. اذ تحتوِ هذه المذكرات على ذكر هجوم قام به امير برادوست غازي خان[2] على الامير البابائي حاجي شيخ، بناءً على طلب الشاه طهماسب. ويبدو ان الهجوم كان عنيفاً وجلب الخراب والدمار الى الامارة وسكانها، لذلك تحصن الامير المذكور في جبل منيع وطلب المساعدة من والي بغداد. فقام الوالي محمد باشا بأرسال قوة لانجاده. فأنسحب الجيش الصفوي بعد ذلك عندما لم ينجح في الهجمة التي شنها على مقر الامير في موقعه الحصين.[3]

واذا عرفنا بأن سليمان باشا وهو الوالي العثماني الاول على بغداد، قد عزل من منصبه في عام 942هـ / 1536م،[4] نتأكد من استمرار حكم حاجي شيخ في امارة بابان الى مابعد التأريخ المذكور. اذاً فان حادثة مقتل الامير البابائي المذكور لم يكن في عام 1534، بل كان في وقت آخر عقب سنة 1536م. ومن جهة اخرى فاننا بواسطة هذه الحادثة نعرف بان الامير البابائي قد رضي بتبعية الدولة العثمانية وذلك ازاء الضغوط الصفوية، وكان طلب النجدة من والي بغداد العثماني مظهراً من مظاهر هذه التبعية. ونتيجة لذلك فاننا نجد امارة بابان ضمن التقسيمات

(1) شرفنامه، ص478.

(2) حول هذا الامير وكذلك امارة برادوست ينظر: شرفخان، م. س،ص496-497.

(3) مذكرات مأمون بك، ص34.

(4) عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، مج4، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1949، ص46، عماد عبدالسلام، الاسر الحاكمة، ص51.

الادارية العثمانية في تلك الفترة. اذ كانت بابان تعد احدى سناجق ولاية لورستان التي تشكلت من قبل العثمانيين في اعقاب احتلالهم لبغداد.[1] ومن البديهي ان تكون تبعية بابان للدولة العثمانية كباقي الامارات الكردية الاخرى، عبارة عن قبول النفوذ العثماني بصورة شكلية، اذ احتفظ الامراء الكرد بكياناتهم واستقلالهم الداخلي و تمسكوا بحقوقهم الوراثية في الحكم.[2]

بعد مقتل حاجي شيخ، نصب ابنه بوداق اميراً على بابان بموجب فرمان السلطان سليمان القانوني. فشهدت الامارة في ظل حكم هذا الامير الذي دام (16) سنة، فترة من السلام و الاستقرار. ولكن في نهاية تلك الفترة نشب التنافس والنزاع على السلطة نتيجة التدخلات الخارجية. وقد حدث ذلك حينما قضى فرمان صادر من الديوان السلطاني بأعطاء حكم بابان الى حسين بك ابن الامير سليمان، الذي كان قد التجأ مع اخوته الى البلاط العثماني. كما تضمن الفرمان امراً الى امير بادينان سلطان حسين بك [3] لأعانته على الوصول الى منصبه. ولكن

---

(1) Sahillioglu, Halil: Osmanli Doneminde Irak'in Idari Taksimati, Ceviren: Mustafa Ozturk, Belleten, Ankara, cilt. Iiv, sayi:211,1990,s.1237.

السنجق: كلمة تركية تعني العلم او الراية، وكانت وحدة ادارية اصغر من الولاية او الايالة. اما الشخص المسؤول عن ادارة هذه الوحدة فكان يسمى (سنجق بك). لمزيد من المعلومات ينظر المصدر نفسه، ص1233.

(2) لمزيد من المعلومات حول العلاقات بين الامارات الكردية والسلطات العثمانية يراجع: سعدي هروتي، كوردستان والامبراطورية، ص61-66.

(3) كان من امراء بادينان الاقوياء والمتنفذين، لمزيد من المعلومات عنه ينظر: د.عماد عبدالسلام رؤوف، السلطان حسين الولي/ امير بهدينان من 940 الى 981هـ/ 1533-1573م، مطبعة (طؤظار) هةولێر 2009. و وفقاً لاقوال (شرفخان البدليسي) فأن استدعاء (حسين بك) واخوته من الروميللي وتوجيه الحكم اليهم في بابان كان بناءً على طلب الامير البادينى المذكور. شرفنامة، ص481.

انجاز هذه المهمة لم يكن صعباً، لأن بوداق بك عندما علم بعدم قدرته على المقاومة ترك امارته ولجأ الى الشاه طهماسب.[1]

يبدو ان سياسة السلطات العثمانية ازاء امارة بابان في تلك الفترة كانت قائمة على اساس بذر بذور الشقاق والتنافس، فبعد مضي بضعة اشهر على تلك الحادثة قام الصدر الاعظم العثماني رستم باشا بأستدعاء بوداق بك من ايران واعاده الى بابان مع الفرمان وعلامة الامارة. وكان من البديهي ان تقع المواجهة بين الاميرين المتنافسين جراء ذلك. ولكن قبل وقوع الاشتباك تمكن حسين بك من الوصول الى استانبول والحصول على فرمان سلطاني، تقرر فيه مشاركة الاميرين في حكم الامارة.[2] وكان ذلك يعني تقسيم امارة بابان الى شطرين يحصل كل امير على شطر منه. وبذلك خسرت بابان وحدتها وثقلها السياسي ايضاً.

وكان من المعلوم ان الوئام لن يسود بين هذين الاميرين المتنافسين وينشأ الصدام بينهما. وهذا ماحدث فعلاً، وكانت النتيجة مقتل حسين بك مع اخوته. ولكن بوداق بك قد واجه غضب السلطان في اعقاب هذه الحادثة، فلم يتمكن من التمسك بزمام الامور في الامارة. ورغم ان السلطان العثماني غفر له فيما بعد وذلك بشفاعة امير بادينان سلطان حسين بك، ولكنه لم يرجع الى امارته بل اصبح حاكماً على سنجق عيتاب الواقع في شمال غربي كردستان. اما الجزء الذي كان قد انيط به من امارة بابان، فشكل منه سنجقاً ونصب لحكمه شخص يدعى ولي

---

(1) شرفخان، م. س،ص478-479.

(2) المصدر نفسه، ص479، حسين حزنى موكريانى، س، ث، ل55-56.

بك.[1] اما الجزء الآخر من امارة بابان و الذي كان يشمل منطقة مرطة فأعطي لـ (خدر بك بن الامير حسين).[2] وبذلك خضع جزء من بابان للادارة العثمانية المباشرة وفقد حكمه المحلي أو بمعنى آخر خسر استقلاله الداخلي.

ان ذلك التقسيم الذي تعرضت له امارة بابان يظهر جلياً في التقسيمات الادارية العائدة لتلك الفترة، ففي وثيقة عثمانية (وهي عبارة عن دفتر خاص بالتقسيمات الادارية خلال سنوات 1563-1574) نجد سنجقاً بأسم (مرطة) وآخر بأسم (مقاطعة بابان) ضمن ولاية شهرزور.[3] وفي دفتر آخر يضم التقسيمات الادارية في سنوات 1574-1583، يتكرر اسم السنجقين في نفس الولاية. ولكن كتبت في هذه المرة عند اسم بابان عبارة: "منطقة مفرزة من بابان".[4] ونستنتج من ذلك بأن اسم بابان قد استعمل رسمياً لذلك الجزء من الامارة الذي خضع للادارة العثمانية المباشرة.

لقد حصل احد المؤرخين على مجموعة من الوثائق العثمانية المتعلقة بأمارة بابان، ومن خلال عرض بعض تلك الوثائق يتوصل هذا المؤرخ الى رأي مفاده: ان

---

(1) يبدو ان ولي بك هذا هو نفس الشخص الذي شارك في حملة عثمانية على شهرزور في عام 1551م، فنصب في اعقاب ذلك كأمير لواء على ذلك الاقليم. ينظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق، مج4، ص59-60.

(2) شرفخان، م. س، ص479-480. حول مصير (بوداق بك) وعائلته ينظر: نفس المصدر، ص480.

(3) ينظر معلومات الوثيقة في:(Sahillioglu, op.cit,s.1241) يجدر بالذكر ان كلمة (مةرطة) جاءت بصيغة (موذطاوة) في المصدر المذكور، ولكن اشير في صفحة (1250) من نفس المصدر الى ان (موذطاوة) هي (مرطاوة)، ومن المؤكد ان الكلمة الاخيرة هي (مرطة) نفسها.

(4) Sahillioglu, op.cit,s.1244

هذه الامارة قد انحلت في سبعينات القرن السادس عشر، على اعتبار ان بابان تظهر في تلك الوثائق كوحدة ادارية اعتيادية وتدار من قبل موظفين عثمانيين.[1] ولكن الحقيقة ان هذه الامارة رغم تضييق حدودها بحيث كانت تشمل منطقة مرطة فقط، فأنها ظلّت كياناً محلياً كردياً وخاضعاً لحكم امير باباني (وهو خدر بك بن الامير حسين) حيى ثمانينات القرن المذكور، كما سيظهر لنا فيما بعد. اما تلك الوثائق فأنها تتحدث عن ذلك الجزء من الامارة الذي فوض ادارته الى ولي بك وخضع للنفوذ العثماني المباشر، كما اشرنا الى ذلك.

تشير الوثائق المذكورة الى حالة الفوضى التي كانت سائدة في (لواء بابان) وهو ذلك الجزء التابع للادارة العثمانية. وقد ادت تلك الفوضى الى عدم وجود مركز حضري يذكر في تلك المنطقة، وخاصةً ان معظم عشائر تلك الارجاء كانوا يقيمون في الخيام ويعارضون اية حركة عمرانية تقوم فيها. ولذلك فان مسألة بناء قلعة في المنطقة قد اصبحت موضوعاً رئيساً للعديد من الرسائل والكتب الرسمية المتبادلة بين مسؤولي المنطقة والسلطان العثماني بعد سنة 1570م.[2] ومن المؤكد ان الغرض من بناء تلك القلعة كان تأمين مركز اداري للمنطقة، وكذلك اتخاذها قاعدة عسكرية للدفاع ضد الهجمات الداخلية والخارجية. ولذلك يشار في وثيقة تعود الى عام 1582 الى تأمين الارزاق والعتاد لقلعة بابان وبعض القلاع الاخرى في المنطقة.[3]

بالرغم من ذلك فان منطقة بابان لم تشهد هدوءاً وتعرض العثمانيون لمشاكل كثيرة في محاولة فرض نفوذهم على المنطقة، وخاصةً بسبب مقاومة العشائر. ففي

(1) ينظر: عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية، ص99، 100.

(2) ينظر نصوص تلك الرسائل والكتب الرسمية في: المصدر نفسه، ص100-103.

(3) ينظر نص الوثيقة في: المصدر نفسه، ص104.

وثيقة عثمانية تعود الى عام 1573 نجد ان شخصاً يدعى عزالدين بك قد تم تعيينه من قبل الدولة حاكماً على بابان، ولكنه واجه موقفاً معارضاً من قبل عشيرتي (آكو) و (بلباس) عندما كان في طريقه لتسلم منصبه الجديد. وكانت النتيجة مقتل عدد من رجاله وتعرضه للنهب بعد ان حاصروه لمدة يومين.[1] يبدو ان تلك الحادثة لم تكن من قبيل اعمال النهب والسلب التي قد تأتي بها تلك العشائر، بل كانت انتفاضة مسلحة ناجمة من موقف رفض السلطة العثمانية على المنطقة. وذلك لأننا نجد في وثيقة عثمانية اخرى دونت في السنة التالية، خبراً مفاده ان بعض سكان لواء بابان وقفوا ضد الحكم العثماني – او 'تمردوا' حسب تعبير الوثيقة– واتخذوا زعيماً لهم يدعى حسين يأتمرون بأوامره.[2]

وكان عدم دفع الضرائب والرسوم من قبل سكان بابان يعد شكل آخر من اشكال رفض الحكم العثماني. ويبدو ان هذا الموقف قد أوجد قلقاً كبيراً لدى المسؤولين العثمانيين فأهتموا به على ارفع مستوى وهو شخص السلطان. وفي بعض الحالات طلبوا من الولاة والحكام المجاورين (مثل: والي شهرزور، والي بغداد، امير سوران، حاكم اربيل) ليقدموا المساعدة بأنفسهم او بقواتهم في عملية تحصيل الضرائب من منطقة بابان، كما يظهر من بعض الوثائق العثمانية العائدة الى سنوات 1574– 1581م.[3]

اما فيما يتعلق بالجزء الآخر من امارة بابان والذي كان يتكون من منطقة (مرطة) ونصب عليه خدر بك بن الامير حسين، فليس لدينا معلومات تذكر. ولكن لايبدو انه واجه مشاكل من هذا القبيل، وذلك لأن اميراً بابانياً كان يحكم في

---

(1) المصدر نفسه، ص 101.

(2) ينظر نص الوثيقة في: المصدر نفسه، ص 104–105.

(3) ينظر نصوص تلك الوثائق في: المصدر نفسه، ص 105–110.

ذلك الجزء، فتمتع بالشرعية في الحكم وفق تقاليد المنطقة. يؤكد لنا شرفخان البدليسي بأن هذا الامير قد استمر في الحكم حتى عهد السلطان مراد الثالث (1574-1595).[1] وتشير وثيقة عثمانية دونت في ستة 1578 الى اشتراك الامير البابانى خضر مع بضعة امراء كرد آخرين في حملة ضد الدولة الصفوية.[2] ومن المؤكد ان المدعو خضر هو نفس خدر بك بن الامير حسين، وذلك لأن المذكور ظلّ يحكم المنطقة التي كانت تحت سيطرته حتى ذلك الحين.

ولكن امراً قد حدث في سنة 991هـ/ 1582-1583 وكان له تأثير سلبي على خدر بك ومنطقة بابان ايضاً. ففي تلك السنة تمرد امير بك الموكري[3] مع بعض الامراء والزعماء الكرد على الدولة الصفوية وتوجهوا الى الدولة العثمانية. وبقصد المكافأة قرر المسؤولون العثمانيون نزع منطقة مرطة من ايدي خدر بك واعطائها الى احد ابناء امير بك الموكري، او الى امير بك نفسه كما يذكر شرفخان في موضع آخر.[4] وفي الحقيقة لانرى اختلافاً في الامر، فاذا كانت المنطقة المذكورة قد اعطيت

---

(1) شرفنامه، ص482. جدير بالذكر ان الموكرياني يقول بأن خدر بك قد تمكن بعد فترة من الزمن من القضاء على ولي بك عن طريق الحيلة واضافة الجزء الآخر من امارة بابان الى حكمه (ئاوريَكى ئاشةوة، ل58) ولكنه لم يصب الحقيقة في ذلك لأن الوثائق المذكورة سابقاً تظهر بأن حكاماً عثمانيين آخرين قد حكموا بابان في اعقاب ولي بك، مثل: عزالدين بك و اسماعيل بك و حمزة بك و قنبر بك. ينظر: عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية، ص101، 102، 105، 108.

(2) ينظر نص الوثيقة في: المصدر نفسه، ص 108-109.

(3) هو امير بك بن الشيخ حيدر الموكري الذي حكم امارة موكريان فترة من الزمن. لمزيد من المعلومات حوله ينظر: الآثار الكاملة للمؤرخ الكردي محمد امين زكي/ مشاهير الكرد وكردستان، اعداد: رفيق صالح، ج2،(مركز ذين) السليمانية 2005، ص123-124.

(4) شرفنامة، ص482، 488. ويشير بعض المؤرخين الآخرين الى امير بك ايضاً فيما يتعلق هذه

الى الامير المذكور نفسه وليس الى ولده، فمن البديهي ان لايتمكن من ممارسة الحكم على تلك المنطقة مباشرةً. وذلك بسبب انشغاله بمناطق اخرى كانت تحت سيطرته، فقام بتفويض الامر الى احد ابنائه. جدير بالذكر ان شرفخان نفسه عندما يتحدث في مناسبات اخرى عن تلك الحادثة، يذكر (بابان) بدلاً من (مرطة).[1] ويشير بعض المؤرخين الآخرين الى بابان ايضاً.[2] ولاشك ان هذا اثبات على ان خدر بك رغم حكمه لمنطقة مرطة فقط، فانه كان يعد نفسه اميراً بابانياً وكانت مناطق حكمه تعرف بـ (بابان) ايضاً.

مهما كان الامر فقد عارض الامير الباباني (خدر بك) هذا العمل الذي بدر من المسؤولين العثمانيين، فنشب النزاع والتنافس بين الاميرين واستمر امداً طويلاً. وفي خضم تلك الظروف توفي خدر بك فأصبحت المنطقة بدون حاكم، لأن الحكومة العثمانية قد سحبت حكم امارة بابان من امير بك الموكري في نفس تلك الفترة.[3] ويبدو ان خدر بك لم يكن له وريثاً من الذكور.[4]

المسألة. ينظر: محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ص50، عباس العزاوي، شهرزور – السليمانية / اللواء والمدينة، تحقيق: محمد علي القرةداغي، ط1، بغداد 2000،ص177، محمد جميل رِۆژبەیانی، فەرمانڕەوایی موکریان، دەزطای رۆشنبیری و بلاَوکردنەوەی کوردی، بەغدا 1992،ل48.

(1) شرفنامة، ص488، 490.

(2) عباس العزاوي، شهرزور، ص177–178، محمد جميل رِۆژبەیانی، س. ث، ل48.

(3) شرفخان، م. س، ص482، 490، محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ص50.

(4) يتقد (جمال بابان) رأياً من هذا القبيل ويعتقد بأن ذرية (خدر بك) لم تنقطع، وذلك على اعتبار ان احدى الاسر التي تقطن في منطقة مرطة تدعي الانتساب الى تلك الشخصية، ينظر: بابان في التأريخ، ص33. ولكن مجرد ادعاء احدى الاسر لايؤخذ كدليل تأريخي.

وبذلك انتهت فترة حكم الاسرة البابانية الرابعة وتعرضت امارة بابان للانحلال، لأن الحكام وزعماء العشائر التابعين للامارة رفضوا الخضوع لشخص اجنبي، ويبدو انهم لم يتفقوا فيما بينهم على تنصيب امير لهم. ولذلك تولى كل واحد منهم الحكم في منطقته وتعهدوا بتنفيذ الواجبات الملقاة على عاتقهم، وخاصةً فيما يتعلق بتحصيل الضرائب والرسوم. ولكن المنطقة قد اصبحت عموماً ضمن الاراضي الخاصة بالبلاط او السلطان (خواص همايون) وتبعت ولاية شهرزور من الناحية الادارية. ويبدو ان المسؤولين العثمانيين قد رضوا بتلك الحالة لعدم تمكنهم من فرض الحكم المباشر على تلك المناطق الوعرة، التي كانت "تملك قوة قوامها اربعة آلاف فارس من شجعان الفرسان المشمرين عن ساعد الجد والمجهزين بكامل الاسلحة وهم يأبون الخضوع لنير حاكم دخيل" حسب تعبير شرفخان البدليسي.[1]

وقد انعكست هذه المستجدات على التقسيمات الادارية المتبعة في المنطقة، ففي قائمة تتضمن سناجق ايالة شهرزور وتعود الى بدايات القرن السابع عشر لانجد سنجقاً بأسم (بابان)، في الوقت الذي يوجد سنجق (مرطة).[2] مما يعني ان كياناً سياسياً وادارياً بأسم بابان لم يكن له وجود في تلك الحقبة، ولكن المنطقة احتفظت بتسمية بابان، كما سيظهر لنا فيما بعد.

---

(1) شرفنامة، ص482-483.

(2) Ayni Ali Efendi, Osmanli Imparatorlugunda Eyalet Taksimati, Toprak Dagitmi ve Bunlarin Mali Gucleri, Ceviren: Hadiye Tuncer, Ankara 1964, s.18; Sahillioglu, op.cit,s1250.

وحول اسماء السناجق الاخرى الواردة في القائمة المذكورة ينظر نفس المصدرين.

فقي احمد الدارشماني وانبعاث امارة بابان:

استمر الحال على هذا المنوال حتى برز المدعو (فقي احمد) في اواسط القرن السابع عشر[1] في قرية دارشمانة[2] الواقعة في منطقة بشدر، وقام بوضع نواة امارة بابان من جديد. وبذلك بدأ حكم الاسرة البابانية الخامسة[3] - وهم المعروفون ببانيي السليمانية- واستمر حكم هذه الاسرة حتى اواسط القرن التاسع عشر.[4]

ان ظهور فقي احمد الدارشماني واعادة تأسيس الامارة البابانية على يديه قد اصبح موضوعاً لقصص وملاحم مختلفة انتشرت في منطقة بشدر بشكل خاص.[5]

---

(1) يشير بعض المصادر الى سنة معينة مثل (الموكرياني) الذي يحدد سنة 1055هـ/ 1645-1646م (ئاوريَكي ئاشةوة، ل84)، وكذلك (سعد بشير اسكندر) الذي يشير الى حوالي سنة 1678م (قيام النظام الاماراتي، ص125). ولكننا لانستطيع تحديد سنة معينة لتلك الحادثة لأفتقارنا الى مصادر ووثائق ضرورية تعيننا في ذلك.

(2) تقع على بعد عدة كيلومترات من قلعة دزه الحالية التي تشكل قصبة مقاطعة بشدر. جمال بابان، أصول اسماء المدن و المواقع العراقية، ط2، بغداد 1986،ص111.

(3) جدير بالذكر ان احد الباحثين يظن بأن هذه هي الاسرة البابانية الثالثة ويختلط عليه الاسر الثانية والثالثة والرابعة فيعد جميعها بمثابة الاسرة البابانية الثانية. (ينظر: سعد بشير، م. س، ص125) ولكنه على خطأ في ذلك لأن الامارة البابانية قد حكمت من قبل خمسة اسر كما رأينا سابقاً.

(4) لقد تحدثنا بالتفصيل عن هذه المسألة في بعض كتاباتنا الاخرى، لذلك تجنبنا تكرار تفاصيل تلك الحادثة في هذا الدراسة. ينظر: سعدي عثمان حسين، امارة بابان في النصف الاول من القرن الثامن عشر، اربيل 2000،ص12-13 وكذلك: د.سعدي عثمان حسين،كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية والادارية والاقتصادية مع ايالتي بغداد والموصل، اربيل 2006،ص154-155.

(5) حول ذلك يراجع: كلوديوس جيمس ريض، طةشتي ريض بؤ كوردستان 1820، و: محةمةد حةمة باقي، ض1، تةوريز 1992، ل298-301، عبدالقادر كوري رؤستةمي بابان، رةوشي

ونتيجةً لذلك اتخذ هذا الحدث بعداً اسطورياً، فأختلطت الحقيقة بالخيال حوله. ولكن الامر المؤكد هو ان فقي احمد قد قام بتأسيس سلطة محلية في قرية دارشمانه، وتمكن بذكائه وقدراته الذاتية من فرض نفوذه على سكان المنطقة وتسنى له توحيد مقاطعتي مرطة ويشدر.[1] وفي عهد ابنه (خان بوداق) توسعت تلك السلطة وشملت بعض المناطق والعشائر المجاورة وخاصةً عشيرتي (آكو) و (بلباس)[2] ومنطقتي (ماوه ت) و (شهربازار/ شاربادير).[3] فأصبح هذا الامير من ذوي النفوذ والسطوة في تلك الارجاء.[4]

وفي عهد (سليمان بَبَه) بن خان بوداق والذي حكم بين سنتي (1669-1699م) اصبحت الامارة اشبه بكيان سياسي. كما شهدت توسعاً ملحوظاً، اذ دخلت مناطق شهرزور و قزلجه وسروجك وقرداغ و بازيان ضمن نطاق حكم

كوردان (ميَذووي كوردستان)، و: كةريمي حيسامي، ض1، سويد 1991،ل85-88، حسين ناظم بيط، تاريخ الامارة البابانية،ت: شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل 2001، ص55-59.

(1) حسين ناظم بيط، م. س، ص57، وانظر ايضاً: احمد جودت، تأريخ جودت/ از ترتيب جديد، ج1، مطبعة عثمانية، استانبول 1301، ص273، ستيفن لونكريك، م. س، ص105.

(2) حسين ناظم بيط، م. س،ص61.

(3) احمد جودت،، م. س،ج1، ص273.

(4) دائرة المعارف الاسلامية،(الترجمة العربية) اعداد وتحرير: ابراهيم زكي وأحمد الشنتناوى و د. عبدالحميد يونس، القاهرة (د.ت)، مج5 (مادة بابان- لونكريك)، ص531.

بابان.[1] وفي هذا العهد ايضاً تحولت مركز الامارة الى قلاجوالان وحازت على اعتراف السلطات العثمانية.[2]

وتبرهن الوثائق الادارية العثمانية ايضاً على انبعاث امارة بابان خلال تلك الفترة، ففي اواسط القرن السابع عشر يرد اسم (ببه – او/ بابان) ضمن قائمة سناجق ايالة شهرزور من جديد.[3]

اصل تسمية (ببه- بابان):

ان معرفة جذور تسمية (بابان) وكيفية ظهور هذه الكلمة ومعناها اصبحت مسالة معقدة وعامضة، فرغم عرض آراء ووجهات نظر متعددة حولها، لكن لم يتم كشف النقاب عنها وبقيت الحقيقة جهولة. ونظراً لأن الاسرة البابانية الخامسة (بابانيي السليمانية) قد طغت شهرتها على الاسر البابانية الاخرى التي سبقتها -اذ لم تكن الاسر الاخرى معروفة لدى اوساط عديدة حتى السنوات الاخيرة- ولذلك فأن معظم المحاولات قد تركزت حول معرفة بداية استعمال مصطلح بابان لدى الامراء الاوائل في الاسرة الخامسة ثم تحديد معنى المصطلح. ولهذا السبب اتصفت بعض تلك المحاولات بالسذاجة، وخاصة تلك الآراء التي انتشرت بين عامة الناس.

---

(1) حسين ناظم بيط، م. س،ص65-75، تؤفيق قةفتان، ميَذووى حوكمدارانى بابان لة قةلأضوالان تا دروستكردنى شارى سولةيمانى 1080-1199ك/ 1669-1784ز، ضاثخانةى سلمان الاعظمى، بةغدا 1969، ص18-19.

(2) احمد جودت،، م. س،ج1، ص273، دائرة المعارف الاسلامية، مج5، ص531. وللمزيد من المعلومات حول عهد هذا الامير وتوسعاته ينظر: سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية، ص249-253.

(3) ينظر: خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1638-1750/ 1048-1164هـ رسالة ماجستير، كلية الاداب جامعة بغداد/ 1975،ص61-62.

فأحدى الشخصيات البابانية وهو عبدالقادر بن رستم البابـاني الـذي الـف كتـاب (سير الاكراد) في عام 1871، يقول بقناعة تامة بأن تسمية بابان قد جاءت من اسـم (بابا سليمان)، وقد حدث ذلك عندما استقبل الامير المذكور من قبل قائـد الجيش العثماني في اعقاب محاربتـه الى جانـب ذلـك الجيش وتحقيـق الانتـصار في معركـة طاحنة. فقال القائد العثماني "بابام سليمان" تعبيراً عن امتنانه له. ومن هنا جائته هذه التسمية وانتقلت الى ابنائه واحفاده فعرفوا بـ (بابان).[1]

وفي عام 1820 ذكـر شـيخ طـاعن في الـسن مـن سـكان الـسليمانية للمقـيم البريطاني (ريج) قائلاً بأن بابا سليمان حمل لقب (بابا) لأن والده كان قد توفي قبـل ولادته.[2] اما (امين زكي) فكتب في هوامش احدى كتبه: يروى ان سليمان بك قد ذهب الى استانبول لمقابلة السلطان العثماني، وعندما شاهده السلطان بزيّه الكـردي استغرب منه وقـال "واي بـبم! – آه يـا أبـتِ" فأصـبح يعـرف بــ (سـليمان ببـه).[3] ونسبت تلك الحادثة في مصدر آخر الى فقـي احمـد.[4] ومـن المؤكـد ان جميـع تلـك القصص والروايات بعيدة عن الواقع وتدخل في اطار الملاحم والحكايات الخرافيـة. وذلك لسبب بسيط وهو أن مصطلح بابان اقـدم مـن تلـك الروايـات كمـا مـرّ بنـا سابقاً.

ويقدم بعض الكتاب والمؤرخين وجهات نظر اخرى حـول الموضـوع ولكـن البعض منها مجرد تخمـين والـبعض الآخـر بنيت علـى معلومـات غـير صـحيحة. ولذلك لاتتطابق مع الحوادث التأريخية، وخاصةً وجهة نظر الموكرياني: ففي احدى

(1) رةوشي كوردان، ل89.

(2) طةشتي ريض، ل304.

(3) تاريخ السليمانية، ص53.

(4) جمال بابان، بابان في التأريخ، ص10.

المواقع يقول المذكور بأن الامير الاردلاني (تيمور خان) الذي كان معاصراً للسلطان العثماني مراد الثالث (1574- 1595)، عندما قسّم اراضي شهرزور الى جزأين، أخذ كل جزء منها اسماً، فعرف احد الجزأين بـ (بابان) اما الجزء الآخر فأصبح يعرف بـ (اردلان). وذلك لأن المذكور قام بتقسيم اسم جده الاكبر (بابا اردلان) ايضاً فأخذ كل جزء من شهرزور شقاً من الاسم.[1] وبذلك يذهب الموكرياني الى القول بأن اسم (بابان) قد اطلق على ذلك الجزء من شهرزور في الربع الاخير من القرن السادس عشر. ولكنه عندما يأتي بعد عدة صفحات الى الحديث عن الامير بوداق بن الامير ابدال الذي كان اميراً على بابان في بدايات القرن السادس عشر، يقول: "عندما تسلم الامير بوداق الحكم عمد الى تغيير اسم حكومته بالكامل فأشتهرت بـ (بابان) في جميع الاصقاع... ان الشخص الذي ارسى اسس تلك التسمية هو الامير بوداق وذلك رغم ان تيمورخان باشا حاول بعده وضع عنوان بابان على اراضي احد اولاده ليشتهروا بـ (بابان)". ويستمر الموكرياني في حديثه ويقول : بأن الامير بوداق كان غرضه من تغيير تلك التسمية هو التخلص من عمه واقربائه... لذلك ... كان يقول بأن اسم جده الاكبر بابا اردلان كان في الاصل بابا قباد، ولأننا [يقصد الامير بوداق] ننتمي الى ذلك النسب فلذلك اولى بنا ان ندعى بابان او بابا قوبادي، ولكن التعبير الاخير طويل في النطق لذا فأن بابان هي التسمية الاصح".[2] ومن المؤكد ان هاتين المعلومتين متناقضتين كل التناقض، كما انهما لاتتطابقان مع الواقع التأريخي، لأننا عرفنا في الصفحات السابقة من هذا الدراسة بأن تسمية بابان كانت موجودة قبل تلك الاحداث التي يرويها الموكرياني.

---

(1) ئاوريَكي ئاشةوة، ل23-24.

(2) المصدر نفسه، ص30-31.

بالرغم من ذلك فأن جمال بابان يقتنع بوجهة نظر الموكرياني ويتخذها سنداً لرأي له، ويفيد بأن كلمة بابان كانت مشتقة اصلاً من كلمة (باب- بابا- بابه) التي تعني الأب، وهو لقب فخري لزعيم جماعة. مثل (بابا سليمان) و(بابا علي) و (بابا طاهر) وآخرون. ولكنه تغير بمرور الوقت الى (بابان) او (ببه) . وذلك في الوقت الذي يرفض المذكور الرأي القائل بأن التسمية جاءت من كلمة (به به) الكردية التي تعني الطفل الرضيع.[1] ويعرض احد المؤرخين العراقيين رأياً مشابهاً عندما يشير الى ان كلمة (بابا) التي تعني الشيخ او الأب، اعطي كلقب تعظيم الى رؤساء تلك الاسر التي كانت تترأس تحالف عشائر المنطقة، ثم عرفت اسرهم بهذه التسمية.[2] اما (الروذبياني) فيقول بأن مصطلح (بابان) جاء من كلمة (بابا) أو (باوه) وهي لقب العديد من اولياء وزعماء الكاكائية[3] مثل (بابا طاهر العريان) و (باوه شاسوار) و (بابا يادطار).ويقصد المذكور ان يقول بأن هذا اللقب قد انتقل من (بابا اردلان) الى البابانيين.[4] ويبدو ان هذا القول قد حفز (توفيق وهبي) وقام بكتابة مقال يعيد فيها كلمة (ببه) الى (باوه)، واعتماداً على ذلك يذهب الى القول بأن امراء بابان كانوا في الاصل من شيوخ و اولياء الكاكائية.[5] ولكن تلك الآراء

---

(1) بابان في التأريخ، ص9-11.

(2) عماد عبدالسلام، الاسر الحاكمة، ص248.

(3) الكاكائية: طائفة دينية كردية تتميز بعاداتها وتقاليدها الخاصة، يقع مركزهم الرئيس في قرية هاوار الكائنة في منطقة هورامان، للمزيد من المعلومات ينظر: عباس العزاوي، الكاكائية في التاريخ.

(4) شرفخان، م. س،ص473 (هامش المترجم)، وكذلك: مذكرات مأمون بك، ص16 (هامش المترجم).

(5) مذكرات مأمون بك، ص16 (هامش المترجم).

لاتتعدى كونها تخمينات وتفسيرات نظرية تفتقر الى الادلة التأريخية او المنطقية. كما اننا نعرف بأن تعبير (بابه) تسبق اسماء بعض الاشخاص العاديين ايضاً.

وعندما نريد الدراسة في اصل وجذور تسمية (بابان) يجب علينا العودة بأذهاننا الى الوراء قدر الامكان، ولكن لنتمعن اولاً في الكلمة من حيث المصطلح: كنا قد ذكرنا سابقاً بأن لقب (البياني) قد استخدم لأحد الاشخاص في مصادر القرن الخامس عشر. ومما لاشك فيه ان لاحقة (ان) تستخدم لأسم الجمع في اللغة الكردية، اذاً فالكلمة في الاصل هي (به به/ ببه). لذلك فالتسمية قد كتبت على الاغلب بصيغة (ببه) في مصادر و وثائق القرنين السادس عشر و السابع عشر وما بعدهما.[1] بل ان الامير البابانى محمود باشا قد صرح لـ (ريج) في عام 1820 بأن (ببه) هو لقب عائلتهم.[2] صحيح ان كلمة (به به) تدل في الوقت الحاضر على الطفل الرضيع بالكردية، ولكننا غير متأكدين من ان الكلمة كانت تعطي نفس المدلول او انها استعملت للغرض نفسه في تلك الفترة التي نحن بصددها. فالمعروف ان استعمال ودلالات الكلمات والمصطلحات تتغير من فترة الى اخرى حتى في اللغة الواحدة.

اما من حيث المعنى فالامر اسهل، اذ يمكننا معرفة معنى الكلمة استناداً الى معلومات بعض المصادر: كنا قد ذكرنا سابقاً بأن (ابن تغرى بردى) فيما يتعلق بمصطلح (البياني) يقول تارةً بأنها 'طائفة من الاكراد' وفي تارةً اخرى يظن بأنهم

---

(1) ينظر على سبيل المثال: شرفخان، م. س،ص473، عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية، ص118 ومابعدها، نظمي زاده مرتضى افندي، طلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف 1971،ص296، 328.

(2) طةشتي ريض، ل102.

"قبيلة من الاكراد".[1] اذاً فالمصطلح قد استعمل في القرن الخامس عشر للدلالة على مجموعة بشرية، لأن اناساً حملوا لقب (البياني) كانوا ينتسبون الى هذه المجموعة. ولكن هذه المجموعة البشرية ليس شرطاً ان يكون عشيرة او قبيلة كما يظن بعض الكتاب والباحثين.[2] لأن (ابن تغرى بردى) يشير بصيغة الاحتمال الى انهم (قبيلة من الاكراد)، ولكنه يقول بأنهم طائفة (ويقصد مجموعة) من الاكراد، وذلك دون ذكر كلمة الاحتمال. وبناءً على ذلك يمكننا القول بأن (بيان- او: بابان) كان في الاصل اسماً لأسرة حاكمة في المنطقة وليس قبيلة. فالمؤرخ (شرفخان) لايشير بتاتاً الى ان البابانيين كانوا قبيلة او عشيرة، بل يطلق عليهم تسمية "حكام بابان". في الوقت الذي يستخدم بوضوح كلمة القبيلة عند الاشارة الى بعض الامارات الكردية الاخرى. مثل امارتي (دنبلي) و (كلهور).[3] وكذلك فأنه عندما يأتي الى ذكر حكام بابان يقول بأنهم عرفوا بـ "وفرة العشائر والقبائل".[4] مما يعني انهم حكموا ذلك العدد الوفير من القبائل والعشائر وهم لم يكونوا قبيلة من تلك القبائل. ويكتب في موضع آخر: "عشائر المنطقة البابانية" وليس عشائر او عشيرة بابان.[5] وعندما يتحدث عن الامير بوداق يضع له لقب (بيئي) ويقول بأن مدلول هذا اللقب يعبر عن لفظة (بابان).[6] بمعنى ان الامير المذكور حمل لقب (بيه) كأحد

---

(1) النجوم الزاهرة، ج16، ص328، 329.

(2) ينظر: رابيعة فةتاح، س. ث، ل332، د.زرار صديق توفيق، القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط، اربيل 2007، ص24. جدير بالذكر ان الباحث الاخير يرجح في الوقت نفسه بأن يكون بابان اسماً لبعض الاسر الحاكمة.

(3) شرفنامه، ص473، 514، 534.

(4) المصدر نفسه، ص473.

(5) ينظر:المصدر نفسه، ص482.

(6) المصدر نفسه، ص473.

افراد اسرته. وفي الحقيقة ان البابانيين كانوا يعدّون انفسهم اسرة، ففي عام 1820 افصح محمود باشا الباباني لـ (ريج) بأن "كلمة (به به/ بيه) انما هي لقب اسرتهم".[1] ويقول حمدي بك بابان ايضاً بأن: "بابان اسم عائلة كردية...بابان بمعنى آل بابا".[2] وهناك حالات اخرى مشابهة في تأريخ كردستان، مثل (دزه يي) التي كانت مجرد عائلة اقطاعية مالكة للاراضي في سهل اربيل ، لكنها عدت في بعض المصادر بمثابة قبيلة او عشيرة قائمة بذاتها.[3]

اذاً فان بابان كان اسماً لعائلة حاكمة في الاصل، لذلك عرف الكيان السياسي الذي قاموا بتشكيله بنفس الاسم. ثم اتخذت كلمة بابان بعداً سياسياً وجغرافياً ايضاً. بحيث اصبحت الكلمة عنواناً لمناطق نفوذ الامارة ايضاً. اذ تتكرر عبارات "منطقة بابان" و "البلاد البابانية" مرات عدة في الشرفنامه.[4] ونرى اشارات مماثلة في المصادر الاخرى ايضاً.[5] كما اصبح مصطلح (بابان – او: بيه) عنواناً لوحدة ادارية عندما خضعت الامارة للسلطة العثمانية المباشرة وتحولت الى سنجق تابع لأيالة شهرزور، كما رأينا سابقاً.

يبدو ان مصطلح بابان كان راسخاً كعنوان للمنطقة الى درجة لم يمحو في الاذهان حتى بعد انحلال الامارة ومرور حوالي نصف قرن على ذلك. لذلك عندما قام فقي احمد الدارشماني في اواسط القرن السابع عشر بتأسيس كيان

---

(1) طةشتي ريض، ل102.

(2) عباس العزاوي، عشائر العراق،ج2، ص99.

(3) مارك سايكس، القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية، ت:د.هوراز سوار علي، تقديم ومراجعة:د. عبدالفتاح علي يحيى، دهوك 2002، ص34، 97.

(4) شرفخان، م. س،ص477، 482.

(5) ينظر: طةشتي ريض، ل102، عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية، ص99.

سياسي في تلك المنطقة، عرف ذلك الكيان بأمارة بابان.[1] بل شملت التسمية سكان المنطقة ايضاً، فالوثائق العثمانية والمصادر العائدة لتلك الفترة تورد عبارة "اكراد بيه" او "اشقياء بيه" مراراً.[2] ويشير بعض الكتاب والباحثين الى ان لقب (بيه) او (بابان) قد جاء مع اسم فقي احمد الدارشماني ايضاً.[3] ولكننا لانرى اسمه مقروناً بهذا اللقب في اية مصادر. اما الاصح فهو ان الامير سليمان بك (سليمان بيه) الذي هو ثالث امراء الاسرة الخامسة، يعد اول امير من هذه الاسرة يحمل لقب الـ (بيه) مع اسمه.[4] بالرغم من ذلك فمن المؤكد ان هذه الاسرة قد عرفت بأسم بابان منذ بداية ظهورها في عهد فقي احمد.[5] ويبدو ان هذه التسمية قد جائتهم من اسم المنطقة او من الامارة التي قاموا بأعادة تأسيسها.

أصول الأسر البابانية الحاكمة:

من الواضح ان الامارة البابانية لم يحكم من قبل اسرة واحدة، بل شهدت الامارة خلال تأريخها الطويل نسبياً حكم خمسة أسر، اربعة منها تعاقبت على الحكم دون انقطاع، ولكن الخامسة تولت السلطة بعد فترة من انحلال الامارة. ولذلك يجب علينا ان لانتوقع انتساب الاسر الخمسة الى اصل واحد.

---

(1) احمد جودت،، م. س،ج1، ص273، حسين ناظم بيط، م. س،ص55 ومابعدها.

(2) ينظر: عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية، ص110، 120، 121، 135، نظمي زاده، م،س،ص296.

(3) عةلي سةيدؤ طةوراني، لةعةممانةوة بؤ ئاميَدي / طةشتيَك بةكوردستاني باشووردا، و: تاليب بةرزنجي، سليَماني 200،ل73، عبدربه الوائلي، م. س، ص99.

(4) عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية، ص116.

(5) ستيفن لونكريك، م. س، ص105.

اذا بدأنا بأسرة اول امير معروف من البابانيين (وهو الامير بوداق بـن الامـير ابدال)، فيجب ان ننوه في البداية بأن هذه الاسرة رغـم انهـا تعـدّ الاسـرة البابانيـة الحاكمة الاولى، ولكـن لـيس شـرطاً ان تكـون الاولى. لاننـا تأكـدنا في الـصفحات السابقة من وجود هذه الامارة خلال القرن الخامس عشر على اقل تقدير، ولـذلك لنا ان نتسائل: الم تكن هناك اسرة حاكمة اخرى قبل هذه الاسرة الـتي نحـن بـصدد الحديث عنها. ولكن نظراً لأننا لانملك اية معلومات عن اية اسر اخرى قبـل اسـرة الامير بوداق، التي يصفها شرفخان بـ: 'العريقة في الحكم'،[1] لـذلك نحـن مـضطرون الى اعتبارها اول اسرة بابانية حاكمة.

بالنظر الى عدم قدرتنا على تحديد بداية ظهور هـذه الاسـرة الحاكمـة، يمكننـا القول بأن الحصول على المعلومات حول اصول هذه الاسرة يعـد امـراً صـعباً ان لم يكن مستحيلاً. اذ لاتوجد لدينا المصادر الضرورية التي تعيننا في هذه المهمة، وذلـك بأستثناء آراء ووجهات نظر الكتاب والبـاحثين المعاصـرين، ومعظمهـا لاتـدخل في اطار الحقائق التأريخية. فالموكرياني وهو صاحب احد تلـك الآراء يقـول: ان امـراء بابـان واردلان لهـم اصـول مـشتركة وهـم ينتـسبون الى (بابـه اردلان).[2] ويؤيـد الروذبياني (مترجم كتاب الشرفنامه) رأياً من هذا القبيل.[3] ولكن هذا الرأي لايجد دعماً من المصادر، كما ان اقوال الموكرياني تتناقض مع نفسها كما رأينا سابقاً.

ووفـق رأي آخـر كـان البابـانيون في الاصـل مـن الاوليـاء والرمـوز الدينيـة الكاكائية.[4] ويشير مؤرخ آخر الى وجود عشيرة تدعى (بابوني) وتنتـسب الى قبيلـة

---

(1) شرفنامه، ص474.

(2) ئاورِێکي ئاشةوة، ل24، 31.

(3) شرفخان، م. س، ص473 (هامش المترجم).

(4) ينظر: مذكرات مأمون بك، ص16 (هامش المترجم).

(طوران) الكبيرة، وذلك في القرن الخامس عشر الميلادي. وبناءً على تشابه الكلمتين يقدم احتمال وجود صلة بين هذه العشيرة والبابانيين.[1] الا ان هذين الرأيين يفتقران الى الادلة والاسانيد ايضاً. ولكن يمكن قبول رأي مفاده ان الاسرة البابانية الحاكمة كانت تتمتع في الاساس بنفوذ ديني. ولكن ليس بناءً على مايذهب اليه (جمال بابان) حين يقول بأن لقب (بابان) جاء من كلمة (بابا- او: بابه) التي تستعمل بين الكرد للاشارة الى الشخصيات الدينية المرموقة،[2] بل اعتماداً على لقب الامير بوداق بن ابدال، اذ كان يقال له (ثير بوداق) ايضاً.[3] فمن الواضح ان كلمة (ثير) تستخدم في اللغة الكردية للشخصيات الدينية والروحانية، وذلك الى جانب كلمة (الشيخ) العربية.[4] كما ان اسم الامير المذكور لم يكن مسبوقاً بلقب (بابا)، بل جاء لقب (البيثي) بعد اسمه.[5] ويبدو ان هذا النفوذ الديني الذي كان له ابعاد اجتماعية دون شك، سبباً لكسب النفوذ والمكانة المرموقة ثم ممارسة حكم محلي في المنطقة. ذلك الحكم الذي توسع تدريجياً فيما بعد واتخذ ابعاداً سياسية، وخاصةً عندما قام (ثير بوداق) بالتوسعات المشار اليها سابقاً.

ومما يرجح هذا الرأي هو ظهور الاسرة البابانية الثانية في ظروف مشابهة لما ذكرناها، وذلك عقب انقراض الاسرة البابانية الاولى. فعندما كانت الامارة في طريقها الى الانحلال بعد موت الامير بوداق بن رستم، ظهر (ثير نظر بن بهرام)

---

(1) زرار صديق، القبائل والزعامات القبلية، ص20، 24.

(2) اصول اسماء المدن، ص36، هةروةها بروانة: بابان في التأريخ، ص10-11.

(3) ينظر: شرفخان، م. س،ص473، 475.

(4) ان تعبير (ضاك وثير) لازال يستخدم لدى الكرد للاشارة الى الاولياء والشخصيات الروحانية وخاصةً رؤساء الطرق الصوفية.

(5) ينظر: شرفخان، م. س، ص473.

وقام بتوحيد مناطق بابان تحت سيطرته، كما مرّ بنا سابقاً. صحيح ان هذا الشخص كان من كبار موظفي الامارة، او كان من كبار رجال (ثير بوداق) كما يقول (محمد امين زكي)،[1] ولكن وجود لقب الـ (ثير) قبل اسمه دليل على مكانته الدينية ايضاً، ويبدو ان هذا ماساعده للوصول الى السلطة. ثم ادت صفاته واعماله الجليلة التي يتحدث عنها (شرفخان) وخاصة (الشجاعة والكلام والعدالة) الى ضمان ولاء السكان والجيش.[2] في الوقت الذي كان بوداق بن رستم - رغم انتسابه الى الاسرة البابانية الاصلية- يفتقر الى هذه الشخصية القوية التي تمكنه من فرض نفوذه على زعماء العشائر والحكام المحليين، كما رأينا فيما مضى.

اما ظروف ظهور الاسرتين الثالثة والرابعة فكانت مختلفة. فرغم جهلنا بأصول هاتين الاسرتين، ولكن لنا ان نرجح بانهما كانتا تتمتعان بنفوذ محلي وتعدان ضمن الحاشية المقربة من الاسرة البابانية الحاكمة. وذلك لأن مؤسسي هاتين الاسرتين وهما الامير سليمان[3] و الامير ابراهيم، كان كل واحد منهما يحكم في احدى مقاطعات امارة بابان، فأستغلا الظروف التي اعقبت وفاة (ثير نظر) وقاما بتقسيم الامارة فيما بينهما. ويشير شرفخان الى ان الامير ابراهيم وابيه كانا

(1) ينظر: مشاهير الكرد وكردستان، ج2، ص149.

(2) شرفنامه، ص476-477.

(3) جدير بالذكر ان احد المؤرخين يعتقد بأن هذا الامير هو ابن الامير (ثير نظر). (بروانة: عماد عبدالسلام، الاسر الحاكمة، ص251) ولكن يظهر من الشرفنامه بأنه كان حاكماً على احدى المقاطعات البابانية فقط ولاتوجد اية اشارة حول صلة قرابته بالامير المذكور. ينظر: شرفخان، م. س، ص477.

من الذين ربّاهم ثير بوداق، وناط بكل واحد منهما خلال عهده حكم احدى المقاطعات البابانية[1]

اما مسألة نسب الاسرة الخامسة فأنها اكثر تعقيداً وصعوبة، لأن هذه الاسرة قد نشأت من اُصل مغمور" في بشدر وفق تعبير (لونكريك).[2] وكذلك لأنها معروفة على نطاق اوسع ، لذلك ادلى عدد كبير من الكتاب والمؤرخين بدلوهم وقدموا آراء متباينة حول ظهورها ونشأتها.

يعتقد بعض المؤرخين بوجود نوع من صلة النسب بين مؤسس الاسرة البابانية الخامسة (فقي احمد) والاسر البابانية السابقة. فالموكرياني يشير بقناعة تامة الى ان الوذكور هو من نسل الاسرة الاولى.[3] ويذهب (محمد امين زكي) الى ان فقي احمد هو ابن او حفيد خدر بك الذي يعدّ آخر امراء الاسرة الرابعة، او بوداق بك بن امير بك الموكري الذي انيط به حكم الامارة البابانية لبعض الوقت.[4]

وذلك في الوقت الذي لم يدّعي امراء الاسرة الخامسة بوجود اية صلة بين اسرتهم والاسر البابانية الحاكمة السابقة. بل ان هؤلاء الامراء لم يكونوا على علم بوجود هذه الاسر المذكورة اصلاً، كما لم يكونوا على الما بتأريخ اسرتهم ايضاً.

---

(1) المصدر نفسه، ص477.

(2) دائرة المعارف الاسلامية، مج5، ص531.

(3) ثاوريَكي ثاشةوة، ل84.

(4) تاريخ السليمانية، ص53-54. جدير بالذكر ان مؤرخاً آخر يظن بأن نسب فقي احمد يرجع الى امير بك الموكري، (ينظر: عماد عبدالسلام، الاسر الحاكمة، ص 253، 254). وذلك في الوقت الذي يشير بعض المصادر الاخرى الى ان اسرة امراء موكريان يرجعون الى البابانيين من حيث النسب. ينظر: شرفخان، م. س،ص485، عبدالقادر كوري رؤستةمي بابان، س. ث، ل88، 89، جمال بابان، بابان في التأريخ، ص15.

كما يظهر من المحاورة التي دارت بين (ريج) والامير محمود باشا البابـاني.[1] وفي الحقيقة لاتوجد هناك ادلة او مصادر تأريخية تثبت وجود العلاقة بين الجانبين.

وتقدم بعض المصادر وجهات نظر غريبة حول هذا الموضوع، مثل الرحالة الالماني (نيبور) الذي زار المنطقة في عام 1766، ففي خضم حديثه عن قلاجوالان يقول: "وهي اوسع منطقة في بلاد كردستان الخاضعة لنفوذ السلطان وتحكمها اسرة صوران وهي احد افخاذ قبيلة بوبة".[2] ومن الواضح ان هذه المعلومة قد اختلطت على الرحالة المذكور فسجّلها بالخطأ. لأن الاسرة السورانية الحاكمة لم تكن جزءاً من بابان بأي شكل من الاشكال.

وتجلب كلمة (فقي) في اسم فقي احمد نظر بعض المؤرخين العراقيين فيتخذونها دليلاً لكي يقولوا بأن الامير المذكور كان يتمتع بنفوذ ديني في الاساس، وهذا ماساعده في تأسيس امارة بابان. اذ انهم اخذوا كلمة (فقي) بمعناها العربي (اي: الفقيه) وهو العالم الديني العلاّمة والمتبحر في الشريعة.[3] ولكن الكلمة المذكورة لم تكن لها هذه الدلالة في اللغة الكردية، اذ كانت تستعمل لطلاب المدارس الدينية الذين لم ينالوا بعد صفة (الملاّ).[4] وكان يطلق في بعض الاحيان على شخص نال قسطاً قليلاً من التعليم الديني تمييزاً له عن غير المتعلمين. وقد

---

(1) ينظر نص المحاورة في: طةشتي ريض، ل306.

(2) كارستن نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ت:د.محمود امين حسين،مراجعة وتعليق: سالم الآلوسي، بغداد 1965، ص74.

(3) عباس العزاوي، شهرزور، ص185، عبدربه الوائلي، م. س، ص99.

(4) حول ذلك ينظر: حمة كةريم هةورامي، ميَذووي ثةروةردةو خويَندن لةحوجرةكاني كوردستاندا،ب1،ض1،هةوليَر 2008،ل304.

يقال لشخص ملتزم بأداء الفروض والعبادات بدرجة اكبر قياساً الى الحالات السائدة.

وبموجب وجهة نظر اخرى كان فقي احمد نبيلاً اقطاعياً في بشدر،[1] او زعيماً قبلياً في هذه المنطقة.[2] وفي الحقيقة ان هذا الرأي هو الارجح بين الآراء الاخرى التي طرحت،ولذلك نال تأييد بعض المؤرخين الآخرين ايضاً.[3] لأننا علمنا سابقاً بأن الامارة البابانية قد انحلّت في نهايات القرن السادس عشر و تجزأت مناطق نفوذها بين زعماء العشائر وحكام المقاطعات، فتولى كل واحد منهم الحكم في منطقته. ولذلك من المرجح جداً ان تكون اسرة فقي احمد قد انحدرت من احد الزعماء او الحكام المشار اليهم. خاصةً وان احد المصادر القريبة من الاحداث زمنياً يشير الى ان اجداد فقي احمد كانوا من حاشية حكام بابان السابقين.[4] كما تظهر الروايات الشعبية التي كانت شائعة في اقليم بشدر بأن والد فقي احمد وكذلك عمه كانا زعيمين في منطقتين منفصلتين من مناطق بشدر.[5] وما صرح به الامير الباباني محمود باشا حول نسب اسرته يدعم هذا الرأي ايضاً،

---

(1) سعد بشيراسكندر، م. س، ص125.

(2) جاء في مصدر عثماني يحمل عنوان (سجل عثماني) بأن (سليمان بيه) كان امير قبيلة وتوالى قبله كثيرون. (نقلاً عن: عباس العزاوي، شهرزور، ص184) لذلك يمكن القول بان جده (فقي احمد) كان واحداً من اولئك الزعماء ايضاً.

(3) عماد عبدالسلام، الاسر الحاكمة، ص 253، عبدربه الوائلي، م. س، ص 98.جدير بالذكر ان الباحث قد عرض رأياً مماثلاً لهذا الرأي في بعض كتاباته السابقة.يراجع: سعدي عثمان، امارة بابان، ص13، سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية، ص155.

(4) محةمةد ئيبراهيم ئةردةلاني، دةيلى شةرةفنامة، لة كتيَبى: دوو دةيلى شةرةفنامةى بدليسيى، ئامادةكردنى: ئةنوةر سولتانى، سليَمانى 2005، ل99.

(5) للوقوف على تفاصيل تلك الرواية ينظر: حسين ناظم بيط، م. س،ص55-59، وكذلك: محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ص58-59.

ففي خضم حديثه لـ (ريج) اعلن المذكور بأنه: "من نسل اسرة عريقة وينتمي الى قبيلة كريمة...ان اسم قبيلته في الاصل هو (كرمانج)، اما كلمة بيه فهو لقب اسرتهم، وتولّى افراد هذه الاسرة زعامة هذه القبيلة واحداً تلو الآخر.. وقد تكونت قبيلتهم اصلاً في (بشدر)، في الجبال الشمالية القريبة من (سي كةنة) الواقعة على حدود ايران".[1] كما حصل (ريج) على معلومات تفيد بأن (دارشمانه) كانت مركز البابانيين الرئيس، بل "أن سكان القرية الحاليين [في عام 1820] جميعهم من هذه الاسرة، او بمعنى آخر ان الاسرة البابانية تنتمي اليهم، وهم يفتخرون بذلك" حسب قوله.[2] مما لاشك فيه ان دارشمانه وكذلك جميع اقليم بشدر كانت تعد من مناطق بابان الاساسية قبل اضمحلال الاسرة الرابعة وانحلال الامارة.

ولكن هناك مسألة جديرة بالنقاش وهي تسمية تلك القبيلة التي يذكرها محمود باشا الباباني، فمن المعروف ان (كرمانج) ليس اسماً لقبيلة، بل انه فرع من الفروع الاربعة الكبيرة التي تتشكل منها الامة الكردية.[3] لذلك يمكن القول بأن الامير المذكور كان يقصد القول بأنهم من الـ(كرمانج) اصلاً. اما من الناحية القبلية فمن الواضح انهم كانوا ينتمون الى قبائل بشدر،[4] ويرجح انهم كانوا من عشيرة (نورالديني) التي تشكل احد فروع تلك القبائل.[5]

---

(1) طةشتي ريض، ل102.

(2) المصدر نفسه، ص298.

(3) محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ص52(هامش المترجم)، وحول الفروع الاربعة ينظر: شرفخان، م. س،ص50.

(4) عباس العزاوي، عشائر العراق،ج2، ص99.

(5) محمد امين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ت: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، القاهرة 1948،ص417، جمال بابان، بابان في التأريخ، ص34، نةوشيَروان مستةفا، س. ث، ل45.

الخــاتمــة

تفيد اشارة احد المصادر بوجود امارة كردية بأسم (بابان) في القرن الرابع عشر الميلادي، ولكننا لانستطيع التأكد من ذلك، لأن المصادر والادلة التأريخية المتوفرة لاتسعفنا الا في اثبات وجود هذه الامارة خلال القرن الخامس عشر. ولكن يبدو انها لم تمارس دوراً يذكر في حوادث المنطقة وذلك لأنها كانت امارة صغيرة في منطقة بشدر حتى بدايات القرن التالي، حيث بادرالامير(بوداق بن ابدال) الى توسيع حدودها، فضمت مناطق (شنو) و (لاهيجان) بالاضافة الى قبائل (موكريان) و (بانه) شرقاً، ووصلت الى (شهربازار/ شاربازێر) و (كركوك) جنوباً كما سيطرت على بعض مناطق امارة سوران. وكانت لبابان ثقلها السياسي كما احتفظت بأستقلالها خلال تلك الفترة. وبعد انقراض الاسرة الحاكمة الاولى، تمكن (ثير نظر بن بهرام) من انقاذ الامارة من الانحلال وقام بتطويرها. ولكن بابان قد خسرت وحدتها في عهد الاسرتين الثالثة والرابعة وتعرضت للنزاعات الداخلية والتدخلات الخارجية. وحينما اضطر البابانيون ازاء الضغوطات الصفوية الى قبول تبعية الدولة العثمانية، ساهم العثمانيون في اذكاء نار الخلافات بين امراء بابان. فكانت النتيجة خضوع جزء من الامارة الى الادارة العثمانية المباشرة منذ اواسط ذلك القرن. ولم يشهد ذلك الجزء الذي اصبح يعرف بـ (سنجق/ اي: لواء) بابان هدوءاً بسبب معارضة السكان. اما الجزء الآخر الذي كان يشمل منطقة (مرطة) فقد بقيت للامير الباباني الاخير (خضر بك بن الامير حسين). ورغم ان حكم هذا الامير كان يعدّ استمراراً لأمارة بابان ولكن المنطقة التي كان يحكمها عرفت رسمياً بسنجق مرطة. وحينما توفي الامير المذكور في نهايات القرن (16) تفككت الامارة بأكملها.وبقيت على هذه الحالة حتى تمكن (فقي احمد الدارشماني) من اعادة تاسيس الامارة في منطقة بشدر وذلك في اواسط القرن التالي.

ان مصطلح (بابان) قد اشتق من كلمة (بيه/ به بـه) واضيفت اليها لاحقة (ان) التي تفيد الجمع، لتعبر عن اسم عائلة حاكمة، ثم اسم كيان سياسي وبعدها اصبح اسماً للمنطقة وعنواناً لاهلها. كانت العائلة البابانية الاولى تتمتع في الاصل بنفوذ ديني- اجتماعي، الامر الذي ساعدها على ممارسة السلطة في المنطقة. وكانت العائلة الثانية لها نفوذ مماثل، ولكن الاسرتين الثالثة والرابعة فكانتا من حاشية الاسرتين السابقتين. اما (فقي احمد) فينتسب الى احدى الاسر التي تمتعت بنفوذ اقطاعي – عشائري في المنطقة، في اعقاب انحلال الامارة في نهايات القرن السادس عشر. وكانت قرية (دارشمانه) تشكل مركز تلك المقاطعة التي ظهرت فيها اسرة فقي احمد.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: الوثائق المنشورة:-

-Ayni Ali Efendi, Osmanli Imparatorlugunda Eyalet Taksimati, Toprak Dagitmi ve Bunlarin Mali Gucleri, Ceviren: Hadiye Tuncer, Ankara 1964.

-Sahillioglu, Halil: Osmanli Doneminde Irak'in Idari Taksimati, Ceviren: Mustafa Ozturk, Belleten, Ankara, cilt. Iiv, sayi:211,1990,s.1237.

- د. عماد عبدالسلام رؤوف، دراسات وثائقية في تأريخ الكرد الحديث وحضارتهم، منشورات وزارة الثقافة،اربيل 2008.

ثانياً: الكتب :-

أ- باللغة التركية:

- احمد جودت، تأريخ جودت/ از ترتيب جديد، ج1، مطبعة عثمانية، استانبول 1301.

ب- باللغة العربية:

- جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: د. جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت،ج16، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972.
- جمال بابان، أصول اسمـــاء المـــدن و المواقع العراقية، ط2، بغداد 1986.
- ـــــــ، بابان في التأريخ ومشاهير البابانيين، بغداد 1993.
- حسين ناظم بيط، تاريخ الامارة البابانية،ت: شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل 2001.
- د.زرار صديق توفيق، القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط، اربيل 2007.

- ــــــــــــــــ، كردستان في القرن الثامن الهجري/ دراسة في تأريخها السياسي والاقتصادي، مؤسسة موكرياني، اربيل2001.
- ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت: جعفر الخياط، ط6، بغداد 1985.
- د. سعد بشير اسكندر، قيام النظام الاماراتي في كردستان وسقوطه/ مابين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، ط2، السليمانية 2008.
- سعدي عثمان حسين ، امارة بابان في النصف الاول من القرن الثامن عشر، اربيل 2000.
- ــــــــــــــــ،كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية والادارية والاقتصادية مع ايالتي بغداد والموصل، اربيل 2006.
- ــــــــــــــــ، كوردستان والامبراطورية العثمانية/ دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان (1514-1851)، مؤسسة موكرياني- اربيل، مطبعة خاني، دهوك 2008.
- شرفخان البدليسي، شرفنامة، ت:محمد جميل الملا أحمد الروذبياني،ط2، مؤسسة موكرياني، اربيل2001.
- شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ، (د.ت)، ج6.
- عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، مج4، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1949.
- ــــــــــــــــ، شهرزور - السليمانية/ اللواء والمدينة، تحقيق: محمد علي القرةداغي، ط1، بغداد 2000.

- ـــــــــــ، عشائر العراق، ج2 الكردية، مطبعة المعارف، بغداد 1947.
- عبدربه ابراهيم الوائلي، تاريخ الامارة البابانية/ 1784-1851،ط1، دار الزمان، دمشق- سوريا 2008.
- عماد احمد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي (من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني)، مطابع التعليم العالي، جامعة القادسية 1990.
- د.عماد عبدالسلام رؤوف، الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد 1992.
- ـــــــــــ، السلطان حسين الولي/ امير بهدينان من 940 الى 981ه/ 1533-1573م، مطبعة (طؤظار) هةولێر 2009.
- كارستن نيبور، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ت:د.محمود امين حسين،مراجعة وتعليق: سالم الآلوسي، بغداد 1965.
- كتاب الحوادث لمؤلف من القرن الثامن الهجري، تحقيق: د. بشار عواد معروف و د.عماد عبدالسلام رؤوف، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1997.
- مارك سايكس، القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية، ت:د.هوراز سوار علي، تقديم ومراجعة:د. عبدالفتاح علي يحيى، دهوك 2002.
- محمد امين زكي ،الآثار الكاملة للمؤرخ الكردي محمد امين زكي/ مشاهير الكرد وكردستان، اعداد: رفيق صالح، ج2،(بنكةي ذين) السليمانية 2005.
- ـــــــــــ، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ت: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، القاهرة 1948.
- ـــــــــــ، تاريخ السليمانية وانحائها، ت: الملا جميل الروزبياني، بغداد 1951.

- مذكرات مأمون بك بن بيكة بك، ت: محمد جميل الروذ بياني وشكور مسته فا، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1980.
- نظمي زادة مرتضى افندي، طلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف 1971.

ج- باللغة الكردية:

- تؤفيق قةفتان، ميَذووى حوكمدارانى بابان لة قةلأضوالان تا دروستكردنى شارى سولةيمانى 1080-1199ك/ 1669-1784ز، ضاثخانةى سلمان الاعظمى، بةغدا 1969.
- ضمكيَكى ميَذووى هةورامان و مةريوان/ ضةند لاثةرِةيةكة لةكتيَبي (نور الانوار)ي (سيد عبدالصمدي تووداري) كة لة1099ي هيجرةتدا نووسيوية، محمد مةلا كةريم وةريطيَراوةتة سةر كوردي، ضاثخانةي (سلمان الاعظمي)، بةغدا 1970.
- حسين حزنى موكريانى،ئاورِيَكى ثاشةوة، ب1(حوكمدارانى بنةمالَةى ئةردةلان و بابان لة شارةزوردا)، رةواندوز 1931.
- حمة كةريم هةورامي، ميَذووي ئةروةردةو خويَندن لةحوجرةكاني كوردستاندا،ب1،ض1،هةوليَر 2008.
- رابيعة فةتاح شيَخ محةمةد، كوردستان لةسةدةي ثازدةي زاينييدا، ضاثكراوةكاني وةزارةتي رؤشنبيري، هةوليَر 2005.
- راجر سيَيظري، ئيَراني سةردةمي سةفةوي، و: سةلاحةددين ئاشتي، بنكةي ذين، سليَماني 2006.
- عبدالقادر كوري رِؤستةمي بابان، رِةوشي كوردان (ميَذووي كوردستان)، و: كةريمي حيسامي، ض1،سويد 1991.

- عةلي سةيدؤ طةوراني، لةعةممانةوة بؤ ئاميَدي / طةشتيَك بةكوردستاني باشووردا، و: تاليب بةرزنجي، سليَماني 200.
- كلوديوس جيمس ريض، طةشتي ريض بؤ كوردستان 1820، و: محةمةد حةمة باقي، ض1، تةوريز 1992.
- ماهشةرةفخانم مةستوورةى كوردستانى: ميَذووى ئةردةلان،و:د. حسن جاف و شكور مستةفا، ض1،بةغدا 1989.
- محمد جميل رؤذبةيانى، فةرمانرةوايى موكريان، دةزطاى رؤشنبيرى و بلاَوكردنةوةى كوردى، بةغدا 1992.
- محةمةد ئيبراهيم ئةردةلاني، ذةيلى شةرةفنامة، لة كتيَبى: دوو ذةيلى شةرةفنامةى بدليسيى، ئامادةكردنى: ئةنوةر سولتانى، سليَمانى 2005.
- نةوشيَروان مستةفا ئةمين، ميرايةتي بابان لةنيَوان بةرداشي رؤم و عةجةمدا، ض2، سليَمانى 1998.

ثالثاً:رسالة جامعية :

- خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1638-1750م/ 1048-1164هـ، رسالة ماجستير، كلية الاداب جامعة بغداد/ 1975.

رابعاً: دائرة المعارف :

- دائرة المعارف الاسلامية،(الترجمة العربية) اعداد وتحرير: ابراهيم زكي وأحمد الشنتناوى و د. عبدالحميد يونس، القاهرة(د.ت)، مج5 (مادة بابان- لونكريك).

(الدراسة الثالثة)

سمات كردستان السياسية في المؤلفات التأريخية العراقية
خلال العهد العثماني

(الدراسة الثالثة)

سمات كردستان السياسية في المؤلفات التأريخية العراقية خلال العهد العثماني(*)

المقدمـــة:

ان الانسان سواءً كان فرداً او جماعةً ليس شيئاً قائماً بذاته، بل انه يعيش في محيط واسع يتفاعل معه على كل المستويات. لذلك فمن الضروري ان تتعرف المجتمعات على طرق تفكير ووجهات نظر بعضها البعض. كما انه من المهم لنا ان نطلع على الصورة التي تشكلها مجتمعاتنا في مخيلة المجتمعات الاخرى. وتلك هي غايتنا من هذا الدراسة، اذ نحاول الوقوف على سمات وملامح كردستان السياسية وفق المؤلفات التأريخية العراقية خلال العهد العثماني. وذلك سعياً وراء معرفة انعكاس الشخصية السياسية الكردية في المجتمع العراقي العربي والعثماني.

وفي سبيل انجاز هذا الدراسة رجعنا الى اهم المؤلفات التأريخية التي دونت خلال العهد العثماني في العراق، بغضّ النظر عن اللغة التي كتبت بها.حيث اننا لاندعي الوقوف على جميع تلك المؤلفات، لان بعضها لاتتضمن أخباراً عن الكرد وكردستان. ولم تصل ايدينا الى البعض الآخر بسبب كونها مفقودة اصلاً او انها لاتزال مخطوطة نادرة.كما تجنبنا الاعتماد على المؤلفات التي سطرها الكرد بأنفسهم، مثل كتاب (عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، للعلامة الكردي ابراهيم فصيح الحيدري) لانها لاتخدم الهدف الاصلي من هذا الدراسة.

(*) تم قبول هذه الدراسة للنشر في (مجلة جامعة كركوك) بموجب الكتاب المرقم (85م/ج) في تاريخ (18/3/2011).

وليس من الضروري ان نتناول اهم المصادر المعتمدة بالعرض والتحليل هنا لاننا سنقوم بذلك في التمهيد.

واخيراً لابد من التنويه الى ان مصطلح (المؤلفات التأريخية) يقصد به تلك الكتب او المدونات التي كان الدافع التأريخي جلياً من ورائها. وهي قد تكون على شكل كتاب تأريخي صرف او كتب تراجم او ملاحظات سجلها احد المسافرين اثناء رحلته. بل يمكن ان تكون مجرد وريقات دونت لتؤرخ لحادثة ما. وما اعتمدناه في هذا الدراسة لاتخرج من دائرة تلك الكتب والمدونات، لذلك اخترنا تعبير (المؤلفات التأريخية) بدلاً من مصطلح (المصادر التأريخية) التي تشمل في معناه العام كل الاشياء او الادوات التي يستفاد منها في مجال كتابة التأريخ. والتي تعني بالضرورة الوثائق والكتب والصحف والمخلفات المادية وما الى ذلك.

التمهيد

شهد علم التأريخ على العموم ركوداً نسبياً في العراق خلال الحكم العثماني (1534-1917).[1] وذلك لوقوع البلاد في قبضة الاجانب وسيادة الفوضى وعدم الاستقرار خلال اغلب فترات ذلك العهد جراء سياسة الاهمال والتعسف وانتشار حركات التمرد والحملات القمعية التي كانت تشنها السلطات.[2] بالرغم من ذلك فان هذا العهد لم يخلو من علماء طرقوا ابواب كتابة التأريخ في اطار تناول علوم العصر السائدة الاخرى. كالشيخ عثمان بن سند الوائلي البصري (1766-1827) الذي كتب في مجال الحديث والعقائد والفقه والنحو والصرف والبلاغة والعروض والادب والتصوف والحساب ثم التأريخ والتراجم.[3] او شخصيات كلفت من قبل المسؤولين او ذويهم بكتابة تراجم حياتهم وتدوين احداث عهدهم، كالشيخ عبدالرحمن السويدي (1721-1786) الذي كتب عن عهد الواليين حسن باشا (1704-1723) و ابنه احمد باشا (1723-1747) بتشويق ورعاية خديجة خانم بنت صفية خانم بنت الوالي حسن باشا.[4] وهنالك ايضاً من كرس جهوده العلمية

---

(1) حول التدوين التأريخي في العراق خلال تلك الفترة ينظر: د.عماد عبدالسلام رؤوف، التأريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، ط2، دار الوراق للنشر، لندن 2009.

(2) للوقوف على تاريخ العراق خلال تلك الحقبة يراجع: ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ت:جعفر الخياط، ط6، بغداد 1985.

(3) عثمان بن سند الوائلي البصري،مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود/ تأريخ العراق من سنة 1188 الى سنة 1242هـ(1774-1826م)، تحقيق: د. عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل 1991،ص24-30.

(4) عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق: د.عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة المجمع العلمي،بغداد 2003، ص222.

لتدوين التأريخ بشكل رئيسي، فبرز مؤرخاً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، امثال سليمان فائق بك (ت: 1869).[1]

ان المؤلفات التأريخية العراقية المدونة في العهد العثماني والتي اعتمدنا عليها في هذا الدراسة[2] تصنف من حيث طبيعتها واسلوبها الى مايلي:

أ. التواريخ الصرفة:

وهي معظمها تتبع طريقة الحوليات (كرونولوجيا) فتدون الحوادث حسب السنين، ولكنها تختلف من حيث المواضيع. فبعضها او معظمها عبارة عن تواريخ مدن او ولايات معينة وخاصة ولاية بغداد التي نالت الحظ الاوفر من تلك المؤلفات، وذلك لاهميتها التأريخية والادارية. ومن اهم تلك التواريخ:

1. **(كلشن خلفا) لمؤلفه (نظمي زاده مرتضى افندي البغدادي/ ت:1723)** وهو كتاب وضع اصلاً بالتركية ليتناول تاريخ بغداد منذ بداية الخلافة العباسية، لذلك وضع له العنوان المذكور والذي يعني (روضة الخلفاء). ولكن المؤلف تطرق من خلال كتابه الى الحوادث المهمة في تاريخ المنطقة عموماً حتى سنة 1717.وتكتسب معلوماته منذ سنة 1628 اهمية واضحة لانه عاصر تلك الفترة. الا انه يمثل وجهة النظر العثمانية في سردة للحوادث. لانه يعتبر من الاتراك العثمانيين المقيمين في بغداد.[3]

---

(1) سليمان فائق بك،تأريخ المماليك ((الكوله مند)) في بغداد، ت: محمد نجيب أرمنازى، مطبعة المعارف، بغداد 1961، ص ب.

(2) لقد اعتمدنا بشكل خاص على تلك المؤلفات التي تطرق مؤلفوها الى الكرد وكردستان وخاصة لنواحيها السياسية.

(3) نظمي زاده مرتضى افندي، كلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف 1971،ص5-9.

2. **(دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء)**، للشيخ رسول حاوي الكركوكلي (ت: 1826). يعتبر هذا الكتاب مكملاً لـ(كلشن خلفا)، اذ يختص بتأريخ ايالة بغداد والمناطق التابعة لها خلال سنوات (1719-1821). وقد وضع اصلاً باللغة التركية العثمانية بأمر من داود باشا والي بغداد (1816-1831). ولذلك فان المؤلف يمثل وجهة نظر ايالة بغداد الرسمية، ونجده منحازاً الى الدولة العثمانية بشكل واضح. بالرغم من ذلك فان هذا الكتاب يعد مصدراً مهماً لتأريخ تلك الفترة. حيث ان الكركوكلي كان معاصراً لمعظم الاحداث التي يرويها، كما انه كان مطلعاً على الوثائق الرسمية بحكم عمله في سراي بغداد.[1]

3. **(غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام)**، للمؤرخ الموصلي ياسين بن خيرالله الخطيب العمري (1744-1816). كما يفهم من العنوان فان هذا الكتاب قد كرس لتأريخ بغداد. ولكنه لم يقتصر على بغداد والمناطق التابعة لها، بل تعداها الى ذكر معظم المناطق والمدن العراقية. وتطرق الى جغرافيتها ومنتجاتها وعلمائها وادبائها ومشاهيرها اضافة الى حوادثها منذ السيطرة العثمانية على بغداد عام 1534 وحتى عام 1220هـ/ 1805م.[2] ولكن يؤخذ على المؤرخ في جميع مؤلفاته تزلفه للاسرة الجليلية الحاكمة في الموصل، لانه كان يعيش في كنفهم وينال رعايتهم. مما ادى به في كثير من

---

(1) رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت(د.ت)،ص5-11، وانظر ايضاً: عماد عبدالسلام، التأريخ والمؤرخون...، ص43.

(2) ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى، غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات البصري، مطبعة دار البصري، بغداد 1968،ص4.

الاحيان الى مجانبة الحقيقة والتحامل على خصومهم سواءً كانوا شخصيات او جماعات وخاصة البادينانيين وامرائهم.[1] بل تعدى ذلك الى الهجوم على الكرد بأجمعهم و وصفهم بصفات غير مقبولة.[2]

4. **(منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء)**، للمؤرخ ياسين العمري. تم تأليف هذا الكتاب بعد (غاية المرام) ويبحث في تأريخ الموصل منذ بداية تأسيسها الى سنة 1221هـ/ 1806م. ولكن المعلومات التي يذكرها عن القرون الثلاثة الاخيرة تتميز بشيء من التفصيل والاهمية. واضافة الى الحوادث السياسية يذكر المؤلف معلومات مهمة عن القرى والبلدات التابعة للموصل. كما يؤرخ للكوارث الطبيعية والنكبات والفتن التي حلت بالمنطقة عموماً والموصل خاصة، وهي معلومات مفيدة جداً لان المؤرخ كان شاهد عيان للعديد منها.[3]

5. **تأريخ بغداد / او:** مرآة الزوراء في اخبار الوزراء، للمؤرخ سليمان فائق بك (ت:1896) يحتوي هذا الكتاب الذي يعد ذيلاً لكتاب (دوحة الوزراء، للكركوكلي)، معلومات متنوعة عن ايالة بغداد والمناطق التابعة لها ادارياً بضمنها مناطق كردستان الجنوبية حتى سنة 1860م، وهي سنة تأليف

---

(1) ينظر على سبيل المثال: م. ن، ص97-99.

(2) ينظر: ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى،غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مطبعة أم الربيعين، الموصل 1940،ص81. وللتفصيل في ذلك يراجع: صديق الدملوجي،امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية، ط2،مراجعة وتقديم: د.عبدالفتاح علي يحيى،اربيل 1999، ص19-27.

(3) ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى، منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق ونشر: سعيد الديوةجي، مطبعة الهدف، الموصل 1955،ص4-6.

الكتاب. وتتميز آراء مؤلف هذا الكتاب بالموضوعية والاخبار التي يرويها بالدقة الى حد كبير لاعتماده على السجلات الرسمية و روايات المعاصرين وكذلك مشاهداته الشخصية. حيث كان من مماليك بغداد ويشغل وظائف مهمة فيها اثناء حكمهم لايالة بغداد.(1)

6. **(تأريخ حوادث بغداد والبصرة)**، للشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي. هذا المؤلف يتناول تأريخ الايالتين خلال سنوات 1772-1778م، وهي فترة مهمة من تأريخ العراق ومليئة بالمتغيرات. ولكن الكتاب اشبه بكتب "المذكرات الشخصية التي يؤرخ فيها اصحابها لاحداث عصرهم، من خلال تأريخهم لفترة معينة من فترات حياتهم" حسب قول محقق الكتاب (د.عماد عبدالسلام رؤوف). لذلك يعد السويدي شاهد عيان لمعظم الاحداث التي يرويها. ومما يزيد من اهميته انه يمثل وجهة نظر الزعامة البغدادية المحلية ولايمثل وجهة النظر العثمانية الرسمية.(2)

وضمن الكتب التأريخية المؤلفة في هذا العهد ثمة كتب وضعت على اساس الموضوع. ويكاد هذا الاسلوب ينحصر في المؤرخ سليمان فائق بك الذي ألفّ عدة كتب في هذا المجال. ولكن مايهمنا في هذا الدراسة كتابين وهما:

---

(1) سليمان فائق بك،تاريخ بغداد،ت:موسى كاظم نورس،مطبعة المعارف،بغداد1962، ص3-7، يجدر بالذكر ان المؤرخ (عماد عبدالسلام رؤوف) يصرح بأن المؤرخ المذكور "خبير بأساليب الكتابة التأريخية". للمزيد من المعلومات حول سيرته وآثاره التأريخية يراجع: التأريخ والمؤرخون العراقيون...، ص315-319.

(2) عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي: تأريخ حوداث بغداد والبصرة من 1186 الى 1192هـ/ 1772-1778م، تحقيق: د.عماد عبدالسلام رؤوف، دار الحرية للطباعة، بغداد 1978، مقدمة المحقق ص7 ومابعدها.

1- تأريخ المماليك الكوله مند في بغداد، وهو كتيب صغير وضع بالتركية يؤرخ لفترة حكم المماليك في ايالة بغداد (1749-1831). وجاءت اخبار السنوات الاخيرة اكثر تفصيلاً وخاصة عهد الوالي داود باشا (1816-1831) لان المؤلف عاصر احداث ذلك العهد.[1]

2- حروب الايرانيين في العراق، يبحث هذا المصنف الذي كان في الاصل على شكل رسالة بالتركية، في عهد الواليين حسن باشا وابنه احمد باشا وخاصةً حملاتهما في ايران اثناء الاحتلال الافغاني لها في العقد الثالث من القرن الثامن عشر. ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة عن احداث تلك الحملات لما يتضمنه من تفصيلات دقيقة ومعلومات وافية عن الموضوع. وقد اطلعنا عليه بواسطة (عبدالجبار العمر) الذي نشر مقالاً في مجلة (آفاق عربية) تضمن نص الترجمة العربية للكتاب والتي قام بها (محمد خلوصي الناصري).[2]

وهناك بعض المؤلفات التأريخية التي يمكن ان تسمى بتواريخ عامة لانها تتناول حوادث المنطقة بأسرها قدر الامكان. وأخص بالذكر منها كتابي المؤرخ ياسين العمري المعنونين (الآثار الجلية في الحوادث الارضية) و (غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر). ففي الكتاب الاول اخذ من اول السنة الهجرية حتى سنة تأليف الكتاب (1794) متناولاً تأريخ المنطقة بضمنها العراق والبلدان المجاورة وخاصة الدولتين العثمانية والايرانية. ولم تقتصر اخباره عن الناحية

(1) ينظر: سليمان فائق بك،تأريخ المماليك ((الكوله مند)) في بغداد.

(2) سليمان فائق بك، حروب الايرانيين في العراق، تعريب: محمد خلوصي بن محمد سعيد الناصري التكريتي، نشر من قبل (عبدالجبار العمر) في مجلة (آفاق عربية) ع (3-4) سنة 1980.

السياسية والحملات العسكرية، بل سجل معظم الكوارث الطبيعية والحوادث الاقتصادية كالاوبئة والزلازل وحوادث القحط والغلاء. وذلك مايزيد من اهمية الكتاب وخاصة ان المؤرخ كان شاهد عيان لبعض تلك الحوادث.[1] اما (غرائب الاثر) فانه على نفس شاكلة الكتاب السابق وليس ادنى اهمية منه. ويبدو انه اراد به تكملة معلومات ذلك الكتاب، اذ يتناول حوادث سنوات 1200-1225هـ ولكنه مهد لها بموجز عن اهم الكوارث الطبيعية منذ عام 240هـ (854-855م).[2]

ب- السير والتراجم:

ان هذه المؤلفات اما تضم سير الحكام واحداث عهدهم او انها عبارة عن تراجم العلماء والادباء والشعراء. فيما يتعلق بالنوع الاول اعتمدنا على مؤلفين وهما:

1- (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) للشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السويدي الذي ذكرناه في بداية هذا الموضوع واوضحنا بأنه يؤرخ لعهد الواليين حسن باشا وابنه احمد باشا في ايالة بغداد. ويعد هذا الكتاب مصدراً مهماً لتأريخ العراق في النصف الاول من القرن الثامن عشر. لان ايالة بغداد بدأت في ذلك العهد بممارسة النفوذ على معظم أرجاء العراق الحالي وبعض مناطق ايران ايضاً. ويدون العديد من الاحداث بلغة شاهد عيان وخاصةً تلك التي تعود الى عهد الوالي احمد باشا، لانه كان معاصراً لها.

---

(1) ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى، زبدة الاثار الجلية فى الحوادث الارضية، انتخب زبدته: د. داود الجلبي، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الاداب، النجف 1974،ص7-10.

(2) ينظر:ياسين العمرى،غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر.

ولكن يلاحظ عليه انحيازه للشخصيتين المذكورتين ومدحه لهم، وذلك امر طبيعي لان الغرض من تأليف الكتاب كان تمجيدهما.[1]

2- (مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود) للشيخ عثمان بن سند الوائلي البصري، المذكور في بداية هذا الموضوع ايضاً. رغم ان المؤرخ قد وعد الوالي داود بتأليف "كتاب يتضمن ذكر اوصافه السنية" على حد قوله، الا ان الكتاب كان في مضمونه "سيرة الشعب نفسه، ببدوه وحضره، ومثقفيه وعامته" كما يقول محقق الكتاب. فحفل بمواد خام مهمة عن تأريخ العراق وبعض الاقطار المجاورة خلال فترة شهدت احداثاً عديدة وهي مابين سنتي (1744-1826). وخاصةً انه كان معاصراً لمعظم تلك الاحداث واطلع على المصادر الاولية التي وفرها له داود باشا بنفسه.[2] ولكن يؤخذ عليه تطرفه في الالتزام بالسجع والتعابير اللفظية الرنانه وكذلك انحيازه الى السلطات الرسمية العثمانية، وخاصةً سلطات ايالة بغداد في عهد داود باشا. وهذا امر بديهي نظراً لهدف تأليف الكتاب.

اما فيما يتعلق بكتب التراجم فمن الضروري الاشارة الى كتاب (منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء) لمؤلفه محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري (1738-1788). حيث خصص المؤلف كتابه هذا للشخصيات المنسوبة الى الموصل من ذوي النفوذ والعلم والادب، ولكنه تحدث ايضاً عن مراقد الاولياء والصالحين. كما زودنا ببعض المعلومات الجغرافية عن الموصل والمناطق المحيطة بها. وتناول تأريخ الموصل بعد سنة 1000هـ/ 1591م حتى عام 1201هـ/ 1786م، وهي سنة تأليف الكتاب. فأصبح الكتاب مصدراً

---

(1) ينظر: عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص6-7، 14-15 (مقدمة المحقق).

(2) عثمان بن سند الوائلي، م. س، مقدمة المحقق ص7 ومابعدها.

تأريخياً رصيناً، وخاصةً ان المؤرخ عاصر بعضاً من احداثها و استفاد من الذين عايشوا الواقعة عند رواية احداث اخرى.[1] وهناك كتب تراجم اخرى سنشير اليها سريعاً لتجنب الاطالة في الموضوع. ومنها ما يتناول العلماء والادباء والشعراء ونماذج من اعمالهم ونتاجاتهم، واخص بالذكر منها كتاب (الروض النضر في ترجمة ادباء العصر) لمؤلفه عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري. وكتاب (شمامة العنبر والزهر المعنبر) لمحمد بن مصطفى الغلامي. يجدر بالذكر ان المؤلفين الاخيرين هما من اهل الموصل وعاشا في القرن الثامن عشر.[2]

جـ- اضافة الى ماذكرنا

هناك بعض الكتابات التأريخية التي لاتنطبق عليها تسمية (المؤلفات التأريخية) بالمعنى الحرفي للمصطلح، لانها مجرد صفحات دونت بصورة عابرة او ملاحظات كتبت في ثنايا احدى المخطوطات من قبل اشخاص لم يكونوا مؤرخين بالضرورة. ولكنها تندرج ضمن المدونات التأريخية، او بالاحرى تعد بمثابة مذكرات شخصية. لانها تؤرخ لحادثة تأريخية من قبل اناس كانوا شهود عيان لها في الغالب. وقد تنفرد تلك الوريقات بذكر دقائق مهمة عن تلك الحوادث بحيث لانرى مثيلاً لها في الكتب التأريخية. وابرز مثال على ماذكرنا هي تلك الصفحات التي كتبها بعض

---

(1) محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، ج1، تحقيق: سعيد الديوه جي،مطبعة الجمهورية، الموصل 1967، ص5-9.

(2) ينظر: عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، الروض النضر في ترجمة ادباء العصر، تحقيق: د.سليم النعيمي، ج1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1974. محمد بن مصطفى الغلامي، شمامة العنبر والزهر المعنبر، تحقيق: د. سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد1977.

رجال الدين النصارى لتدوين مشاهداتهم وملاحظاتهم اثناء حملات نادرشاه على العراق وكردستان في الربع الثاني من القرن الثامن عشر.[1]

اولاً: الكيانات السياسية الكردية والامراء الكرد:-

لقد تمتعت معظم ارجاء كردستان باستقلالها الداخلي وحافظت على كياناتها المحلية عند انضمامها الى الدولة العثمانية في اعقاب معركة جالديران (1514) والتطورات التي تلتها.[2] فقد اعترف العثمانيون بالامارات والكيانات السياسية الكردية وقاموا بتطبيق نظمهم الادارية في المنطقة بشكل يتلائم مع هذا الاعتراف. اذ اصبحت تلك الامارات بمثابة (سناجق) او الوية في اطار الولايات العثمانية، ولكنها تتمتع بأداراتها المحلية الوراثية. بل ان الكيانات المهمة او الكبيرة منها اخذت تسمى رسمياً بـ "حكومت-Hukumet". اما امرائها فكانوا يعرفون بـ "سربست مير ميران -Serbest miri miranlik" اي البكلر بكوات الاحرار. وكانوا يخاطبون في الكتابات الرسمية بلقب "جناب-Cenab".[3] يجدر بالذكر ان الامراء الكرد كانوا في

---

(1) ينظر: نرسيس صائغيان، صفحة منسية من تأريخ نادر شاه، مجلة (لغة العرب)ج(5)س(7) بغداد 1929. بطرس حداد، حملة نادرشاه على العراق سنة 1145هـ في وثيقة سريانية، مجلة (بين النهرين)ع(33) س(1981).سهيل قاشا،حملات نادر شاه على العراق في وثائق سريانية/ 2ج، مجلة (كاروان) ع (74-75) نيسان وآيار 1989.

(2) Creasy, Edward S.:History of the Ottoman Turks, London 1878, new published (Khayats, Beirut 1961,p447.

وللمزيد من المعلومات يراجع: د.سعدي عثمان هروتي، كوردستان والامبراطورية العثمانية/ دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان، مؤسسة موكرياني للنشر- اربيل، مطبعة خاني، دهوك 2008، ص39 ومابعدها.

(3)Ayni Ali Efendi (Defteri Hakani Emini-1018/1609): Osmanli Imparatorlugunda Eyalet Taksimati, Toprak Dagitmi ve Bunlarin Mali Gucleri, Bu gunkudile Ceviren:Hadiye Tuncer, Gursoy Basmevi- Ankara 1964,s.13. Uzuncarsili, Ismail Hakki:Buyuk Osmanli Tarihi, cilt2, Ankara-1995,s.580.

البداية يحملون لقب الـ"بك" او "بيك"على الاغلب.[1] وهو مصطلح تركي يعني الزعيم او الرئيس، حيث انهم كانوا يعدون بمثابة رؤساء الالوية "سنجق بك" ويتمتعون برتبة (ميرلوا/ امير اللواء)،[2] ولكن يلاحظ بانهم اخذوا ينعمون برتبة (مير ميران/ امير الامراء) منذ القرن الثامن عشر. فلقبوا منذ ذلك الحين بالـ "باشا".[3]

ان تلك الامتيازات السياسية- الادارية الكردية تظهر في المصادر التأريخية العراقية بوضوح، وذلك من خلال الاشارات العديدة الى الامارات الكردية، مما تدل على استمرار الكيانات الكردية وبقائها في القرون التالية. فكثيراً ما نجد عبارة "امارة بابان" و "حكومة بابان" في بعض تلك المصادر.[4] بل يشير المؤرخ الموصلي ياسين العمري الى امارة بوتان بكونها "مملكة مستقلة بنفسها". ولكنه يقصد حتماً

وللتفصيل في ذلك ينظر: د.سعدي عثمان حسين،كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية والادارية والاقتصادية مع ايالتي بغداد والموصل، اربيل 2006، ص78-85.

(1) ينظر على سبيل المثال: شرفخان البدليسي، شرفنامه، ت:محمد جميل الملا أحمد الروزبياني،ط2، مؤسسة موكرياني، اربيل2001، صفحات 248، 249، 353، 437. د. عماد عبدالسلام رؤوف، دراسات وثائقية في تأريخ الكرد الحديث وحضارتهم، منشورات وزارة الثقافة،اربيل 2008، ص157، 181، 214.

(2) ينظر: سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية...، ص84.

(3) ينظر على سبيل المثال: اسماعيل عاصم كوجك جلبي زاده، تأريخ جلبي زاده، مطبعه عامره، استانبول 1282هـ ص86، أحمد جودت، تأريخ جودت، از ترتيب جديد، ج1، مطبعة عثمانية، استانبول 1301، ص273، 274.

(4) عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص183، 154، 155.

بانها مستقلة في ادارتها الداخلية، لانه يشير بعد ذلك الى تبعيتها لايالة دياربكر في البداية واضافتها لايالة بغداد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.[1] وفي خضم الحملات العثمانية على امارة اردلان في اواسط القرن السادس عشر يشير مؤلف كتاب (كلشن خلفا) الى اشتراك 'أمراء الاكراد الحكوميين'.[2] والعبارة الاخيرة جديرة بالتحليل. فمن الممكن ان تكون العبارة في النسخة الاصلية من الكتاب وهي بالتركية، قد وردت بما معناه 'أمراء الحكومات الكردية' ولكن المترجم قد اخطأ في ترجمتها. واذا كانت الترجمة صحيحة فتشير العبارة الى ان هؤلاء الامراء الكرد كانوا تابعين للحكومة او الدولة العثمانية ويتمتعون بالاعتراف الرسمي بسلطاتهم المحلية. اذاً في كلتا الحالتين فالعبارة دليل على حفاظ الكرد على كياناتهم المحلية.

وترد تسمية الامارات والكيانات الكردية في بعض الاحيان بصيغ تدل على السمة الادارية دون التأكيد على الصفة السياسية لتلك الامارات او الكيانات وهي الصفة الاصلية في الواقع. وهذا امر بديهي لان معظم اولئك المؤرخين -كما ذكرنا في بداية الدراسة- كانوا يمثلون وجهة النظر العثمانية، وينظرون الى تلك الكيانات من نافذة ايالة بغداد التي كانت تمارس النفوذ الاداري على معظم امارات جنوبي كردستان.[3] فيشير المؤرخ عبدالرحمن السويدي الى امارة بابان بصيغة 'سناجق اكراد الببة'.[4] ويذكرها سليمان فائق بك بـ 'لواء بابان'[1] حيناً و 'متصرفية السليمانية' في

---

(1) غاية المرام، ص111.

(2) نظمي زاده، م. س، ص204.

(3) حول النفوذ الاداري لايالة بغداد خلال العهد العثماني ينظر: سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية...، ص 108-113.

(4) حديقة الزوراء، ص136.

حين آخر.[2] اما رسول الكركوكلي فيورد صيغة "متصرفية كويسنجق وحرير" عند الاشارة الى اناطة حكم تلك الجهات بأحد الامراء البابانيين بدلاً من امير سوراني وذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وفي حادث آخر يذكر: "ثم صدرت الاوامر بتعيين... لالوية حرير واربيل وكوبري".[3] يجدر بالذكر ان كلمة اللواء هي الترجمة العربية لكلمة (سنجق) التركية، والتي كانت تعد وحدة ادارية اصغر من الولاية او الايالة.[4] وقد ذكرنا في بداية هذا الموضوع ان الامارات الكردية اعتبرت بمثابة سناجق داخل الولايات العثمانية. ويعطي مصطلح (المتصرفية) مدلولاً مشابهاً للكلمتين السابقتين ايضاً من الناحية الادارية.

ويستخدم المؤرخون العراقيون كلمات اخرى للتعبير عن الامارات الكردية، مثل كلمة "مقاطعة"[5] وهي مصطلح جغرافي. كما ينظرون اليها في بعض الاحيان من الوجهة العشائرية فيورد ياسين العمري تعبير "الاكراد الهكارية...الاكراد البهدينان"[6] عند الاشارة الى امارتي هكاري و بادينان. ويذهب كل من عبدالرحمن

---

(1) حروب الايرانيين...، ص102.

(2) تاريخ بغداد، ص139.

(3) دوحة الوزراء، ص176، 151.

(4) استخدم العثمانيون مصطلح الايالة بدلاً من الولاية رسمياً خلال الفترة مابين 1591-1864. ينظر:دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، مج5، مادة ايالة (خليل اينالجق)، ص264. وحول النظم الادارية العثمانية يراجع: مرادجة دوسون،نظم الحكم والادارة في الدولة العثمانية،ت:فيصل شيخ الارض،رسالة قدمت من قبل المترجم الى دائرة التأريخ في جامعة بيروت الامريكية لنيل شهادة استاذ في العلوم/ 1942.

(5) رسول الكركوكلي، م. س، ص145، 146، سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص14.

(6) غاية المرام، ص92.

السويدي و رسول الكركوكلي ابعد من ذلك حينما يستخدما عبارة "قبائل الاكراد" و"عشائر الاكراد" للدلالة على قوات الامارات الكردية في احدى معارك الدولة العثمانية مع ايران.[1] وبالاضافة الى ذلك يطلق اولئك المؤرخون تعابير اخرى عند الاشارة الى امارة بابان او البابانيين، مثل "جماعة الببه"[2] و "اكراد الببا"[3] او "البابا" فقط.[4] وهي تعابير تستخدم للدلالة على كتلة بشرية تنتسب الى منطقة او امارة معينة هي امارة بابان. وفيما يتعلق بهذه الامارة يلاحظ بانها كانت ذات نفوذ ملحوظ في كردستان الجنوبية وخاصةً منذ اواسط القرن الثامن عشر، بحيث كانت تمثل كردستان ذاتها في نظر ايالة بغداد. ولذلك يصبح مصطلح "كردستان" او عبارة "المنطقة الكردية" مرادفاً لتسمية (امارة بابان) لدى بعض المؤرخين العراقيين.[5] يجدر بالذكر ان هذه الحالة تتكرر عند بعض الرحالة الاجانب و المؤرخين العثمانيين ايضاً.[6]

اما فيما يتعلق بصفات الزعماء والامراء الكرد وصورتهم في المؤلفات التأريخية العراقية، فنجد اختلافاً بيناً ايضاً. وذلك حسب اختلاف المؤرخين العراقيين وكذلك تباين شخصيات اولئك الامراء ونفوذهم ثم مواقفهم من

---

(1) حديقة الزوراء، ص283، دوحة الوزراء، ص22.

(2) نظمي زاده، م. س، ص296.

(3) ياسين العمرى، زبدة الاثار، ص131، وانظر ايضاً: عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص63.

(4) ياسين العمرى، غاية المرام، ص185.

(5) رسول الكركوكلي، م. س، ص137، 146، سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص137.

(6) كلوديوس جيمس ريج،رحلة ريج في العراق عام 1820، ت: بهاء الدين نوري، ج1، مطبعة السكك الحديدية، بغداد 1951، ص315، احمد جودت، م.س،ج4،ص85.

السلطات العثمانية. اذ يصيب المؤرخون العراقيون في ذكر القاب الامراء الكرد في كثير من الاحيان، وخاصةً عندما يسبقون اسمهم بكلمة "الامير".[1] بل يستخدمون الصيغة الكردية لهذة التسمية في بعض الاحيان، حيث جاء اسم الامير البابانى سليمان به به (1669-1699) واخوه الامير حسن في كتاب (كلشن خلفا) بـ"المير سليمان و المير حسن".[2] وفي احيان اخرى كثيرة يذكرون اسمهم مع صفة (الحاكم)، فيكتبون على سبيل المثال :"حاكم العمادية"[3] و "حاكم بابان".[4] وفي هذه الحالة لايبتعدون عن الواقع ايضاً على اعتبار انهم يحكمون اماراتهم، اي جاءت الصفة من الفعل. ولكن المؤرخين العراقيين كثيراً ما يركزون على الصفة الادارية لهؤلاء الامراء ويهملون صفتهم السياسية. وذلك حينما يصفونهم بتعابير "متصرف بابان"[5] و "متصرف السليمانية"[6] او "متصرف العمادية".[7] بل يستخدمون تعبير "منصب المتصرفية" صراحةً عندما يشيرون الى حكم اولئك الامراء في اماراتهم.[8] وفي بعض الاحيان الاخرى لايلتزمون الدقة في ذكر القاب الامراء الكرد،

---

(1) نظمي زاده، م. س، ص205، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص157، ياسين العمرى، غاية المرام، ص93.

(2) نظمي زاده، م. س، ص296.

(3) رسول الكركوكلي، م. س، ص224، ياسين العمرى، زبدة الاثار، ص78.

(4) عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص148.

(5) رسول الكركوكلي، م. س، ص93، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص176.

(6) سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص30.

(7) عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص271.

(8) ينظر: سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص136.

فيستعملون تعابير خاطئة مثل "سنجق بيه المسمى بكر."[1] او عشوائية وذلك حينما يصفونهم بالولاة، وهي صفة حكام الولايات او الايالات العثمانية ولاينبغي مخاطبة غيرهم بها. ولكننا نجد في المؤلفات التاريخية العراقية تعابير "ولاة الجزيرة والعمادية [يقصد به اميري بوتان وبادينان]"[2] و"والي العمادية"[3] و "والي قره جولان [يقصد به امير بابان]".[4]

كما يلاحظ في المؤلفات التأريخية العراقية بان معظم الامراء الكرد يحملون لقب الـ"باشا" وخاصةً منذ القرن الثامن عشر، وهو لقب يدل على ان حامله يتمتع بمرتبة (ميرميران) كما اوضحنا في بداية هذا الموضوع. وكانت هذه المرتبة تمنح في البداية لحكام الولايات اي البكلر بكي، ولكنها اعطيت فيمابعد لحكام السناجق ايضاً. ولكن دون ان يتمتعوا بوظيفة ادارية اعلى.[5] فاصبح الامراء الكرد من ذوي هذه المرتبة ايضاً. ولذلك نجد بان المؤلفات المعنية حافلة باسماء العديد من الامراء الكرد ممن يحملون لقب الباشا. ومعظمهم من اولئك الامراء الذين كانوا يمارسون

---

(1) نظمي زاده، م. س، ص328. والتعبير الصحيح هو (حاكم سنجق بيه المسمى بكر)، والمذكور هو الامير بكر بك البابان الذي حكم الامارة خلال سنوات (1703-1714).حول سيرته يراجع: سعدي عثمان حسين، امارة بابان في النصف الاول من القرن الثامن عشر، مؤسسة موكرياني، اربيل 2000، ص24-27.

(2) نظمي زاده، م. س، ص297.

(3) عثمان بن سند الوائلي، م. س،ص271.

(4) ياسين العمري، غاية المرام، ص185.

(5) حول التطور التأريخي لهذه المرتبة يراجع: هاملتون جيب وهارولد بوين، المجتمع الاسلامي والغرب، ت: عبدالمجيد حسيب القيسي، ج1، ق1، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق1997، ص184-185.

الحكم في اماراتهم. منهم على سبيل: "سليم باشا"[1] و "عبدالرحمن باشا"[2] و "بهرام باشا"[3] ونجد القاباً اخرى بعد لقب الباشا في بعض الاحيان مثل "الباشا البباوي"[4] و "الباشا الكردي".[5] وهنالك عدد قليل منهم كانوا ولاةً على احدى الايالات العثمانية وخاصةً ايالة الموصل التي شهدت تنصيب عدد من الولاة الكرد. منهم "داسني ميرزا باشا" الذي كان من الامراء الكرد الايزديين وتولى حكم الموصل خلال سنتي (1649-1650).[6] والى جانب اولئك الامراء فقد تمتع بعض زعماء العشائر الكردية بهذا الامتياز وحملوا لقب الباشا ايضاً. منهم على سبيل المثال (تمر) او (تيمور باشا) زعيم عشائر الملّي.[7] وذلك حسبما جاء في مؤلفات ياسين

(1) رسول الكركوكلي، م. س، ص93. حكم سليم باشا امارة بابان خلال سنوات (1743-1747) و (1749-1751).للمزيد من المعلومات عنه ينظر: سعدي عثمان، امارة بابان...، ص 39مابعدها.

(2) سليمان فائق، تاريخ المماليك، ص41. نصب عبدالرحمن باشا ست مرات بشكل متقطع على امارة بابان خلال سنوات (1789-1813). ينظر: محمد امين زكي، تاريخ السليمانية وانحائها، ت: الملا جميل الروزبياني، بغداد 1951،ص102-133.

(3) ياسين العمرى، زبدة الاثار، ص94. كان بهرام باشا اميراً على بادينان خلال سنوات 1714-1768،واشتهر بـ(بهرام باشا الكبير). ينظر: كاوة فريق احمد شاوقلي ثاميدي، امارة بادينان 1700-1842/ دراسة سياسية اجتماعية ثقافية،منشورات مؤسسة موكرياني/ اربيل، مطبعة خبات- دهوك 2000، ص51-63.

(4) ياسين العمرى، زبدة الاثار، ص121.

(5) عثمان بن سند الوائلي، م. س،ص270، 211.

(6) ياسين العمرى، منية الادباء، ص74.

(7) من العشائر المعروفة بقوة شكيمتها وتمردها على السلطات العثمانية. كانت تقطن في نواحي ماردين. للمزيد من المعلومات ينظر: د. أحمد عثمان ابو بكر، اكراد الملي وابراهيم باشا، مطبعة دار الجاحظ، بغداد 1973.

العمري.[1] ولكن يبدو انه حاز ذلك اللقب عندما نصب حاكماً على الرقة في عام 1800. لان المصادر الاخرى تسميه "تيمور آغا"[2] او "تيمور الملّي" عندما كان مجرد زعيم عشائري.[3]

وقد حصل بعض الامراء الكرد على لقب الباشا قبل توليهم الحكم في الامارة. ولكن ذلك كان في اغلب الاحيان مكافأة لهم على خدمات مهمة قدموها للدولة. مثل عثمان بك بن محمود باشا الباباني الذي منح لقب الباشا من قبل والي بغداد سليمان باشا الكبير (1780-1802) لدوره الفاعل في اخماد تمرد كان يهدد ايالة بغداد.[4] ويظهر من الحالة الاخيرة ان والي بغداد كان له الصلاحية لمنح هذه المرتبة للامراء الكرد. وباستثناء ذلك فأن الافراد الذكور من العائلة الحاكمة في الامارات الكردية، اي الامراء الذين لم يكونوا قد تولوا الحكم، فانهم غالباً ما كانوا يحملون لقب الـ(بك) فقط.[5] كما ان الغالبية العظمى من الامراء الكرد كان لهم هذا اللقب فقط خلال القرن السادس عشر وحيز كبير من القرن التالي.[6]

---

(1) ينظر: غاية المرام، ص191، زبدة الاثار، ص164، غرائب الاثر، ص23.

(2) رسول الكركوكلي، م. س، ص213.

(3) عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص203.

(4) رسول الكركوكلي، م. س، ص172.

(5) ينظر: م. ن، ص176، سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص136، ياسين العمرى، زبدة الآثار، ص160.

(6) ينظر: نظمي زاده، م. س، ص205، ياسين العمرى، زبدة الآثار، ص67.

هذا فيما يتعلق بالامراء الكرد التابعين للدولة العثمانية، اما في ايران فكان الامراء الكرد يحملون لقب الـ (خان)[1] على الاغلب.[2] وقد تم مراعاة ذلك في المؤلفات التأريخية العراقية ايضاً، فعندما يأتي ذكر اولئك الامراء في تلك المؤلفات نجد اسمائهم ملحوقة بكلمة (خان). مثل: 'احمد خان'[3] و 'امان الله خان'.[4] وعرف افراد الاسرة الزندية الكردية الحاكمة في ايران (1750-1795) بهذا اللقب ايضاً، وعلى رأسهم مؤسس الاسرة 'كريم خان زند'.[5] واخيه 'صادق خان' الذي استولى

---

(1) خان: لقب اطلق على ملوك الاتراك والسلاطين العثمانيين قديماً. كما اطلق على امراء القرم وبعض الامراء في الولايات الشرقية. د.سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة:د.عبدالرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000، ص95. وفي ايران كان يطلق على بعض الزعماء المحليين وقواد الدولة.

(2) ينظر على سبيل المثال: اسكندر بيك تركمان، تاريخ عالم اراي عباسي، ط2، انتشارات امير كبير، تهران 1350هـ.ش، ج2،ص793، ج3، ص925، 1019.

(3) نظمي زاده، م. س، ص221، 225، والامير المذكور هو (خان احمد خان) الذي يعد من امراء اردلان المعروفين بالبأس والقوة، ولعب دوراً مهماً في احداث المنطقة اثناء هجمات الشاه عباس الاول الصفوي (1587-1629) على الدولة العثمانية. ينظر: م.ن، ص221-226، وكذلك: اسكندر بيك تركمان، م.س، ج3، ص1019.

(4) سليمان فائق، تاريخ بغداد، ص30. والشخص المذكور هو الامير الاردلاني المشهور امان الله خان الاول (1799-1825).

(5) سليمان فائق، تاريخ المماليك، ص27، رسول الكركوكلي، م. س، ص158، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص81. وحول عهد كريم خان والاسرة الزندية الحاكمة في ايران يراجع:

Perry, John R.: Karim Khan Zand/ A History of Iran 1747-1779, the univ. of Chicago press 1979.□

على البصرة في عام 1776.[1] ولكن يلاحظ بأن بعض الامراء الكرد في الدولة العثمانية يعرفون ايضاً بلقب الـ(خان) وخاصةً بعض امراء بادينان.[2] وتضاف كلمة الـ(بك) الى لقب الخان في بعض الاحيان.[3] واذا كان ذلك مرتبطاً بتقاليد هذه الامارة مثلما يقول بعض الباحثين،[4] فأن الامر لم يكن كذلك في جميع الامارات. اذ كان حمل هذا اللقب يدل احياناً على موالاة ذلك الامير لايران، مثل سليم باشا البابانى الذي عرف بـ"سليم خان" في بعض المؤلفات التأريخية العراقية.[5] فيقول سليمان فائق بك: "وكلمة خان بدل الباشا التي كانت تطلق على ابنائهم [ابناء الاسرة البابانية] هي كانت من بقايا الالقاب التي فرضها الايرانيون".[6]

لنأتي الآن الى رؤية صورة الامراء والزعماء الكرد وصفاتهم في المؤلفات التأريخية العراقية. فالمؤرخون العراقيون يقدمون لنا صور مختلفة عن اولئك الامراء، وذلك حسب مواقفهم من السلطات العثمانية. اذ يكيلون المديح للامراء الذين قدموا خدمة لايالة بغداد او الموصل. ولكنهم ينقلبوا الى الهجوم على الامير الذي يعارض النفوذ العثماني او يأتي بموقف لايتلائم مع مصالح سلطات الايالتين

(1) رسول الكركوكلي، م. س، ص150–151، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص84، 88.
(2) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص224، نظمي زاده، م. س، ص304، 305.
(3) مثل: مرادخان بك وحاجي خان بك. ينظر: ياسين العمري، غرائب الاثر، ص22، 36.
(4) كاوه فريق ئاميدي، م. س، ص48.
(5) ينظر: ياسين العمري، زبدة الآثار، ص107.
(6) تاريخ بغداد، ص138.

المذكورتين او السلطات العثمانية عموماً. وخاصةً عندما يلجأ الى القوة المسلحة ويقاوم القوات العثمانية. ففي تلك الحالة يتهم بالعصيان ويوصف بشتى النعوت السلبية مثل "الشقي"[1] و"الخبيث الفاسق" و"الفاجر الخائن الخاسر". ان تلك الصفات قد اسندت الى الامير بكر بك البابانى عندما قام بحركته ضد ايالة بغداد في عام 1714.[2] اما محمود باشا البابانى[3] الذي اتى بموقف مماثل في عام 1782 فقد كتب عثمان بن سند عنه قائلاً: "ومنذ تحقق الوزير [والي بغداد] من خيانته، وانه نبذ من ورائه ديانته، امر بتجهيز العساكر ليبيد خضراء ذلك الماكر...ولما نزل كركوك بعسكره، والباغي الدربند [دربند بازيان] بعجزه وبجره...".[4] وعندما يروي المؤرخ المذكور حادثة حصار البصرة ضمن احداث عامي1188و1189هـ (1774-1774م) يقوم بالدعاء على كريم خان الزند ويكتب: "قطع الله من قومه الزند والانف".[5] وعندما يتحدث سليمان فائق بك عن موت هذا العاهل الايراني الكردي، فانة لايخفي سروره ويقول: "انتقضت بموته حبال الاعداء فتكشف البلاء عن سماء

---

(1) نظمي زاده، م. س، ص328.

(2) عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص137.وحول تفاصيل الحركة المذكورة يراجع:سعدي عثمان، امارة بابان...،ص24-27.

(3) هو محمود باشا الاول بن خالد باشا، حول ترجمته ينظر: محمد امين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ج2، الآثار الكاملة للمؤلف، اعداد: رفيق صالح، السليمانية 2005، ص397.

(4) مطالع السعود، ص157.

(5) م. ن، ص81.

العراق وتجلى الكرب عن الرعية".[1] اما ياسين العمري فأنه يتحامل على الكرد وامرائهم بسبب وبدونه في بعض الاحيان، ويحاول ان يلبسهم ثوب الحماقة برواية بعض الاحداث.[2]

بالرغم من ذلك تحتوي المؤلفات التأريخية العراقية صوراً ايجابية لبعض الامراء والزعماء الكرد. بل ان احد المؤرخين يخلق الاعذار للامير محمود باشا الباباني عندما خالف اوامر ايالة بغداد، ويكتب: "بالرغم مما يتمتع به محمود باشا من خصال طيبة الا ان الانسان لايخلو من نقص مهما بلغ به الكمال".[3] ويبرهن ياسين العمري على ان امراء بادينان كان لهم منزلة رفيعة بين سكان الامارة، وذلك رغم انه يحاول الحط من قدرهم،[4] كما مر بنا في السطور السابقة. ويقول اخوه محمد امين العمري بان امراء بادينان "هم في اكراد الجبال كالخلفاء في وقتهم".[5]

وكان لبعض الامراء الكرد مكانة مهمة بين مسؤولي الموصل وبغداد، اذ قام الامير الباباني محمد باشا بن خالد باشا في عام 1769 بمصالحة بين زعماء عائلة الجليلي المتنفذة والحاكمة في الموصل.[6] ويبدو ان بعض امراء بابان كان لهم صحبة

(1) تاريخ المماليك، ص29.
(2) ينظر: غاية المرام، ص92.
(3) رسول الكركوكلي، م. س، ص176.
(4) ينظر: غاية المرام، ص93.
(5) منهل الاولياء، ص67.
(6) ياسين العمري، زبدة الآثار، ص127.

مع والي بغداد عمر باشا (1764-1775).[1] وكان ذلك امر بديهي خاصة وان بعض البابانيين كانوا يقيمون في بغداد. منهم ابراهيم باشا[2] باني مدينة السليمانية الذي "تعود حياة الترف والنعيم" نتيجة لذلك حسب قول سليمان فائق بك.[3]

وتعد الشجاعة والبسالة من السمات البارزة التي كان يمتاز بها الامراء والزعماء الكرد، ولذلك لم يتغافل المؤرخون العراقيون الاشارة الى ذلك في العديد من المواضع. ومما يثير الاستغراب في هذا المجال ان ياسين العمري وهو معروف بتحامله على الكرد -كما مر بنا سابقاً - يشير الى شجاعة احد الامراء الكرد الايزديين وهو داسني ميرزا باشا الذي كان والياً على الموصل في اواسط القرن السابع عشر.[4] والاغرب من ذلك هو وصف احد الامراء الزنديين بالبسالة من قبل عثمان بن سند الذي يعادي الزنديين في كتابه بشدة.[5] كما يشيد هذا المؤرخ بالامير عثمان بك بن محمود باشا الباباني الذي كان "شهماً منجداً" حسب قوله.[6] وكان الامير المذكور قد نال استحسان الوالي سليمان باشا الكبير لدوره في مواجهة بعض المتمردين في عام 1780 ولذلك "شكر له اخلاصه واقدامه وشجاعته" وفق

(1) رسول الكركوكلي، م. س، ص146.

(2) هو ابن احمد باشا الباباني،ينظر عنه: محمد امين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ص68.

(3) تاريخ بغداد، ص137.

(4) منية الادباء، ص75.

(5) ينظر: مطالع السعود، ص89.

(6) م. ن، ص176.

تعبير الكركوكلي.[1] اما المؤرخ عبدالرحمن السويدي فيعجب بقدرات الامير عثمان باشا الكردي القتالية ويقول بأنه "رجل موصوف بالشجاعة، معروف بالفراسة من بين الجماعة" ثم يعرض دوره في التصدي لاحدى العشائر العربية المتمردة على ايالة بغداد في عام 1738 ويكتب مانصه: "فقاتل ذلك اليوم عثمان باشا قتالاً يصغر لديه قتال عنتر، ونظم في طعناته رجالاً يحقر عنده نظم رستم فلا يذكر، حتى ظنَّ اولئك الاكالب، ان هذا الرجل هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب فتعجبوا من قوة جَنانه وانذهلوا الفلق يَمانه، وولوا الادبار..."[2] ويصف عثمان بن سند دور حاكم كويه محمد باشا في احدى المعارك التي وقعت في عام 1802 ويقول بانه "قاتل قتال الاسد".[3] وكان الامير السوراني قوج باشا "رجلاً شجاعاً وضرغاماً بارعاً، ذو حسب ونسب" حسب وصف محمد امين العمري.[4] يجدر بالذكر ان هذا الامير السوراني كان حاكماً على كويه ثم اربيل في اواسط القرن الثامن عشر، وكان له

(1) دوحة الوزراء، ص172.

(2) حديقة الزوراء، ص432-433. والامير المذكور هو على اغلب الظن حاكم كوية السوراني الذي اشترك في انتفاضة سليم باشا البابابي وقتل على اثر ذلك. ينظر عنه: سعدي عثمان، امارة بابان...، ص55-57.

(3) مطالع السعود، ص247.

(4) منهل الاولياء، ص152.

دور بطولي في الدفاع عن الموصل اثناء حملة نادر شاه في عام 1743. ولكنه اشترك في انتفاضة سليم باشا الباباني في عام 1751 وقتل على اثرها.[1]

وحاز بعض امراء بابان وعلى رأسهم عبدالرحمن باشا الباباني على نفوذ واضح في المنطقة بشجاعته وسطوته. اذ يصفه سليمان فائق بك بانه "من المتنفذين وله عشيرة واتباع".[2] وكان لهذا الامير الدور الفاعل في الحملة العثمانية التي استهدفت اقصاء سليمان باشا الصغير (1802-1810) عن ايالة بغداد. وفي خضم هذه الاحداث "قاتل عبدالرحمن باشا قتال الابطال" حسب تعبير احد المؤرخين.[3] ولذلك كان له الكلمة العليا في تعيين الوالي الجديد لايالة بغداد وهو عبدالله باشا (1810-1812). ويكتب سليمان فائق بك بهذا الصدد : "وقد نصره عبدالرحمن باشا باموال ورجاله واليه يرجع الفضل في ايصاله الى هذه المنزلة".[4]

---

(1) لمزيد من المعلومات عنه ينظر: سعدي عثمان، امارة بابان...، ص 55-58.

(2) تاريخ بغداد، ص32.

(3) سليمان فائق بك، تاريخ المماليك، ص42. وحول تفاصيل تلك الاحداث يراجع: ياسين العمري، غرائب الاثر، ص109-120.

(4) تاريخ بغداد، ص40-41.

ثانياً: القوة العسكرية الكردية:-

اذا استثنينا الاخبار التي تتحدث عن هزيمة الحركات الكردية المعارضة للسلطات العثمانية،[1] فان المؤلفات التأريخية العراقية حافلة بالعديد من المعلومات التي تقدم صوراً مشرفة للقدرة القتالية الكردية. اذ يدون معظم المؤرخون العراقيون ملاحظات تعكس صدى شجاعة الكرد وبسالتهم في العديد من المواقع والحالات. ففي خضم حديثه عن القوات التي جاءت لنصرة الموصل ازاء حملة نادرشاه في عام 1743، يطلق المؤرخ والاديب الموصلي محمد امين العمري تسمية "أسود عوابس" على الـ (500) فارس الذين كانوا بعهدة الامير السوراني قوج باشا.[2] ويصف سليمان فائق بك القبائل الكردية التي عاضدت داود باشا للوصول الى حكم ايالة بغداد في عام 1816 بأنهم "ارباب الشجاعة الخارقة والبسالة العجيبة".[3] ويشير المؤرخ الاخير في موضع آخر الى ان الاكراد اشتهروا بالشجاعة والبسالة.[4]

ويبدو ان صفة الشجاعة كانت طاغية لدى الكرد بحيث ان المؤرخين المعنيين لم يملكوا الا الاعتراف بها حتى وان كانت المسألة تعني القوات الكردية التي تحارب ضد السلطات العثمانية. فالمؤرخ البغدادي عبدالرحمن السويدي بعدما يصف بكر بك البابانی بشتى النعوت السلبية لقيامه ضد ايالة بغداد في عام 1714، يذكر بانه "متصلد باتباع جعلهم له جُنَّه ومتجلد بعساكر لاتخلو من ضررهم الانس والجِنَّة، عددهم ريث الرمال وعُدَدهم تزعزع بضربها الجبال". وبعد هذه المبالغة المليئة

---

(1) ينظر على سبيل المثال: رسول الكركوكلي، م. س، ص136، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص107، عثمان بن سند الوائلي، م. س،ص277.

(2) منهل الاولياء، ص152.

(3) تاريخ المماليك، ص47.

(4) تاريخ بغداد، ص46.

بالسجع يصف اولئك المقاتلين بانهم جحافل.(1) ويشير الكركوكلي الى شدة مقاومة ابناء عشيرة البلباس(2) عندما تعرضوا لحملة ايالة بغداد في عام 1737 ويؤكد بأن "نساء العشيرة المذكورة شوهدن مع رجالهم يحملن البنادق ويصوبنها نحو الجنود بكل شجاعة."(3) وفي معركة كفري (1812) التي جابه فيها عبدالرحمن باشا البابانی قوات ايالة بغداد، قامت القوات البابانية في بداية المعركة بما بهرت المؤرخ سليمان فائق بك فكتب يقول: "هجم عبدالرحمن باشا وفرسانه الشجعان الفدائيين على مدفعية الحكومة فزحزحوها عن مواقعها ودمروا الميمنة والميسرة ولم يبالوا بما كان ينهال عليهم من قنابل المدفعية ورصاص البنادق."(4) ويصف الكركوكلي مقاومة حاكم كويه الامير عثمان باشا السوراني لقوات ايالة بغداد قائلاً: "انه واتباعه اظهروا من الشجاعة والاقدام ما لامزيد عليه". يجدر بالذكر ان الموما اليه قد اشترك في انتفاضة سليم باشا البابانی لذلك تعرض لحملة قمعية في عام 1751وقتل على اثرها.(5)

(1) حديقة الزوراء، ص137.

(2) من العشائر الكردية الكبيرة كانت تقطن مناطق شهرزور حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر، ولكنها تحولت فيما بعد الى مناطق كردستان ايران اثر الضربات التي تعرضت لها من قبل العثمانيين والبابانيين معاً.كما اسكن بعض فروعها في مناطق شرقي اربيل في الربع الاول من القرن التالي. للمزيد من المعلومات ينظر: سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية...، ص170-172.

(3) دوحة الوزراء، ص40، وانظر ايضاً: عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص423.

(4) تاريخ بغداد، ص45-46. يجدر بالذكر ان هذه المعركة قد اسفرت عن هزيمة القوات البابانية في النهاية رغم انتصارهم في بداية المعركة.

(5) دوحة الوزراء، ص117.

ونقف في بعض المؤلفات التأريخية العراقية على حالات تغلب فيها شرذمة قليلة من المقاتلين الكرد على قوات نظامية كثيرة، او احرزت قوة كردية صغيرة انتصاراً على جيش يبلغ ضعفها عدة مرات من حيث العدد والعدة. اذ يروي المؤرخ ياسين العمري في بعض مؤلفاته حادثة الامير الايزدي تمر (او/ نمر) بن سمو الذي كرّ مع خمسة او سبعة فرسان على قوات والي الموصل عبدالباقي الجليلي الذي كان يشن حملة على الشيخان في عام 1786. فقتل الوالي مع عدد من اقرباءه وجنوده الذين اخذتهم الصدمة فأنهزموا.[1] كما تصدى الامير البابانی احمد باشا بن خالد باشا[2] بقواته البالغة حوالي الفي مقاتل لحملة ايرانية مؤلفة من (12) الف مقاتل اخترقت اراضي بابان بأمر كريم خان الزندي في عام 1778. ويصور الكركوكلي الموقف لنا ويكتب: "فلما شاهد احمد باشا ما حل بالبلاد اخذته الحمية والغيرة وهجم بمن معه على الجيش الايراني، وتمكن من رده الى الوراء ومن استرجاع الاسرى واموالهم وقراهم".[3]

كما نلاحظ في المؤلفات المعنية بأن القوات الكردية تتمتع بالاهمية العسكرية للدولة العثمانية، وبالتحديد لايالتي بغداد والموصل وخاصةً الايالة الاولى. اذ كان امراء وحكام اربيل ومندلي وكويه وحرير وزهاب وبادينان وبابان يساهمون بقواتهم في جيش ايالة بغداد عندما يدعون الى ذلك. وكان الامير البابانی "يحشد عشرة آلاف واما الباقون فبين الالفين والالف وخمسماية" حسب تقدير سليمان فائق

(1) ينظر: غاية المرام، ص330، زبدة الآثار، ص156. وانظر ايضاً: محمد امين العمري، م. س، ص196-197.

(2) هو ابن خالد باشا الاول، حول ترجمته ينظر: محمد امين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ص95.

(3) دوحة الوزراء، ص157-159.

بك.[1] وبذلك يمكن القول ان ولاة بغداد كانوا يعولون على الكرد لحشد الجزء الاهم من جيش الايالة اثناء المهمات العسكرية. ولذلك اثبت الكرد كفائتهم العسكرية في العديد من المواقع. فقد لعب الامير البابانى خانه محمد بك (1721-1728) دوراً مهماً اثناء حملات ايالة بغداد على ايران في العقد الثالث من القرن الثامن عشر، فنال التكريم على ذلك. ويذكر سليمان فائف بك بانه حصل على امارة اردلان ومرتبة (ميرميران) بناءً على امر سلطاني وذلك لان الخدمات التي كان يترقبها منه ومن قبائله الوفيرة ظاهرة تعضدها شهادة خدماته السابقة للمصلحة ذاتها.[2] وحصل الامير السوراني قوج بك على نفس المرتبة لدوره البطولي اثناء حصار الموصل من قبل نادر شاه في عام 1743.[3] حيث اشترك في الهجمة الفدائية التي انطلقت من الموصل للاشتباك بجيش نادر شاه قبل وضع الحصار على المدينة. وكانت العملية مغامرة بطولية حقاً لان قوة من الفرسان تألفت من بضعة مئات جابهت جيشاً من عدة آلاف.[4] كما كان دور القوات البابانية حاسماً ضمن جهود ايالة بغداد للقضاء على حركة تمرد عجم محمد.[5] فعندما اخذت الحركة بعداً خطيراً في عام 1780 وفشلت المحاولات الاولى للتغلب

(1) تاريخ المماليك، ص83.

(2) حروب الايرانيين...، ص102.

(3) محمد امين العمري، م. س، ص152.

(4) ياسين العمرى، منية الادباء، ص275، عصام الدين عثمان العمري، م. س، ص516.

(5) كان هذا الشخص من اصل فارسي وضيع ولكنه نال الحظوة لدى أولي الامر في بغداد بوسائل ملتوية، فحصل على مناصب مرموقة آخرها منصب الكتخدائية في عهد الوالي عبدالله باشا (1776-1778)، واخذ يسعى بعد وفاة الوالي الى الحصول على منصب الولاية، وعندما لم يفلح في ذلك قام بحركة تمرد خطيرة في المناطق التابعة لايالة بغداد. للمزيد من التفاصيل يراجع: عثمان بن سند الوائلي، م.س، ص120 وما بعدها.

عليها، خاب امل سلطات بغداد من القوات الحكومية واقسم المسؤول المكلف بالمهمة "أنه لايحاربهم بعد ذلك بعسكر روم"،[1] "بل بكردٍ او عربٍ قروم". فجاء الامير البابانى بقواته "فأفرح وروده الاسلام وسَر، وقويت من الوزير به الشوكة" حسب تعبير عثمان بن سند الذي يصف اولئك المقاتلين البابانيين بأنهم "متدرعين القلوب" كما ينشد في مدحهم شعراً فيقول:

فوارس لايهابون المنايا	اذا ما خام زميّل وهابا
اذا ما اسوّد فود الحرب سلّوا	من الاغماد مرهفةً فشابا
ينادي بعضهم كردُ بن عمرو	من الاعداءِ فاصطلموا الرّقابا
فانتم اسدُ معمعة فدأباً	نرى لكم من المرّانِ غابا[2]

ولكننا يجب ان نذكر ايضاً بان القوات الكردية قد خذلت الدولة العثمانية في بعض المواقع. ويشار في هذا المجال بشكل خاص الى معركة (اينجه دان) التي وقعت في عام 1726 بين قوات ايالة بغداد والجيش الافغاني قرب اصفهان، حيث سبب الكرد بانسحابهم اثناء المعركة هزيمة ماحقة للجانب العثماني.[3]

بالرغم من ذلك تبرهن المؤلفات التأريخية العراقية على حضور القوات الكردية في ميادين قتالية عديدة لصالح الدولة العثمانية. كالاشتراك في الحروب

---

(1) عبدالرحمن السويدي، تأريخ حوداث...، ص132.

(2) مطالع السعود، ص125-127.

(3) عبدالرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص283، رسول الكركوكلي، م. س، ص22.وحول تفاصيل ذلك الحدث وملابساته ينظر:سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية...، ص296-300.

الدائرة مع ايران،[1] والمساهمة في الحملات التي كانت توجهها السلطات العثمانية لقمع المتمردين واخضاع العشائر الثائرة على الدولة. وكذلك في النزاعات التي كانت تقوم على السلطة، سواءً في ايالة واحدة او بين مسؤولي ايالات عثمانية عدة.[2] وهناك حالات اخرى كثيرة تحولت القوة العسكرية الكردية فيها الى مطرقة ثقيلة بيد المسؤولين العثمانيين لضرب الكرد انفسهم وقمع تحركاتهم او الحصول على مغانم مادية على حسابهم.[3] كما تحتوي المؤلفات المعنية على حوادث تم فيها استخدام القوة العسكرية في النزاعات الداخلية بين الامارات والعشائر الكردية.[4]

واخيراً لابدّ من القول بأن القوة العسكرية الكردية التي كان لها حضور واسهامات في تلك العمليات المذكورة، لم تكن تتمثل في قوات الامارات الكردية وحدها. حيث كانت هناك قوات العشائر الكردية التي كانت تسهم في تلك الاحداث حسب قدراتها.[5] كما يشار الى وجود مقاتلين مرتزقة من الكرد ضمن

---

(1) ينظر على سبيل المثال:رسول الكركوكلي،م. س، ص22،سليمان فائق بك،تاريخ بغداد، ص73–74،ياسين العمري،غاية المرام،ص185.

(2) ينظر: نظمي زاده، م. س، ص215، عبدالرحمن السويدي، تأريخ حوداث...، ص130، 137، عثمان بن سند الوائلي، م.س، ص176، 273، ياسين العمري، غرائب الاثر،ص92، 100.

(3) ينظر: نظمي زاده، م. س، ص204، 296، ياسين العمري، غاية المرام، ص185، 191، 206، وكذلك:زبدة الآثار، ص131.

(4) ينظر: رسول الكركوكلي،م. س، ص229،ياسين العمري، غاية المرام،ص187، غرائب الاثر، ص22، 35، 37، 60.

(5) ينظر على سبيل المثال:رسول الكركوكلي،م. س، ص247، ياسين العمري، غرائب الاثر،ص51، 58.

قوات ايالة بغداد وخاصة في القوة المعروفة باللاوند.[1] وكان هناك متطوعون محاربون من الكرد ايضاً، اذ كان الدافع الديني والسعي لنيل ثواب الجهاد يدفع ببعض الناس الى الاشتراك في العمليات العسكرية العثمانية وخاصةً ضد الجهات والجماعات الغير مسلمة. فعندما أغار والي بغداد علي باشا (1802-1806) على الكرد الايزديين في سنجار في عام 1802، كان "معه من الكرد متطوعون زهّاد متنسّكون... وبذل الكرد خصوصاً المتطوعة نفوسهم لله" حسب تعبير عثمان بن سند.[2] وفي باب الجهاد اشتهر احد الشيوخ الزهاد من اهل عقرة في منطقة بادينان، وهو بير رجب ابن حسن الزيباري الكردي. فاثناء تعرض مصر للاحتلال الفرنسي، سافر الشيخ المذكور مع عشرين رجلاً من الاكراد الى تلك البلاد وانضم الى الجيش العثماني لمواجهة الفرنسيين المحتلين.[3]

---

(1) سليمان فائق بك،تاريخ المماليك، ص23 الهامش. اللاوند: جاءت من كلمة (Lavantino) الايطالية التي اطلقها الفينيسيون على البحارة الشرقيين المستخدمين في اسطولهم، فاستخدمها العثمانيون لبحارتهم الاوائل. وعندما سرح أولئك البحارة من الخدمة لجأوا الى أقاليم الدولة المختلفة عارضين خدماتهم مقابل المال،فاصبحوا جنوداً مرتزقة. واقترن اسمهم في العراق بالكورد لانهم كانوا يتألفون منهم على الاغلب. د.طارق نافع الحمداني،ملامح سياسية و حضارية في تاريخ العراق الحديث و المعاصر، ط1،بيروت، 1989، ص110-112.

(2) مطالع السعود، ص247.

(3) ياسين العمري، غرائب الاثر،ص 58.لمزيد من المعلومات حول هذا الشيخ يراجع:عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية...، ص319-329.

ثالثاً:الحركات والانتفاضات الكردية:-

نظراً للعامل الذاتي المتمثل في تمجيد القوة والاستعداد الدائم للتضحية في المجتمع الكردي،[1] والظروف الموضوعية التي تجسدت في الاوضاع السياسية السائدة في كردستان خلال العهد العثماني، كثيراً ما لجأ الكرد الى حمل السلاح وقاموا بأشعال نار الانتفاضة ضد السلطات العثمانية.[2] ولكنّ المؤرخين العراقيين لم يرسموا لنا صوراً صادقة عن معظم تلك الحركات والانتفاضات الكردية. لانهم لم يمتلكوا نظرة المحايد المنصف الى الاحداث، حيث كان اغلبهم يمثلون وجهة النظر العثمانية، كما اوضحنا في بداية هذا الدراسة. لذلك نراهم يصفون تلك الحركات بأوصاف سلبية شتى. مثل "العصيان"[3] او "التمرد والعصيان"[4] و (عدم الامتثال للاوامر)[5] و "الخروج على السلطة" او القيام "بأعمال ضد الدولة العثمانية".[6] ويعمد بعض اولئك المؤرخون الى صياغة التعابير الادبية واستخدام اساليب البلاغة لوصف بعض الحركات الكردية. مثل سليمان فائق بك الذي يكتب عن انتفاضة عبدالرحمن باشا الباباني قائلاً: "رفع راية العصيان على الحكومة المركزية في بغداد".[7]

---

(1) حول ذلك ينظر: باسيلي نيكيتين، الكرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ت: د.نوري طالباني، ط1، دار سبيريز،مطبعة خاني، دهوك 2008، ص117-121.

(2) حول اسباب تلك الانتفاضات وسماتها يراجع: سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية...، ص245-248.

(3) ياسين العمري، غاية المرام، ص185، 189، وكذلك:زبدة الآثار، ص121.

(4) نظمي زاده، م. س، ص328، رسول الكركوكلي،م. س، ص116.

(5) رسول الكركوكلي،م. س، ص116، 242.

(6) م. ن، ص93، 135.

(7) تاريخ بغداد، ص30.

اما عثمان بن سند الذي تميز باسلوبه المشهور بالسجع، فيصوغ تعابير "العصيان والطغيان" و " الخيانة ونبذ الديانة" لوصف بعض تلك الحركات. ويكتب عن انتفاضة احد الامراء البابانيين قائلاً: "فأضرم نار الفساد، فنهب ما نهب واستمسك من الشرّ بكل سبب". [1] ولكن احد المؤرخين يستخدم فعل "ثار" من مصدر (ثورة) لوصف ما قام به الامير الباباني سليمان به به من توسعات على حساب الاقاليم المجاورة والوقوف بوجه السلطات العثمانية. [2] وفي الحقيقة فأن اعمال هذا الامير تندرج ضمن مصطلح (الثورة) فعلاً بكل ماله من معنى. لانه حاول بناء كيان اقليمي مستقل على اساس امارته. [3]

ويخلع بعض المؤرخين العراقيين ثوب المعتدي الآثم على الامراء الكرد الثائرين، ويصوروا الولاة والمسؤولين العثمانيين كمنقذين. فقد كتب نظمي زاده عن حركة بكر بك الباباني قائلاً: "وفي السنة المذكورة [1126هـ/ 1714م] تمرد سنجق بيه المسمى بكر التابع لمنطقة شهرزور واعلن العصيان على والي المنطقة المذكورة وقتل بعض اقربائه ورجاله وراح يشن الغارة هنا وهناك ويقطع الطرق ويعتدي على الابرياء. ولاجل تأديبه توجه الوزير الى تلك الجهة ....". [4] اما عبدالرحمن السويدي فيروي لنا اخبار هذه الحركة بمضمون مشابه ولكن بتعبير مليء بالسجع حيث يكتب: "عصى بكر بك...حيث اظهر الخلاف وتغلب على الاطراف والاكتاف، ولم ينقد لولاة شهرزور ولم يتبع كلمة الجمهور فكم قتل

(1) مطالع السعود، ص276، 157، 333.

(2) نظمي زاده، م. س، ص296.

(3) للوقوف على تفاصيل هذه الثورة يراجع: عماد عبدالسلام، دراسات وثائقية...، ص113-136، سعدي عثمان،كوردستان الجنوبية...، ص249-253.

(4) كلشن خلفا، ص328.

رجالاً، وهتك حيث سبى عيالاً وازهق تحت سنابك خيله الاطفال فسقى اذ فسق اهل القرى كؤوس الزوال فقصد الوزير عالي الهمة الكشف عن المسلمين لهذه الغمة."[1]

وفيما يتعلق بأسباب الحركات والانتفاضات الكردية رغم ان المؤرخين العراقيين لايقدمون معلومات صريحة، ولكننا نستنبط من سياق رواياتهم عوامل حدوث المواجهة بين الكرد والسلطات العثمانية. وكان قيام الامراء الكرد بتوسيع نطاق نفوذهم في مقدمة تلك العوامل. ففيما يتعلق بأنتفاضة سليمان به به يذكر نظمي زاده بأنهم "هجموا على شهرزور وامتلكوها وامتد تمردهم حتى كادوا يحتلون كركوك."[2] وعند الحديث عن حركة بكر بك البابانى يكتب المؤرخ المذكور بأن الموما اليه "راح يشن الغارة هنا وهناك ...."[3] وفيما يتعلق بأسباب وقوف الامير البابانى عبدالرحمن باشا ضد ايالة بغداد يذكر عثمان بن سند بأن الامير المذكور مدّ يد بغيه وارسل عسكراً للاستيلاء على اربيل.[4] وكانت تلك التوسعات تندرج في بعض الاحيان ضمن جهود الامراء الكرد للانفصال عن الدولة العثمانية، وقد يكون ذلك بتعضيد من قوة خارجية وخاصةً ايران. وخير نموذج على ذلك انتفاضة سليم باشا البابانى في اواسط القرن الثامن عشر. اذ يكتب الكركوكلي بصدد اعمال هذا الامير مانصه: "كان يتقرب الى الايرانيين ويرتبط معهم بالاتفاقات...وقد اتفق في الآونة الاخيرة مع متصرف كويسنجق عثمان باشا واعلن الانفصال والاستقلال، وراح كلاهما يصولان ويجولان في المنطقة الكردية ويستوليان عليها

(1) حديقة الزوراء، ص136.

(2) كلشن خلفا، ص296.

(3) م. ن، 328.

(4) مطالع السعود، ص276.

شيئاً فشيئاً".[1] اما الانتفاضة الواسعة النطاق التي شارك فيها الامير الباباني عثمان باشا بن محمود باشا مع متسلم البصرة مصطفى آغا الكردي وبعض الزعماء الآخرين في عام 1788، فكان لمساعدة "المتسلم علي ماراد، من استيلاء العراق وقاعدته بغداد" حسب تعبير عثمان بن سند.[2] وهو مشروع اكبر من توسيع نطاق الامارة الكردية.

وهناك العديد من الحركات الاخرى التي اندلعت بسبب خروج امير كردي على السلطة،[3] او رفضه لاوامر المسؤولين العثمانيين وشروطهم. مثل الامير محمود باشا الباباني الذي "امتنع من ملاقاة الوزير في بغداد عندما اراد ذلك منه" في عام 1781. كما يقول المؤرخ عثمان بن سند.[4] او "يتقاعس في تنفيذ يؤمر به ويظهر الفتور والضجر" حسب تعبير الكركوكلي.[5] ويشير بعض المؤرخين الى ايادٍ خفية كانت تحرض بعض الامراء على الوقوف بوجه السلطات العثمانية، سواءً كانت هذه الايادي لشخصيات مسؤولة في الدولة[6] او لقوى خارجية وهي ايران.[7] وهنالك حالات اخرى كثيرة اندلعت فيها الحركة المعادية للدولة على اساس موقف شخصي، ونقصد بها محاولات الزعماء الكرد للوصول الى الحكم او

---

(1) دوحة الوزراء، ص116.

(2) مطالع السعود، ص180.

(3) ينظر مثلاً: رسول الكركوكلي، م. س، ص135.

(4) مطالع السعود، ص152.

(5) دوحة الوزراء، ص174. وحول امثلة اخرى ينظر: م.ن، ص242، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص156.

(6) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص241.

(7) ينظر: سليمان فائق بك، تأريخ بغداد، ص14.

التمسك بكرسي الحكم ازاء امرٍ عثماني يقضي بعزلهم.[1] كما ان بعض الحركات الكردية كانت في اصلها عبارة عن اعمال الشقاوة وقطع الطرق والخروج على القانون. وهي اعمال غالباً ما تأتي بها العشائر القوية مثل عشائر الملّي بزعامة تيمور باشا، الذي كان يقود حركة واسعة النطاق في نواحي ماردين في بدايات العقد الاخير من القرن الثامن عشر، بحيث تطلبت جهوداً كبيرة للقضاء عليها.[2]

واخيراً فأن المؤلفات التأريخية المعنية تزودنا بمعلومات تفيد بأن الموقف الشعبي كان عاملاً من بين عوامل اندلاع الحركات والانتفاضات الكردية ايضاً. ففي عام 1801 قام اهل اربيل ضد حاكم مدينتهم المعين من قبل والي بغداد بسبب ظلمه وجوره، فطردوه من المدينة ثم شكلوا وفداً لبيان موقفهم عند الوالي. ولكن الاخير بدلاً من ان ينصفهم امر بنفي اعضاء الوفد الى البصرة.[3] وهناك حالة اخرى مماثلة في مدينة ماردين قبل هذا الحادث بثمانية اعوام ولكنهم حصلوا على مبتغاهم، اذ تعين حاكم جديد على مدينتهم. وذلك رغم انهم كانوا قد قتلوا الحاكم السابق مع معاونيه بسبب ظلمهم.[4]

ومن خلال مطالعة المؤلفات التأريخية العراقية نلاحظ بأن السلطات العثمانية اتبعت في حالات نادرة اساليب سلمية تجاه تلك الحركات والانتفاضات الكردية. وقد جاءت تلك الاساليب على شكل (النصح والوعظ) او (النصح والارشاد)

---

(1) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص145، 177، ياسين العمري، منية الادباء، ص75.

(2) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، 194، ياسين العمري، غرائب الاثر، ص23، زبدة الآثار، ص164-167.

(3) ياسين العمري، غاية المرام، ص198، غرائب الاثر، ص59.

(4) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص33.

على الاغلب.[1] او "بالترغيب تارةً والترهيب تارةً اخرى".[2] اي اقترنت السياسة بالقوة والتهديد في بعض الحالات. اما الاسلوب الشائع فكان يتمثل في تجريد الحملات العسكرية وقمع الحركات بالقوة.[3] وكان المسؤولون العثمانيون وخاصة ولاة بغداد يحاولون حشد كافة القوى العسكرية الممكنة والاستفادة من جميع الاسلحة والامكانيات المتاحة في هذه الحملات. ففي معظم تلك الحملات نرى قوات بعض الولايات المجاورة وخاصة الموصل[4] وشهرزور،[5] اضافةً الى الامراء والزعماء الكرد الموالون للدولة.[6] وتضم بعض الحملات قوات ولايات اخرى مع بعض العشائر العربية، مثل حملة الوالي سليمان باشا الكبير للقضاء على حركة تيمور باشا الملّي عام 1791، التي التحق بها واليا الموصل واورفة بقواتهما. كما شاركت فيها قوات امارة بابان وعدد من العشائر العربية لتبلغ عدد القوات ثلاثين الفاً.[7] لذلك يكتب عثمان بن سند بأن الوالي "غزاه بلجب جرار واحاط به فلم

---

(1) رسول الكركوكلي، م. س، ص135، 175.

(2) نظمي زاده، م. س، ص296.

(3) ينظر على سبيل المثال: م. ن، ص328، رسول الكركوكلي، م. س،136، 242، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص203.

(4) ينظر مثلاً: ياسين العمري، غاية المرام، ص185، زبدة الآثار، ص121، محمد امين العمري، م. س، ص167. يجدر بالذكر ان والي بغداد حاول معاقبة والي الموصل لتخلفه عن احدى تلك الحملات في عام 1812. ينظر: عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص277.

(5) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص237-238، ياسين العمري، غرائب الاثر، ص78، 87.

(6) ينظر مثلاً: نظمي زاده، م. س، ص204، 297، رسول الكركوكلي، م. س، ص177، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص156.

(7) ياسين العمري، غرائب الاثر، ص23-24.

يجد منهجاً للفرار."[1] وفي عام 1552 تشكلت حملة عثمانية ضخمة من قوات ولايات سيواس وحلب وبغداد مع بعض الامارات الكردية للهجوم على امارة اردلان التي خرجت عن دائرة الطاعة للدولة العثمانية.[2] وبذلك نرى بأن العثمانيين يستفيدون من القوى الكردية لقمع الحركات والانتفاضات الكردية. بل يشير بعض المؤرخين الى ان ولاة بغداد كانوا يحاولون اثارة الشقاق داخل الامارة الكردية الواحدة للقضاء على الحركة التي قامت ضد السلطات العثمانية. ويشيد الكركوكلي بهذه السياسة حينما يكتب بأن الوالي: "يأتيهم عن طريقة غير طريقة الالتحام بهم حرباً، وذلك بأن، يكاتب بعض ابناء امراء كردستان ويستميلهم اليه، ويمنيهم بالرتب والاوسمة."[3]

وتبرهن روايات بعض المؤرخين العراقيين على ان معظم الحركات والانتفاضات الكردية قد قمعت بقسوة، وصاحبت معظمها اعمال النهب والسلب وشهدت بعضها السبي ايضاً. فعندما تم القضاء على حركة بكر بك البابانى في عام 1714 "احتر القتل فيهم واغتنمت الجنود جل ذراريهم ومواشيهم" حسب تعبير عبدالرحمن السويدي.[4] وخلال حملته على عشائر الملّي استولى الجيش المهاجم "على مغانم كثيرة لايحصيها عدّ، واسر شيوخهم وسبى نسائهم واطفالهم."[5] وعندما

---

(1) مطالع السعود، ص203.

(2) نظمي زاده، م. س، ص204.

(3) دوحة الوزراء، ص175. وانظر ايضاً: م. ن، ص177، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص154، 157.

(4) حديقة الزوراء، ص137.

(5) رسول الكركوكلي، م. س، ص195. يجدر بالذكر ان والي بغداد اخذه الرفق بعد ذلك بالشيوخ والاطفال والنساء فأطلق سراحهم.

هُزمت قوات عبدالرحمن باشا في معركة كفري، يقول عثمان بن سند بأنه: "عمل من رؤس من هلك وحان من قتلى عسكره منابر."[1] ونرى بأن المسؤولين العثمانيين يتبعون في بعض الحالات اسلوب الغدر للوقيعة بالامراء الكرد المتقضين. كما يقضون عليهم بدون رحمة عندما يقعون في ايديهم. مثلما فعلوا مع بكر بك البابانى وسليم باشا البابانى وعثمان باشا السورانى.[2] وفرضوا شروطاً قاسية على بعض الامراء عقب استسلامهم ، بضمنها دفع غرامة حربية كبيرة وتسليم احد ابنائهم كرهينة للسلطات العثمانية.[3]

ولكن اكثر ما نلاحظه في المؤلفات المعنية هو فرار زعيم الحركة الى ايران[4] التي كانت تعدّ الملاذ الآمن للامراء والزعماء الكرد المعادين للدولة العثمانية. وخاصةً امراء بابان، اذ يقول سليمان فائق بك بأن: "تمايل البابانيين الى ايران امر واضح لاغبار عليه."[5] ولكن المسألة لم تكن تنحصر في الميل او ايجاد الملاذ فقط، بل كان هؤلاء الامراء يحاولون استعادة مناصبهم بلجوئهم الى ايران، وذلك اما عن طريق وساطة المسؤولين الايرانيين أو استمداد القوات منها للعودة الى حكم

---

(1) مطالع السعود، ص277.

(2) ينظر: عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص137، نظمي زاده، م. س، ص328، رسول الكركوكلي، م. س، ص117، ياسين العمري، غاية المرام، ص183.

(3) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص176.

(4) ينظر على سبيل المثال: م. ن، ص137، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص121، سليمان فائق بك، تأريخ بغداد، ص30.

(5) تأريخ بغداد، ص42.ويذكر السويدي بأن سليم باشا البابانى "كان متابعاً للعجم احقاباً عديدة وسنين مديدة". حديقة الزوراء، ص590.

اماراتهم بالقوة.(1) وكان الايرانيون يحاولون تحقيق اطماعهم في الدولة العثمانية ايضاً عن طريق الامراء الكرد حسب قول بعض المؤرخين العراقيين. اذ يشير سليمان فائق بك الى ان الايرانيين "تقدموا نحو محمد باشا [البابانى]...لجذبه وبذل الوعود المعسولة له والاتفاق معه على احتلال العراق".(2) ولكنَّ المؤرخان عبدالرحمن السويدي ورسول الكركوكلي يبالغان في ذلك حين يذكران بان سليم باشا البابانى أخذ يراسل المسؤولين الايرانيين لاستمداد القوات النظامية لكي يحتل بها بغداد ويسلمها لهم.(3)

وينفرد سليمان فائق بك بين المؤرخين العراقيين المعنيين بأتخاذ موقف موضوعي وقيامه بتحليل اسباب وطبيعة العلاقة بين الامراء الكرد وايران. فبصدد ميل سليم باشا البابانى نحو ايران يذكر بأن الامر " لم يكن مبعثه الخيانة الوطنية او حب الجاه والحكم، بل لأن نادرشاه كان قد وجه جيوشه الجرارة نحو هذه البلاد طمعاً في الاستيلاء عليها. ولما كان لاقبل لهم بصده... ولذلك مال سليم باشا الى جانب نادر شاه لكي يضمن انقاذ هذه العوائل الاسلامية من الموت والتشريد والمحافظة على اعراضها وانفسها من بطش الشاه وجنوده...".(4) وفي موضع آخر يبدي عجبه من التجاء عبدالرحمن باشا البابانى الى ايران ولكنه يبرر موقفه بعد ذلك، اذ يقول: "واني لأعجب من مثل عبدالرحمن باشا الذي ينتمي الى اسرة آل بابان التي لها منزلة رفيعة بين الناس ...ينحدر الى هذه الدرجة في الالتجاء الى

(1) ينظر على سبيل المثال: م. ن، ص30، 46، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص141، ياسين العمري، غرائب الاثر، ص71-72.

(2) تأريخ بغداد، ص14.

(3) حديقة الزوراء، ص591، دوحة الوزراء، ص93.

(4) تأريخ بغداد، ص137-138.

الاجنبي والسير في ركابه. غير ان هذا العجب يزول اذا علمنا ان الوالي...هو السبب في حمل الموما اليه على ركوب هذا المركب الخشن في قبول الالتجاء والارتماء في احضان الاجنبي وطلب المساعدة منه، وذلك نتيجةً لسوء ادارة الوالي...."[1]

رابعاً: حوادث كوردستان السياسية:-

ان ما تتضمنه المؤلفات التأريخية العراقية عن الاحداث السياسية في كردستان خلال العهد العثماني انما هي في الغالب عبارة عن وقائع تندرج ضمن علاقات الدولة العثمانية بأيران، او علاقات الكيانات الكردية بالدولة العثمانية وولاياتها وخاصةً ولايتي بغداد والموصل. فقد دون المؤرخون العراقيون احداث حروب الدولة العثمانية مع ايران في كردستان وابرزوا دور الكرد في تلك الحروب، سواءً كانت في بلادهم او في بقاع اخرى من الدولتين. اذ يتطرق نظمي زاده الى ما آل اليه امور كردستان اثر معركة جالديران واشتداد الصراع العثماني الايراني في عهد السلطان سليم الاول (1512-1520) والسلطان سليمان القانوني (1520-1566).[2] ويتناول هذا المؤرخ مع بعض المؤرخين الآخرين تلك التقلبات التي شهدتها المنطقة خلال حرب السنوات 1602-1639، وخاصةً هجمات الشاه عباس الصفوي التي توجت بأحتلال بغداد في عام 1623 وامتداد النفوذ الصفوي الى مناطق كردستان الجنوبية. ثم اشتراك الكرد في المحاولات العثمانية الهادفة الى استعادة بغداد بضمنها حملة

(1) م. ن، ص34-35.

(2) ينظر: كلشن خلفا، ص185-186، 197، 202-204.

السلطان مراد الرابع (1623-1640) التي افلحت في تحقيق غايتها في عام 1638.[1] وفي خضم الحديث عن الحملات العثمانية على ايران خلال العقد الثالث من القرن الثامن عشر، يشير المؤرخين سليمان فائق بك ورسول الكركوكلي الى جهود الكرد وقواتهم العسكرية التي لعبت دوراً فاصلاً في بعض المواقع، وخاصةً في الاستيلاء على مدينتي كرمنشاه وهمدان وامارتي اردلان ولورستان. كما يذكرون الموقف السلبي الذي اتخذته القوات الكردية من الجيش العثماني اثناء معركة انجه دان في عام 1726 والتي انتهت بخسارة العثمانيين، ويحاولون تعليل تلك الحادثة.[2] ودونت العديد من المؤلفات التأريخية العراقية اخبار حملات نادرشاه على الدولة العثمانية وايالاتها العراقية بشكل خاص. فتطرقوا الى النكبات التي حلت بالمناطق الكردية جرائها كما اوضحت موقف الكرد اثنائها.[3] ويذكر احد المؤرخين المعاصرين للاحداث بأن الكرد قد عانوا آلام المجاعة مع الفئات السكانية الاخرى في بغداد اثناء محاصرة نادرشاه لها في عام 1733.[4] اما الأخوين ياسين ومحمد امين العمري فيشيدان بدور قوات قوج باشا السوراني في نصرة مدينتهما الموصل خلال

(1) م. ن، ص218-225، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص66-70، غاية المرام، ص93، محمد امين العمري، م. س، ص136-138.

(2) ينظر: سليمان فائق بك، حروب الايرانيين...، ص101-111، رسول الكركوكلي، م. س، ص19-27، ياسين العمري، غاية المرام، ص178.

(3) ينظر: رسول الكركوكلي، م. س، ص29-35، 50، ياسين العمري، زبدة الآثار، ص88-103، منية الادباء، ص178-183، محمد امين العمري، م. س، ص147-155.

(4) عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص352.

حصار عام 1743.[1] وكتب احد ادباء الموصل ارجوزة عن احداث حملة نادرشاه الاخيرة على الموصل، فيزودنا ضمن ابياتها بمعلومات عن دور الكرد وما حلّ بمناطقهم خلال تلك الحملة.[2] كما دوّن بعض رجال الدين المسيحيين المعاصرين تفصيلات دقيقة عن الاعمال الشنيعة التي قامت بها قوات نادرشاه في الانحاء الكردية وسائر المناطق الاخرى التي مرّت بها الحملة. وابرزوا النتائج التي خلّفتها الحملة وخاصةً من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية.[3] فقد كتب احدهم وهو القس حبش بن جمعة الساكن في قره قوش في عام 1745 ما نصه: "ومنذ اول قدوم الفرس الى هذه المنطقة... لم يهدأ لنا بال ولم يفارق قلبنا الخوف والفزع ولا شهراً واحداً من تأثير الاخبار المخيفة التي كانت شائعاتها تنتشر كل يوم. ومما سمعناه من اخبار السبي الذي حدث في الاماكن القريبة منّا. وكذلك من اثر الجوع والغلاء الذي عمّ كل مكان".[4]

اما الاشتباكات والحروب التي وقعت بين الدولة العثمانية وايران خلال العهدين الزندي والقاجاري، والتي كانت لها تأثيرات مباشرة على كردستان بحكم تحولها الى ساحة اساسية لتلك الحروب، فقد سجلت حوادثها في معظم المؤلفات

---

(1) منية الادباء، ص281، منهل الاولياء، ص152.

(2) نقل عصام الدين عثمان العمري جزءاً مهماً من الارجوزة في كتابه، ينظر: الروض النضر...، ج1، ص511-516.

(3) ينظر: نرسيس صائغيان، م. س، ص379-383، بطرس حداد، م. س، ص64-72، سهيل قاشا، م. س، ق1، ص156-160، ق2، ص152-157.

(4) سهيل قاشا، م. س، ق2، ص155.

التأريخية المعنية، وخاصةً الحملات التي وجهها كريم خان الزندي الى مناطق كردستان الجنوبية في سبعينات القرن الثامن عشر.[1] بل تقدم احدى تلك المؤلفات دلائل على مشاركة الكرد في الدفاع عن البصرة عندما حاصرها الزنديون في عام 1775.[2] يجدر بالذكر ان المؤرخ سليمان فائق بك قد تنبه للعامل القومي في تلك الحرب حينما اشار الى 'ان اكثر قطان شهرزور من الكرد وصاحب ايران هو كريم خان احد امراء الكرد'.[3] كما حظيت تدخلات القاجاريين في امور كردستان وحدوث الاشتباكات بين الجانبين الايراني والعثماني جرائها، بأهتمام المؤرخين العراقيين. وخاصةً رسول الكركوكلي وسليمان فائق بك، اللذين يقدمان تفصيلات مهمة عن تلك الوقائع ويبرزان مواقف الزعماء الكرد خلالها.[4]

اما على صعيد حوادث كردستان الداخلية، فقد اهتم معظم المؤرخون العراقيون بسرد الوقائع التي كانت لها علاقة بسلطات ايالتي بغداد والموصل بشكل خاص. فالمؤلفات التأريخية التي كتبها المؤرخون حافلة بأخبار نزاعات الامراء الكرد مع سلطات الايالتين والحملات القمعية التي كانت توجهها تلك السلطات لقمع

---

(1) ينظر: رسول الكركوكلي،م. س،ص148-151، 157-159،163-164، ياسين العمري، غاية المرام، ص185-187، زبدة الآثار، ص138، سليمان فائق بك، تاريخ المماليك، ص26-29.

(2) عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص86، 114.

(3) تاريخ المماليك، ص27.

(4) ينظر: دوحة الوزراء، ص236-237، 252، 257، 284-285، 295-298، تاريخ بغداد، ص14، 30، 32، 47. وانظر ايضاً: عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص329، ياسين العمري، غرائب الاثر، ص71، 72، 77.

الحركات الكردية واعادة السيطرة على الكيانات الكردية.[1] وفي بعض الاحيان كان المؤرخون العراقيون يتتبعون اخبار الامراء الكرد اللاجئين الى ايران في تلك البلاد.[2] كما تتضمن مؤلفاتهم معلومات وافية عن التغييرات التي كانت تجريها السلطات العثمانية في مناصب الامارات والزعامات الكردية، وكذلك المنازعات أو المشاكل التي كانت تنشأ جراء ذلك، سواءً بين الامراء والزعماء الكرد انفسهم أو بين اولئك الامراء والسلطات العثمانية.[3] وكتب جميع المؤرخين روايات مفصلة ودقيقة احياناً عن حملات الايالتين الموجهة ضد العشائر الكردية والكرد الايزديين. ولكنهم بالغوا احياناً في اتهام ابناء العشائر والايزديين ونسبوا اليهم اعمال النهب والسلب وقطع الطرق. في الوقت الذي كانت القوات الحكومية تمارس نفس الاعمال خلال عملياتها العسكرية في كردستان والمناطق الاخرى.[4] كما تبرهن

---

(1) ينظر على سبيل المثال: نظمي زاده، م. س، ص204-205، عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء، ص136-137، ياسين العمري،غاية المرام، ص97، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص156، سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص30.

(2) ينظر: رسول الكركوكلي،م. س، ص178-179.

(3) ينظر مثلاً: م. ن، ص146، 192، 228-229، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص254، ياسين العمري،غاية المرام، ص198-199، 204، 205.

(4) ينظر على سبيل المثال: نظمي زاده، م. س، ص328-330، رسول الكركوكلي،م. س، ص194-195، 245، عثمان بن سند الوائلي، م. س، ص203-204، ياسين العمري،غاية المرام، ص202، غرائب الاثر، ص23، 33، 35، 63.

معلومات المؤلفات المعنية على كثرة مشاركات الكرد وقواتهم العسكرية في جهود الايالتين العسكرية،[1] كما ذكرنا في الصفحات السابقة.

وفي الوقت الذي اهتم اغلب المؤرخين العراقيين بالجوانب المذكورة آنفاً من تأريخ كردستان فقط، نجد المؤرخ الموصلي ياسين العمري يخرج عن هذه القاعدة. اذ انه من دون المؤرخين الآخرين يتناول في مؤلفاته (وخاصةً: غرائب الاثر و زبدة الآثار) الحوادث الداخلية الصرفة من تأريخ كردستان، دون مراعاة ارتباطها بالقوى الدولية والاقليمية. ويعود ذلك الى الروابط الوشيجة التي كانت تربط الموصل بالمناطق الكردية من النواحي الجغرافية والتأريخية ·وكذلك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ناهيك عن العلاقات السياسية والادارية القائمة بين الجانبين. كما ان المؤرخ المذكور كان يحاول في هذين الكتابين تدوين تواريخ عامة للمنطقة باسرها وعدم الاقتصار على كتابة تأريخ ايالة معينة كما كان المؤرخون الآخرون يفعلون ذلك. ولذلك فقد ترك لنا ياسين العمري معلومات مهمة تخدم كتابة التأريخ السياسي لكردستان وخاصة في الربع الاخير من القرن الثامن عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر. اذ يتصدى المذكور لحوادث كردية شتى، منها نزاعات امراء العائلة الحاكمة في الامارة الكردية الواحدة، وخاصةً امارة بادينان التي شهدت العديد من المشاكل الداخلية في اواخر القرن

---

(1) ينظر: نظمي زاده، م. س، ص215، سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ص41، حروب الايرانيين...، ص108، تاريخ المماليك، ص41-42، 46-47، 63-64، رسول الكركوكلي،م. س، ص185.

الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر.[1] كما يزودنا العمري بمعلومات عن المشاكل والاشتباكات التي كانت تحدث بين الامارات الكردية المختلفة، منها بين امارتي بابان وسوران،[2] وكذلك بين بادينان والشيخان.[3] او الحوادث التي كانت تقع بين الامارات والعشائر الكردية، مثل الغارة التي قام بها عبدالرحمن باشا البابانى على قبيلة بلباس في عام 1791، ثم قيامه بمصالحتهم واعادتهم من ايران بعد خمسة اعوام.[4] وكذلك اعتداء عشيرة المزورية على امراء بادينان في عام 1804.[5] وهناك ايضاً اخبار عن الغارات والنزاعات العشائرية سواءً بين العشائر الكردية او بين العشائر الكردية والعربية.[6] ويحتوِ كتاب (غرائب الاثر) معلومات عن المشاكل والانتفاضات التي نشبت ضد الحكام والامراء داخل المدن والقصبات الكردية مثل المشاكل التي حدثت في مدينة عينتاب او قيام اهل الجزيرة ضد الامير البوتاني.[7] ويتضمن كتاب (غاية المرام) معلومات اخرى مثل تحديد نفوذ بعض الامراء الكرد، والاعتداء الذي قام به اليهود ضد المقدسات الاسلامية في بلدة

---

(1) ينظر: غرائب الاثر، ص18، 19، 21، 36، 47، زبدة الآثار، ص160-163، غاية المرام، ص98.

(2) غرائب الاثر، ص57، 60، 121.

(3) م. ن، ص23، 26-27، 53.

(4) م. ن، ص26، 41.

(5) م. ن، ص66. وحول حوادث اخرى من هذا القبيل ينظر: م. ن، ص37، زبدة الآثار، ص176، غاية المرام، ص203.

(6) غرائب الاثر، ص22، 25، 35، 51، 58، 96، زبدة الآثار، ص163-164، 174-175.

(7) ينظر: ص23، 25، 29، وانظر ايضاً: ص39، 64، 123.

زاخو.[1] واخيراً لابدّ ان نذكر بان العمري في كتابه (غرائب الاثر) يتخذ موقفاً سلبياً من الكرد وامرائهم احياناً، وخاصةً عندما يتحدث عن المشاكل التي كانت تقع بين امارة بادينان وحكام الموصل الجليليين كما ذكرنا سابقاً. اذ يورد عدة امثال لاندري هل انها من "ابداعه" ام انها كانت شائعة في الموصل وقتذاك، منها: "معاشرة الاكراد تورث الفساد" و"حتى ما رأيت الكردي اميراً فأرتقب الساعة" و"سلامة الابدان باجتناب الاكراد البهدينان" و "خذ من الاكراد الفاكهة ودع المفاكهة" وما الى ذلك. كما انه يرمي الاكراد بالجهالة والحماقة وينسب الى بعض شخصياتهم اعمالاً مخلة بالادب. وفي بعض المواضع يورد شعراً لخدمة اغراضه.[2] ولكن موقفه هذا لايقلل شيئاً من اهمية معلوماته عن الحوادث الساسية الكردية.

(1) ينظر: ص99، 100.

(2) ينظر: ص81، 101، 107-108.

الخاتمة

رغم ان علم التأريخ قد شهد ركوداً نسبياً في العراق العثماني، ولكن ظهر في هذا العهد عدة مؤلفات تأريخية اصبحت مصدراً مهماً لتدوين تاريخ المنطقة خلال هذه الحقبة. منها (كلشن خلفا) لنظمي زادة مرتضى افندي، و(دوحة الوزراء) للمؤرخ رسول حاوي الكركوكلي، و (مطالع السعود) لمؤلفه عثمان بن سند الوائلي البصري. وكذلك مؤلفات ياسين العمري وخاصة (غرائب الاثر) و (الآثار الجلية) و (غاية المرام). ويمكن القول بان تلك المؤلفات تعد مصادر اولية نادرة للوقوف على اوضاع كردستان السياسية خلال العهد العثماني، لافتقارنا الى مصادر اخرى ترقى الى نفس المستوى من الاهمية.

لقد عكست تلك المؤلفات الامتيازات السياسية- الادارية التي تمتعت بها كردستان في العهد العثماني، من خلال اشاراتها العديدة الى وجود الكيانات الكردية. اذ ورد ذكر تلك الكيانات بصيغ مختلفة مثل "امارة" و "حكومة" و "سنجق" و "متصرفية". اما الامراء الكرد فكانوا يدعون بالامير او الحاكم او المتصرف. وكان يضاف الى اسماء اغلبهم لقب ال "باشا" مما يدل على انهم كانوا يتمتعون برتبة (ميرميران)، وخاصة اولئك الذين كانوا يحكمون الامارات الكردية في الدولة العثمانية. اما الامراء التابعين لايران فكانوا يحملون لقب الـ"خان". أما فيما يتعلق بصورة الامراء والزعماء الكرد في المؤلفات المعنية فنلاحظ بانها تختلف حسب مواقفهم من السلطة العثمانية. اذ يكيلون المديح لاولئك الذين يؤازرون الدولة ويتخذون موقفاً سلبياً من الامراء المعادين لها. وكثيراً ما وصف المؤرخون العراقيون الامراء الكرد بالبسالة والشجاعة والحزم. وكذلك فان المؤلفات المعنية تبرهن على اهمية القوة العسكرية الكردية من خلال سرد الاحداث التي تعكس بسالة الكرد وشجاعتهم في المعارك، حتى وان كانوا في الخندق المعادي للدولة

العثمانية. ولكن الحالة الاكثر شيوعاً في تلك المؤلفات هي استفادة العثمانيين من تلك القوة السكرية في ميادين عدة.

ولكن المؤلفات التأريخية العراقية لاتقدم صوراً صادقة عن الحركات والانتفاضات الكردية التي اندلعت في تلك الفترة. لأن معظم المؤرخين العراقيين كانوا يمثلون وجهة النظر العثمانية في سردهم الحوادث، ولم يكونوا يلتزمون بمبدأ الحياد الذي يعد ركيزة اساسية للكتابة التأريخية في الوقت الحاضر. اذ كانوا يصفون تلك الحركات بالعصيان والتمرد والخيانة، ويضعون الزعماء والمشاركين فيها في مصاف اللصوص وقطاع الطرق والاشقياء. وذلك بغض النظر عن دوافع تلك الحركات واسباب اندلاعها. ولكن المؤرخين العراقيين ينقلون صوراً واقعية عن اساليب البطش والقسوة التي اتبعت لقمع الحركات الكردية. اما فيما يتعلق بعلاقات الامراء الكرد بايران فان المؤرخ (سليمان فائق بك) من دون المؤرخين الآخرين يحاول تحليل تلك العلاقات ليتخذ موقفاً موضوعياً ازائها.

وعلى صعيد آخر فان اغلب ما ترويه تلك المؤلفات عن احداث كردستان السياسية، انما تدخل في اطار علاقات الدولة العثمانية بايران. او انها عبارة عن صلات الكيانات الكردية بالدولة العثمانية واياﻻتها وخاصة ايالتي بغداد والموصل. حيث ان غالبية تلك المؤلفات لاتزودنا بمعلومات تذكر عن الاحداث السياسية الداخلية في كردستان. وذلك باستثناء مؤلفات (ياسين العمري) وخاصة مؤلفيه (غرائب الاثر) و (الآثار الجلية). اذ دون المؤرخ المذكور فيهما معلومات مهمة عن الحوادث التي حصلت في كردستان، دون ان يكون لتلك الحوادث ارتباط بالسلطات العثمانية.

قائمة المصادر

اولأ:المصادر الاساسية (أي/ المؤلفات المعنية):ـ

- بطرس حداد، حملة نادرشاه على العراق سنة 1145هـ في وثيقة سريانية، مجلة (بين النهرين)ع(33) س(1981).
- رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة كرم، بيروت(د.ت).
- سليمان فائق بك، تاريخ بغداد،ت:موسى كاظم نورس،مطبعة المعارف،بغداد1962.
- ـــــ،تأريخ المماليك((الكوله مند)) في بغداد، ت: محمد نجيب أرمنازى، مطبعة المعارف، بغداد 1961.
- ـــــ، حروب الايرانيين في العراق ، تعريب: محمد خلوصي بن محمد سعيد الناصري التكريتي، نشر من قبل (عبدالجبار العمر) في مجلة (آفاق عربية) ع (3-4) سنة 1980.
- سهيل قاشا،حملات نادر شاه على العراق في وثائق سريانية/ 2ج، مجلة (كاروان) ع (74-75) نيسان وآيار 1989.
- عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي:تأريخ حوداث بغداد والبصرة من 1186 الى 1192هـ/ 1772-1778م، تحقيق: د.عماد عبدالسلام رؤوف، دار الحرية للطباعة، بغداد 1978.
- ـــــــــ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق: د.عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة المجمع العلمي، بغداد 2003.

- عثمان بن سند الوائلي البصري،مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود/ تأريخ العراق من سنة 1188 الى سنة 1242هـ(1774-1826م)، تحقيق: د. عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسى، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل 1991.
- عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، الروض النضر في ترجمة ادباء العصر، تحقيق: د. سليم النعيمي، ج1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1974.
- محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، ج1، تحقيق: سعيد الديوه جي،مطبعة الجمهورية، الموصل 1967.
-محمد بن مصطفى الغلامي، شمامة العنبر والزهر المعنبر، تحقيق: د. سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد1977.
- نرسيس صائغيان، صفحة منسية من تأريخ نادر شاه، مجلة (لغة العرب)ج(5)س(7) بغداد 1929.
- نظمي زاده مرتضى افندي، كلشن خلفا، ت: موسى كاظم نورس، مطبعة الاداب، النجف 1971.
- ياسين بن خيرالله الخطيب العمرى، زبدة الاثار الجلية فى الحوادث الارضية، انتخب زبدته: د. داود الجلبي، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الاداب، النجف 1974.
- ـــــــــ، غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات البصري، مطبعة دار البصري، بغداد 1968.

- ـــــــــــ، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مطبعة أم الربيعين، الموصل 1940.
- ـــــــــــ، منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء، تحقيق ونشر: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل 1955.

ثانياً: المصادر الثانوية (أي/ المساعدة):-

أ-باللغة العربية:

- د. أحمد عثمان ابو بكر، اكراد الملي وابراهيم باشا، مطبعة دار الجاحظ، بغداد 1973.
- باسيلي نيكيتين، الكرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ت: د.نوري طالباني، ط1، دار سثيريز،مطبعة خاني، دهوك 2008.
- دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، مج5، مادة ايالة (خليل ايناجق).
- سعدي عثمان حسين ، امارة بابان في النصف الاول من القرن الثامن عشر، مؤسسة موكرياني، اربيل 2000.
- ـــــــ، كوردستان والامبراطورية العثمانية/ دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان، مؤسسة موكرياني للنشر- اربيل، مطبعة خاني، دهوك 2008.
- ـــــــ،كوردستان الجنوبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر/ دراسة في علاقاتها السياسية والادارية والاقتصادية مع ايالتي بغداد والموصل، اربيل 2006.
- د.سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة:د.عبدالرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000.

- شرفخان البدليسي، شرفنامه، ت:محمد جميل الملا أحمد الروزبياني،ط2، مؤسسة موكرياني، اربيل2001.
-صديق الدملوجي،امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية، ط2،مراجعة وتقديم: د.عبدالفتاح علي يحيى،اربيل 1999.
- د.طارق نافع الحمداني،ملامح سياسية و حضارية في تاريخ العراق الحديث و المعاصر، ط1،بيروت، 1989.
- د. عماد عبدالسلام رؤوف، التأريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، ط2، دار الوراق للنشر، لندن 2009.
- ـــــــــ، دراسات وثائقية في تأريخ الكرد الحديث وحضارتهم، منشورات وزارة الثقافة،اربيل 2008.
-كاوة فريق احمد شاوةلي ئاميدي، امارة بادينان 1700-1842/ دراسة سياسية اجتماعية ثقافية،منشورات مؤسسة موكرياني/ اربيل، مطبعة خبات- دهوك 2000.
- كلوديوس جيمس ريج،رحلة ريج في العراق عام 1820، ت: بهاء الدين نوري، ج1، مطبعة السكك الحديدية، بغداد 1951.
- محمد امين زكي، تاريخ السليمانية وانحائها، ت: الملا جميل الروزبياني، بغداد 1951.
-ـــــــ ، مشاهير الكرد وكردستان، ج2، الآثار الكاملة للمؤلف، اعداد: رفيق صالح، السليمانية 2005.
- مرادجة دوسون ،نظم الحكم والادارة في الدولة العثمانية،ت:فيصل شيخ الارض،رسالة قدمت من قبل المترجم الى دائرة التأريخ في جامعة بيروت الامريكية لنيل شهادة استاذ في العلوم/ 1942.

- هاملتون جيب وهارولد بوين، المجتمع الاسلامي والغرب، ت: عبدالمجيد حسيب القيسي، ج1، ق1، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق1997.

ب- باللغة التركية:

- أحمد جودت، تأريخ جودت، از ترتيب جديد، ج1، مطبعة عثمانية، استانبول 1301.
- اسماعيل عاصم كوجك جلبي زاده،تأريخ جلبي زاده، مطبعه عامره، استانبول 1282هـ.

-Ayni Ali Efendi (Defteri Hakani Emini-1018/1609): Osmanli Imparatorlugunda Eyalet Taksimati, Toprak Dagitmi ve Bunlarin Mali Gucleri, Bu gunkudile Ceviren:Hadiye Tuncer, Gursoy Basmevi- Ankara 1964.

- Uzuncarsili, Ismail Hakki:Buyuk Osmanli Tarihi, cilt2, Ankara-1995.

جـ- باللغة الفارسية:

- اسكندر بيك تركمان، تاريخ عالم اراي عباسي،ج2-3،ط2، انتشارات امير كبير، تهران 1350هـ.ش.

د- باللغة الانكليزية:

-Creasy, Edward S.: History of the Ottoman Turks, London 1878, new published (Khayats, Beirut 1961.





دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com